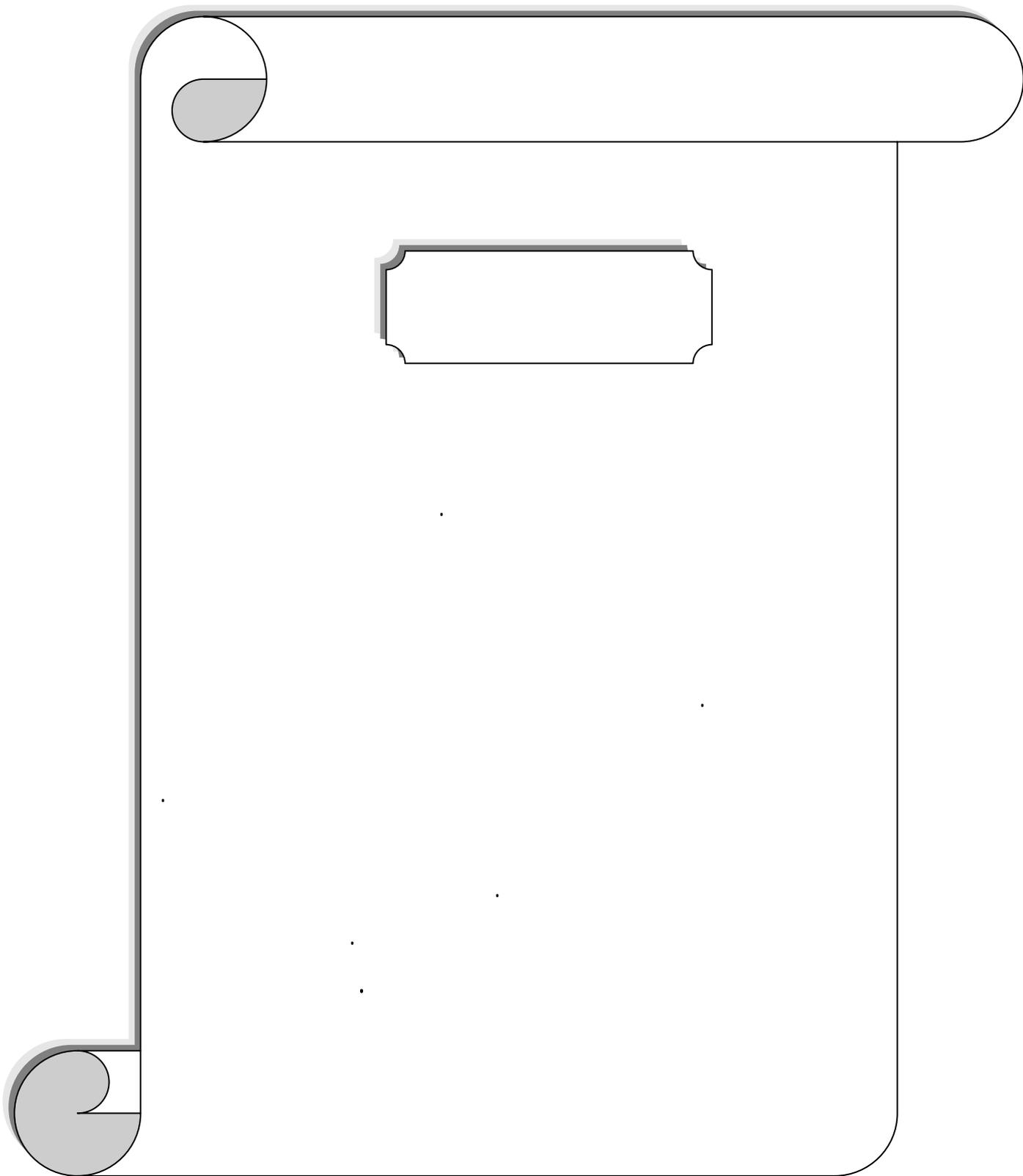


الجيش في العهد الحمادي
(405 - 547 هـ / 1014 - 1152)

رسالة لنيل شهادة الماجستير
في التاريخ الوسيط

إشراف : الدكتور موسى لقبال
إعداد الطالب : موسى هيصام

2001/2000 :



الدولة الحمادية واحدة من القوى السياسية التي قامت في بلاد المغرب الأوسط ، اعتبارا للدور السياسي والعسكري والحضاري الذي أدته طيلة الفترة الممتدة ما بين (405 - 547 هـ / 1014 - 1152 م) .

فسياسيا رفضت التشيع معلنة ولاءها للخلافة العباسية السنية ، بدل الخلافة الفاطمية الشيعية سنة (405 هـ / 1014 م) على عهد مؤسس الدولة " حماد بن بلكين " (405 - 419 هـ / 1014 - 1029 م) ، فكان بذلك رائدا من رواد التأسيس للوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي كله .
وحضاريا بالنشاط الثقافي والفكري الذي لزم حواضرها طيلة هذه الفترة خاصة بـ " مدينة بجاية " العاصمة الثانية للدولة ، قبلة العلماء والأدباء حتى أطلق عليها الرحالة والمؤرخون ، ومنهم الإدريسي وابن سعيد المغربي مصطلح "قاعدة المغرب الأوسط" و " عين بلاد بني حماد " .

دواعي اختيار الموضوع :

لعل اهتمام المؤرخين والباحثين بالشقين السياسي والحضاري ، على حساب الدور العسكري الذي قامت به الدولة الحمادية في تاريخ الجزائر العهد الإسلامي ، دفعني إلى اتمام وضع لبنة أخرى في صرح هذا البناء المتكامل للدراسات التاريخية ، إيماننا مني بحاجة هذا الوطن المفدى ، الذي تقاذفته الخطوب ، وتكالبت عليه الأعداء ، إلى جهد أبنائه في الذود عنهم بأقلامهم من خلال ربطه بأصوله وقيمه .

فكان موضوعي " الجيش في العهد الحمادي " (405 - 547 هـ / 1014 - 1152 م) ، وهي الفترة الزمنية التي سادت فيها الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط بعد انفصالها عن الدولة الزييرية بإفريقية .

وتمكنت بواسطة هذا الجهاز الحساس من تحديد إطار شبه قار لحدودها ، امتد من مرسى الخرز وبونة شرقا ، إلى مشارف وهران وتلمسان غربا ، ومن بجاية وجزائر بني مزغنة شمالا إلى بسكرة ووركلا (ورقلة) جنوبا ، على عهد أغلب ملوكها ، مع توسعها من حين لآخر على حساب الزييريين وصولا إلى تونس شرقا على عهد الملك " الناصر بن علناس " (454 - 481 هـ / 1062 - 1089 م) ، وصوب بلاد زناتة وصولا لمدينة فاس غربا على عهدي " القائد بن حماد " (419 - 446 هـ / 1028 - 1054 م) ، وخليفته " بلكين بن محمد " (446 - 454 هـ / 1054 - 1062م) ،

مما جعلها تطبع بالطابع العسكري طيلة هذه الفترة . وهو ما حاولت الوصول إلى إبرازه من خلال هذا البحث ، بتتبع حيثيات هذا الجهاز تركيبيا ونشاطا .

عوائق البحث :

من الصعوبات الجمة التي واجهتني أثناء أداء هذا العمل :

قلة المصادر التي خصت الموضوع بالدراسة ، فأغلبها لرحالة اهتموا بالجوانب الاقتصادية والثقافية ، أو لمؤرخين ركزوا على واقع الصراع وخلفياته بين قبيلتي صنهاجة وزناتة .

المنهجية المعتمد في البحث :

وهو ما دفعني اللجوء إلى منهج الاستنباط والمقارنة كوسيلة لاستخراج المادة المطلوبة من ثنايا هذه الكنوز التي تنوعت مواضيعها ومشاربها، ومناقشة النصوص التي تناولت بإيحاءات محتوى البحث .

واستفدت من الدراسات المختلفة التي تناولت تاريخ النظم الإسلامية عموما ، وتاريخ المغرب الإسلامي خصوصا .

ورغم معاناة البحث ، وصعوبة التوفيق بين التدريس والدراسة والتقييب ، إلا أن تشجيع أستاذي المشرف : الدكتور موسى لقبال على المثابرة ، وتصويره للباحث وكأنه " الناحت الذي ينحت تماثيل من الصخر " . كانت حافزي المعنوي ، وزادي الذي أكملت به المشوار ، وهو ما أحفظه له في نفسي ما حييت .

خطة البحث :

بناء على المادة العلمية التي توفرت لديّ ، قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول ، تحتوي مباحث جزئية لكل فصل .

الفصل الأول : عن "نظم الجيش " وقسمته إلى ثلاثة مباحث : تطرقت بالدراسة في الأول : لـ " مراتب الجند وقيادة الجيش " في شكل تسلسلي هرمي من القاعدة إلى القمة ، بتحديد المواصفات التي اشترطت لتولي ذلك خاصة على المستوى القيادي .

وفي المبحث الثاني : " أصول الجيش وتعداده " برصد مختلف القبائل والعناصر التي طعمت الجيش الحمادي ، وحجم التجنيد ، باعتباره أسلوبا تتباهى به الدول لإبراز مكانتها العسكرية في وجه خصومها وأعدائها .

وفي المبحث الثالث : "التمويل والتسلح والصناعة الحربية " وتتبع من خلاله تنوع مصادر دخل الدولة ، والذي عدّ أساسا لتوفير الوسائل المادية لعمليات التسليح المختلفة صناعة أو اقتناء . وألحقته بنشاط الصناعة الحربية التي ازدهرت بمدن الدولة المختلفة ، بين برية وبحرية خاصة بالعاصمتين " القلعة " ، " بجاية " .

الفصل الثاني : بعنوان " الفنون الحربية " قسمته إلى مبحثين : تناولت في الأول : "الخطط الحربية " وهي وجه التميز الذي تتصف به الدول عادة عن بعضها البعض ، من خلال قدرتها على المناورة في حالتها الهجوم أو الدفاع . وفي الثاني : " التحصينات العسكرية " باعتبارها وجها من أوجه العمارة العسكرية التي تميزت بها المدن والأمصار لتأخذ بدورها شكلا دفاعيا عادة .

الفصل الثالث : بعنوان " نشاط الجيش " قسمته بدوره إلى مبحثين : الأول : " المعارك البرية " وهو مجال تطبيقي للدراسة النظرية ، وتتبع من خلاله النشاط العملي للجيش الحمادي برضا بانتقاء معارك نموذجية .

وفي الثاني : " الأسطول والنشاط البحري " وهو عبارة عن دراسة ميدانية لحركة الأسطول الحربي في عرض الحوض الغربي للمتوسط ، استنادا إلى القدرات المادية التي امتلكتها الدولة عبر موانئها العديدة ، وطبيعة التحديات التي فرضتها المرحلة في إطار الصراع بين الشرق والغرب .

وختمت بحثي بجملة من النتائج المتوصل إليها كحصيلة لذلك ، و ألحقته بمجموعة من الخرائط و الصور التي تعطي له مجالا أوضح .

دراسة نقدية للمصادر

من الصعوبة بمكان التحكم في موضوع تقني، يبحث في الجانب لعسكري عند الحماديين، نظر لقلّة مصادر لتي أرخت لهذه الدولة سياسيا أولا ، ولتاريخها العسكري ثانيا ، وشح أغلبها عن مدنا بمعلومات وافية عن النشاط الحربي ، وتركيز ما توفر منها أساسا على الجوانب السياسية ، أو الاقتصادية في كتب الرحلات ، بينما تطرقت بسطحية لموضوع البحث .

وعليه كان لجوئي إلى أسلوب الدراسة والاستنباط لمتن المادة ، ثم العمل على تحليلها ومقارنتها بما يماثلها من الكتابات ، للخروج بفكرة تقودني إلى التحليل والتركيب والاستنتاج غالبا .

ولعل ضياع بعض المصادر التي عايش أصحابها قيام هذه الدولة ، وازدهار أنشطتها المختلفة المدنية والعسكرية ، ومنها كتاب : ابن حماد الصنهاجي " النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية " والذي أشار إليه ابن خلدون ، قد حرم الباحثين اليوم من الوصول إلى نسبة أكبر من الموضوعية ، وملازمة الحقيقة التاريخية عند الغوص في دراسة بعض الجوانب الخاصة من تاريخ هذه الدولة .

ومن المصادر المتوفرة التي استخدمتها بشكل مكثف كتاب : " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " ، لابن عذاري المراكشي ، المتوفى سنة 712 هـ ، وبصورة خاصة الجزء الأول منه ، فقد أفادني في تأكيد وتدقيق المعلومات لاعتماده على منهج الترتيب التاريخي للأحداث ، مهتما أساسا بالدولة الصنهاجية (الزيرية) بإفريقية ، وربط تاريخها بما شهده المغرب الأوسط من حركية سياسية وعسكرية ما بين (405 - 547 هـ / 1014 - 1152 م) ، وهي الفترة التي سادت فيها الدولة الحمادية .

كما اعتمدت بشكل مماثل على كتابي ابن خلدون : " المقدمة " التي تناولت مجالات الحياة البشرية والعمران كقوالب خام ، قدمت للباحث لاستنطاقها ، فكانت استفادتي منها معتبرة عند حديثي عن تعبئة الجيوش ، ودواعي إدخال ملوك المغرب للنصارى الصقالبة كعناصر مجندة ضمن جيوشهم ، أو حراس خاصين بهم ، وإنشاء الأساطيل ، وركوب البحر .

أما كتاب " العبر " فكان أنيسي طوال فترة البحث ، من خلال حصره لمختلف القبائل العربية والبربرية ، بدراسة كل واحدة منها على حده ، وهو ما استخرجت منه مادة مهمة عن التجنيد وأصول الجيش مع إبرازه للنشاط العسكري لكل ملك حماد على حده ، وهو ما قادني إلى معرفة الخطط الحربية المعتمدة في أغلب معارك الحماديين (الهجومية أو الدفاعية) ، رغم أنني وجدت نفسي حائرا أمام تحامله الكبير على العرب الهلايين ،

بوصفهم بمختلف النعوت الذميمة ، ويصل أحيانا إلى تعميم ذلك الحكم على العرب جميعا ، وهو ما يمس بالريب والتشكيك في حقيقة ما كتبه عنهم .

أما المراكشي (عبد الواحد بن علي) الذي توفي سنة (669 هـ / 1070 م) وكتابه " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " فأمدني بمعلومات قيمة بدوره ، فكانت مكملة لما جاء به غيره من المؤرخين . إذا اعتمدت عليه في تتبع النشاط الحربي للملوك الحماديين ، ومقارنته بما كتبه آخرون .

ومنهم النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) المتوفى سنة 733 هـ في كتابه " نهاية الأرب في فنون الأدب " في جزئه الثاني والعشرين حسب تصنيفه ، والرابع والعشرين حسب طبعة القاهرة سن 1983 م . بتقديمه معلومات غاية في التفصيل والدقة عن نشاطات ملوك بني حماد ، وطبيعة العلاقات التي جمعتهم بغيرهم من ملوك وسلطين المعاصرة لهم .

أما ابن الأثير (أبو الحسن الجزري) المتوفى سنة 630 هـ / 1233 م) ، وكتابه " الكامل في التاريخ " فرغم انتمائه إلى بيئة غير بلاد المغرب ، إلا أن سرده للمادة التاريخية

بمختلف دقائقها ، أفادني بشكل واسع في تغطية بعض النقص من المادة بتتبعه للأحداث عبر التسلسل التاريخي لها ، رغم أنه يتحامل هو الآخر على الهالبيين ، في وصفه لبعض المواقف ومنها حديثه عن معركة " سببية " سنة 457 هـ / 1065 م التي دارت رحاها بإفريقية بين "الناصر بن علناس" الحمادي ، و " تميم بن المعز" الزييري وأثر الهالبيين في توجيه مجرياتها. إلى جانب ما كتبه ابن أبي دينار في كتابه " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس " ، وكتاب " الحلل السندسية في الأخبار التونسية" للسراج ، وأهميتهما في توضيح العلاقات السياسية لإفريقية مع بلاد المغرب الأوسط ، والموصوفة بالتوتر عادة، والتي تحولت غالبا إلى مواجهات عسكرية بين الطرفين ، إذ حاولت من خلالها استنتاج مجال حركة الجيش الحمادي، ووحدياته خاصة البحرية منها.

أما المصادر المغربية التي أرخت لقبيلة زناتة وللمرابطين والموحدين ، فتمكنت بواسطتها من رصد مختلف المواجهات العسكرية بين الحماديين وهذه الأطراف ، واستخلاص نتائجها وأبعادها ، ومن هذه المصادر:

" كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية " لمؤلف مجهول ، و" الأنيس المطرب " لإبن أبي زرع ، وكتاب " الاستقفا لأخبار دول المغرب الأقصى" للسلاوي .

أما القسم الثاني من مادة التاريخية ، فانتيقتهما من كتب الرحلات ، التي اهتمت بوصف المراكز الحضارية الحمادية المختلفة ، من حيث العمران ، والنشاط الإقتصادي والملاحة البحرية ، فوظفتها في حصر أهم النقاط الرئيسية للتحصينات العسكرية ، وأساليب وطرق عملها ، وأثر قوة الانتاج الزراعي والصناعي ، وحيوية الحركة التجارية في ملء بيت المال الحمادي ، وانعكاسه الإيجابي في تحقيقهم لاستقلال قراراتهم ، وتمويل جيشهم ، ووصفهم لنشاط البحرية الحمادية التجارية والحربية ، ودور الصناعة بموانئها ، ومنها :

ما كتبه البكري المتوفى سنة 487 هـ / 1094 م في كتابه : " المسالك والممالك " في الجزء المسمى " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " حيث قدم وصفا دقيقا للتحصينات الحمادية ، وموانئها ومدنها بحكم معاينته الميدانية لها .

وكتاب " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق " والجزء المؤخوذ منه والمسمى بـ " صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس " في وصفه لنشاط الملاحة البحرية الحمادية ، ودور صناعتها ، ومقوماتها بأهم موانئها ، بجاية ، بونة ، مرسى الخرز (القالة) ونفس المادة بثرائها وتنوع مواضيعها ، تم تحصيله أيضا من كتاب " الإستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مجهول ، الذي عايش الحماديين حيث كانت وفاته حوالي سنة 588 هـ / 1192 م ، في وصفه لمراكز المدن المحمدية ، وطبيعة تحصينها ، وتعداها إلى تقديم معلومات تاريخية سياسية رغم اتصاف بعضها بعدم الدقة ، ومنها حديثه عن معركة " سببية " .

ونحا ياقوت الحموي منحى الوصف في كتابه " معجم البلدان " فزودني بدوره بنفس المادة التي قدمها باقي الرحالة . إضافة إلى معلومات مكملة استقيتها من رحلات

المتأخرين منهم بالنسبة للمرحلة المدروسة ، ومنها :

رحلتنا " التجاني " و " العبدري " في إضافة جوانب أخرى لم يثرها السابقون امام حركة التوسيع أو التدهور التي عرفتها المناطق التي حلا بها .

أو من "ديوان شعر" ابن حمديس الصقلي (447 هـ - 527 هـ) شاعر البلاط الحمادي بجاية في فترة من فترات سيادتها ، باعتماد وصفه لبعض المعارك التي خاضها "الناصر بن علناس" وولده "المنصور" ، أو مدح بعض قادة جيشهم ، وسيلة أساسية لاستخراج أهم أنواع الأسلحة المستخدمة ومدى فعاليتها .

ومن المصادر المتأخرة جدا زنيا بالنسبة للفترة التي تناولتها كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود" لابن العنابي ، الذي عمل على التأصيل للتجنيد ، وضوابط التعبئة الحربية كوسيلة رئيسية لبناء قوة الدولة وصيانة حياضها . وكتب التراجم ومنها خصوصا كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان ، في ترجمته لحياة بعض الملوك الزييريين أو الحماديين أو غيرهما . كما استعنت بمجموعة من الكتابات لباحثين أجانب اهتموا بدراسة تاريخ إفريقية وبلاد المغرب إما مراجع أو مقالات نشرها أصحابها في مجلات متخصصة في تاريخ المنطقة ، ومنها المجلة الإفريقية revue Africaine ، والمجلة التونسية revue Tunisienne " خاصة الدراسات الأثرية للمدن الحمادية التي قام بها كل من الأستاذ "marçais, G" و "Mequesse" ، و "Bercher" والتي أفادتني في أخذ صورة واضحة عن طبيعة التحصينات العسكرية التي أنشئت على أساسها هذه المدن في شكل أبراج ونظام الحراسة والحركة فيها .

أما الدراسات فمتعددة هي الأخرى وأبرزها على الإطلاق ما كتبه : "قولفان" Golvin " في كتابه "المغرب الأوسط في عهد الزييريين" "Le magrib central a l'epoque des zirides" ، حيث تزودت منه بمعلومات كافية عن أسباب الصراع بين صنهاجة وزناتة ، ورصد حركة الحماديين والزييريين السياسية والعسكرية ، إضافة إلى غناها بالرسومات التخطيطية للمدن ، والخرائط المحدد لتوزيع القبائل ، وحدود الدولة في بلاد المغرب كله . وما كتبه "روجي إدريس" Hady " roger idris " عن بلاد البربر الشرقية في عهد الزييريين " La berberie orientale sous Les zirides " في تحديد العلاقة بين صنهاجة وزناتة ، وإبراز دور "حماد بن بلكين" مؤسس الدولة الحمادية في وضع حد لهجمات زناتة المتكررة على الناحية الغربية للمغرب الأوسط ، وكيف شجعت انتصاراته على الاستقلال بذاته عن الدولة الزييرية . وكانت استفادتي أيضا مما كتبه "مارسي جورج" "Marçais.G" في كتابه "بلاد البربر الإسلامية والمشرق في العصر الوسيط" " La berberie musulmane et L'orient au moyene age " في تحديده لتوتر العلاقات الزييرية الحمادية، وتتبع

حدثها إضافة إلى تأثيرات الحملة الهلالية على إفريقية والمغرب الأوسط . وكتاب "شارل أندري جوليان" "تاريخ إفريقيا الشمالية" "Histoire de L² afrique du Nord" الذي حقق لي نفس الغرض . و "قولفان" "golvin" في كتابه "ماضي شمال إفريقيا" "Le passe de L² afrique du Nord" في تحديده لعلاقة صنهاجة بزنانة ، وإبراز تحصينات المدن الحمادية ودواعي إنشائها ، وإرفاقها بخرائط طوبوغرافية لتوضيح دواعي اختيار بنائها في تلك المناطق بالذات ، وأفادني "ماس لاتري" "Mas - latrie" في كتابه "Traite de paix et de commerce les relations des chrétiens avec les arabes" في توضيح علاقة الحرب والسلام بين الحماديين والمسيحيين ومنها وثائق عن مراسلات تمت بين الناصر بن علناس و "البابا غريغوري السابع" .

إلى جانب المؤلفات العربية الحديثة خاصة التي اهتمت بدراسة تاريخ النظم ، ومنها النظم الحربية ، أو التي اهتمت بتاريخ المغرب عموما ، والمغرب الأوسط خصوصا . وأخص بالتقدير والتثمين ما كتبه أستاذنا "رشيد بورويبة" عن الدولة الحمادية والمترجمة إلى اللغة العربية

، وكذا " إسماعيل العربي في كتاباته عن نفس الدولة، و محمد بن عميرة عن " دور زناتة في الحركة المذهبية في المغرب الأوسط".

و ختاماً أتوجه بأسمى عبارات التقدير و الشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع، و أخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور موسى لقبال ، الذي لم يدخر جهداً في متابعتي وتوجيهي ونصحي وتشجيعي على المثابرة الدائمة لتقديم الأفضل . كما أشكر جميع أساتذتي خلال مشواري الدراسي ، بدءاً بأستاذة قسم التاريخ - كلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر وبالأخص الأستاذين : قويدر بشار ، و عبد الحميد الخالدي على قراءتهما لمسودة الرسالة ، هؤلاء جميعاً الذين كان لهم سبق تزويدي بالمبادئ الأساسية التي سمحت لي بالتدرج في عالم البحث والتنقيب ، وبالتوجيه و التحفيز الدائمين على المثابرة والعمل المتواصل .

كما أتقدم بالشكر أيضاً إلى عمال المكتبتين الجامعية والوطنية بالجزائر ، ومدير عمال " دار الكتب الوطنية بتونس " ، ومركز الأرشيف الوطني بتونس ، ومعهد الدراسات الإسلامية بالقيروان ، وباقي مراكز البحث على ما أسدوه لي من مساعدة ، ومختلف المكتبات العامة والخاصة على ما قدموه لي من خدمات جليلية في تحصيل الكثير من المصادر والمراجع لإتمام موضوع الدراسة .

مدخل :

الدولة الحمادية إحدى القوى السياسية التي قامت في المغرب الأوسط ، ضمن الجزء الذي تبلور إداريا منذ القرن الثالث الهجري للدلالة على القسم الغربي من الدولة الإسلامية ، ومنه يحدد إطاره الجغرافي بين بجاية شرقا ، إلى وادي ملوية وراء تلمسان غربا . (1)

لتعرف هذه الحدود اتساعا أشمل في العهد الحمادي ممتدة من مدينة بونة شرقا - كحد فاصل بين المغربيين الأوسط والأدنى (إفريقية) - إلى مدينة تلمسان وما والاها كفاصل بين الأوسط والأقصى . (2)

ورغم توسع هذين الإطارين من فترة لأخرى ، حسب القدرة العسكرية لكل أمير في اكتساح لهذا الجزء أو ذلك ، فقد ضم " الناصر بن علناس " (454 - 481 هـ / 1062-1089 م) مدينتي تونس والقيروان بطلب من سكانهما " فمشى أشياخ من أهلها إلى الناصر بن علناس وهو إذ ذاك في القلعة ... فاستدعوا منه النظر إلى مدينتهم ، وتقديم وال من قبله عليهم " . (3) وبقي إشرافهم عليها بواسطة أسرة "بني خرسان" حتى سنة 543هـ/1148 م تاريخ استيلاء"روجر الثاني"النورماني على مدن من إفريقية ، ومدّ خليفته " المنصور بن الناصر " (481 - 498 هـ / 1089-1105م) . حدودها إلى مدينة فاس غربا .

وارتبط اسم هذه الدولة باسم مؤسسها " حماد بن بلكين " (405-419 هـ / 1014-1028 م) بدءا بالحركة الانفصالية الناجحة التي قام بها سنة 405 هـ / 1014 م عن الدولة الأم (الزيرية) بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب ، إذ استطاع بتكليف من ابن أخيه "باديس بن المنصور" سنة 387هـ/997م، من قهره لبطون قبائل "زناتة"

- 1- لقبال موسى ، بورويبة رشيد ، وآخرون - الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي - من الفتح إلى بداية العهد العثماني - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ط 1 - 1984 - ج 3 - ص 13 .
- 2- ابن أبي دينار عبد الله محمد القيرواني- المؤنس في أخبار إفريقية و تونس - تحقيق و تعليق محمد شمام - المكتبة العتيقة- تونس - ط3-1387 هـ-ص95.
- 3- ابن عذاري المراكشي - البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب- تحقيق و مراجعة ليفي بروفنسال و كولان (ج،س) ط 3 - 1983 - ج 1، ص ص:316-317.

على الحدود الغربية للمملكة و تسييرها لشؤون المغرب الأوسط من جبل الأوراس شرقا إلى تلمسان و ملوية غربا . (1) بموافقة من "باديس" ، و ما زاد في تشجيعه على ذلك بناؤه للقلعة التي اشتهرت باسمه و اسم بنيه " قلعة بني حماد" سنة 398 هـ / 1006-1007 م فاستغل محاولة ابن أخيه لتقويض حدود ولايته فكانت سببا مباشرا لإعلان المواجهة العسكرية بين الطرفين، و إيذانا بانقسام ملك الدولة الصنهاجية إلى فرعين: إحداهما بالمغرب الأدنى، و الأخرى بالمغرب الأوسط، فانقسم تاريخها من التأسيس حتى السقوط إلى ثلاث فترات هي :

1- الفترة الأولى : (405-443 هـ/1014-1051 م)

انطلاقا من إنشاء "حماد" لقلعته سنة 398 هـ/1007 م مرورا بنجاح حركته الاستقلالية سياسيا و مذهبيا عن الدولة الزيرية، و الخلافة الفاطمية و مذهبها الشيعي، و إعلان ولاءه للدولة العباسية، و اعتناقه للمذهب السني ابتداء من سنة 405 هـ/1014 م. (2) مما نتج عنه صراع دموي بين أبناء الأسرة الصنهاجية الواحدة.

2- الفترة الثانية : (443-481 هـ/1051-1089 م)

شهدت فيها الدولة الحمادية أوج عظمتها(3) اتساعا و حضارة، و ثقافة نتيجة للدور المعتبر الذي قام به الملك "الناصر بن علناس" و منها تحويله لعاصمة الدولة من القلعة إلى بجاية سنة 460

هـ / 1067-1068 م (4) في محاولة منه لعزل الهلاليين، وفتح آفاق جديدة لدولته و احتياطا من زوال ملكه على غرار ما حصل لبني عمومته الزيريين بإفريقية.

3- الفترة الثالثة : (481-547 هـ/109-1152 م)

و فيها تقلص نفوذهم تدريجيا، رغم نشاطهم البحري الكبير في صد النورمان المسيحيين بقيادة ملكهم "روجر II" و وضع حد لتواطؤ حكام إفريقية معهم، من خلال حملات "العزير بن المنصور" وخليفته "يحيى" على المهديّة وما والاها(5).

1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1979	-	519
2	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1970-1	-	173
3	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1980	-	138
4	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1983	-	83
5	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	-	312
	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1983	-	6
	-	-	-	-	-	-	-	-	-		-	331

خلال هذه الفترات الثلاث اعتمدوا في تسيير شؤون دولتهم نظاما سياسيا ملكيا وراثيا تحت حكم الملك أو الأمير ، في حين تولى باقي أعضاء الأسرة ، وأسر أخرى مقربة منهم ، الوزارات ويعينون كعمال لإدارة شؤون مراكز المدن التابعة لها .(1) كما امتلكت أجهزة متعددة اتخذت وسائل رئيسية لحركة الدولة ونشاطاتها ، بدءا بالجهاز المالي ممثلا بالخزينة في مقرها بالقلعة ثم بجاية ، حيث تعددت مداخيلها من المغنم والخراج وغيرها من الموارد الشرعية الأخرى . والجهاز العسكري كأهم مؤسسة اعتبارا للدور الفعال الذي قامت به في إرساء ركائز الدولة ، وتوسيع رقعتها ، والحفاظ على مكتسباتها وحدودها ، ومنحها هيبه خاصة بين دول بلاد المغرب كلها (2)، حيث نشأت الدولة الحمادية وترعرعت في ظل الصراع والمواجهة سواء مع القبائل المجاورة خاصة بطون زناتة غربا ، أو بني عمومتهم الزيريين شرقا ، أو مع الروم المسيحيين على الواجهة البحرية المتوسطية شمالا ، مما جعل الحياة السياسية العامة تطبع بالطابع العسكري من خلال استعدادها الدائم للحرب ، وتعدد حجم المواجهات مع غيرهم .

ولعل افتكاكهم لاستقلالهم بالقوة الحربية ، وصدّهم لهجمات المثلثين المتحالفين مع قبائل زناتة ، وتمكنهم من الوصول إلى مدينة فاس في قلب المغرب الأقصى ، يؤكد جليا مكانة هذه الدولة في عمق التاريخ المغربي العام.(3).

ورغم سلبيات التمزق السياسي لوحدّة المغرب الإسلامي عقب رحيل الفاطميين عنه خلال القرن الرابع الهجري وقيام الدولة الزيرية ثم الحمادية في نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري ، إلا أن إيجابيات ذلك كانت معتبرة ، إذ عدت منعرجا تاريخيا هاما في حياة المغرب الأوسط خصوصا ، وبلاد المغرب كله عموما وذلك للاعتبارات التالية :

1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	304	-	6
2	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1983	-	6
3	-	-	-	-	-	-	-	-	-	(3)	-	276
	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1964	-	86
	-	-	-	-	-	-	-	-	-	280	-	205

63 - 1968 - - - " - - - - 1

2- Mas- latrie (M.L) – traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes - published in paris – 1866 – P 32 .

43 42 : - 1 - 1986 - -
291 290 : - 1 - - - 3

في مساجد بجاية وغيرها ، وأمام تنوع موارد الدولة تشجع أصحاب العلم والحرف بالمنح والجوائز ، فغدت بحق عاصمة للعلم والعلماء ، وقبلت الطلاب الوافدين من الأندلس وأوروبا ، ومن مصر والحجاز وغيرها ، رغبة منهم في الإفادة والاستفادة ، حتى وصل ما يجتمع على المدرس الواحد ما يزيد عن المائة طالب على اختلاف أجناسهم ومللهم . إلى جانب تبجرها في مجال العمران الذي شمل مدنا واسعة ، احتوت طرازا عمرانيا متعددًا تمثل في المساجد ، والقصور التي اشتهرت بها القلعة وبجاية ، على غرار مسجد القلعة الذي لا تزال منارته شامخة تروي قصة حضارة هذه الدولة إلى اليوم ، وقصر " بلارة " الذي بناه " الناصر " ، وقصر " أميمون " الذي بناه " المنصور " مما جعلها محل إلهام الشعراء والمعجبين ، وأبرزهم شاعر البلاط الحمادي " ابن حمديس الصقلي " الذي أنجز قصائد عبرت أبياتها عن جمال وروعة ما عاينه .

هذه المعطيات كلها جعلتنا نفصل بين مرحلتين تاريخيتين متميزتين من عمر الدولة الحمادية في جانبها العسكري :

أما الأولى : فامتدت من التأسيس إلى نقل مقر العاصمة من القلعة إلى بجاية وأهم مواصفاتها :

الاتجاه نحو وضع الأسس الأولى للدولة وفي مقدمتها إنشاء قواتها العسكرية ممثلة في الجيش النظامي المتكون عادة من الأفراد الذين يتلقون ممارسة وتدريبًا حربيًا دائمًا ، مما يجعلهم على استعداد دائم للذود عن حياض الدولة ، والأخطار التي تهددها ، وهو ما حاول حكام القلعة القيام به على أكمل وجه ، اعتمدت على دعامة رئيسية تمثلت في العنصر الذي استندت إليه الدولة في قيامها وهي قبيلة صنهاجة ، مع تطعيمه بعناصر أخرى ، باللجوء إلى القبائل الحليفة مثل بعض بطون زناتة ، أو بعض القبائل العربية الهلالية التي نزحت إلى إفريقية ثم المغرب الأوسط . وقد أمكن لهذا الجيش تحقيق انتصارات عدة ، بتعدد المواجهات التي خاضها ضد خصوم الدولة ، وتمكن من تثبيت ركائزها ، ووسع إطارها ، وحافظ على حدودها رغم التحديات التي واجهتها ، وفي مقدمتها عدم القدرة على وضع حد للتغلغل الهلالي في الأمصار الشرقية للمملكة وصولًا إلى القلعة وما يحيط بها ، وهو ما جعلها تنتقل إلى المرحلة الثانية من أدوار حياتها .

المرحلة الثانية : ويؤرخ لبدايتها بإنجاز "الناصر بن علناس " لمدينة بجاية ذات الموقع الهام المفتوح على البحر ، ثم تمصيرها واتخاذها عاصمة جديدة بديلة عن القلعة منذ 460 هـ - 1067/ 1068 م .وفي هذه المرحلة أصبحت الدولة أكثر نضجا ، بانتقالها من مرحلة التأسيس إلى البناء الحضاري الحقيقي ، تجلى ذلك في الانجازات المحققة حتى غدت "عين بلاد بني حماد والمغرب الأوسط " على حد تعبير الرحالة الإدريسي . وانتقل فيها الجيش إلى قوة أكثر فعالية وخبرة وتنظيما ، خاصة جمعه بين تنظيمين : قوات برية ، وأخرى بحرية ، بامتلاك الدولة لأسطول حربي ساعدها على تحصيله انفتاحها على الواجهة المتوسطية ، ووفرة مقومات الصناعة البحرية ، حجم التحديات الجديدة التي فرضت عليها في إطار الصراع الحضاري بين الشرق والغربي ، الذي أصبحت تمثل أحد أطرافه الرئيسية في الحوض الغربي للمتوسط ، وهو ما فرض على الجيش مهمة أثقل ، وأهمية أكبر ، في اكساب الدولة مكانة وهيبة ، على اعتبار أن السلم لا يتحقق إلا إذا دعمته قوة تدفع الطرف الأخر إلى الأخذ به ، وهو ما حاول الحماديون القيام به مع كل الأطراف التي ناصبتهم العداة . وهذا ما عملت رصده وتتبع حيثياته عبر هذه الدراسة المتواضعة ، بتسليط الضوء على جانب آخر من حياة الدولة الحمادية ، أراه لم يحظ بعناية المهتمين بالتاريخ ، فاجتهدت لتحصيل بعض منه .

والله الموفق وهو خير معين .

œ 70 11 œ

• • • • •
• • • • •
• • • • •

Ω 26 11 Ω

.

.

.

❖

❖

❖

تعد القوة العسكرية الركيزة الأساسية التي تستمد إليها الدول عادة في تثبيت كياناتها ورعايتها ، سواء على المستوى الداخلي بحفظ النظام ودفع السكان إلى الالتزام بالأوامر والقوانين التي تسيروهم ، وعلى المستوى الخارجي بصدّ الأخطار التي تهددها ، ورد الأعداء الراغبين في التوسع على حساب أراضيها .

وبناء عليه يتم إعداد الجيش على أسس نظامية هيكلية ، قوامها تقسيم قواته إلى وحدات كبرى ، ذات وسائل متعددة ، بغية تسهيل عملية الإعداد والتدريب والتعبئة للتحكم نظريا في إدارة المعارك من جهة ، والإشراف على النشاط والأداء العسكري لمختلف فرقته على أفضل وجه خلال مباشرة القتال فعليا من جهة أخرى ، مما يضمن تنفيذ المهام الهجومية أو الدفاعية التي تصدر عن القيادة .(1)

واقْتباسا للنظام التقليدي الذي اعتمده الدول الإسلامية ، وغيرها من الشعوب الأخرى في تقسيم الجيش ثنائيا إلى قسمين :

1- جيش نظامي : قوامه العناصر التي اتخذت الجندية مهنة قارة ، مشكلة بذلك النواة القاعدية للجهاز العسكري للدولة .

2 - جيش غير نظامي : قوامه المتطوعون ، أو الأطراف المتحالفة مع الدولة .(2) ، فهم ينضون تحت لواء التشكيلة العامة للجيش في حالة الحرب فقط، ويسرحون في حالة السلم . (3) فيخصص للقسم الأول رواتب تمنح لهم شهريا بطريقة منتظمة ، في حين يحصل القسم الثاني على جزء من الغنائم ، بناء على اتفاق مسبق يتم بين الدولة والمتحالفين معها من القبائل المختلفة .

وعلى هذا المنوال أنشئت الدولة الحمادية جيشها الذي تم تقسيمه كالتالي :

1- قوات نظامية : تتشكل من العناصر التي تضمن الدولة ولاءها المطلق، متمثلة في أبناء قبيلة صنهاجة ، عصب الحماديين الرئيسي ، وعضد دولتهم ، إلى جانب العبيد السودانيين المجلوبين عن طريق التجارة من بلاد السودان

- 1 - - - - 1980 - 1 - 323 .

- 2 - - - - 299 - 1 -

- 3 - - - - 65 1956 - - - -

جنوبا أو غيرها .(1) أو باللجوء إلى نظام التجنيد الإجباري الإلزامي .(2)، إذ عادة ما يعتمدون عند الحاجة إلى قوات إضافية لمواجهة الأعداء الأكثر عددا وعدة ، ويتم ذلك بإرسال عناصر من الجيش النظامي نفسه ، للتجوال بين أزقة المدن لتجميع الشباب الذين تتوفر فيهم مواصفات التجنيد من (قوة جسمانية - شجاعة - كفاءة) مما يضمن أداءهم العسكري الجيد عند التدريب أو القتال الميداني الفعلي .

2- قوات غير نظامية : أساسها العناصر القبلية الأخرى من البربر : زناتة وبطونها أو جموع صنهاجة عامة ، أو القبائل العربية من بني هلال و عدي والأثبيج لتدعيم القوات النظامية في حالة التعبئة العامة .(3) خاصة على عهدي "الناصر بن علناس" و خليفته " المنصور بن الناصر" .

وتطلق المصادر على هذا النوع من التجنيد مصطلح المتطوعين ، إذ تستنفر القبائل المختلفة للدفاع عن أمن الدولة وحياتها ، على غرار ما ذكره ابن الأثير " ولما ملك عبد المؤمن بجاية ، جمعت صنهاجة من أمم لا يحصيها إلا الله.. واجتمع معهم من لوائه وغيرها وقصدوا حرب عبد المؤمن بن علي " .(4) سنة 547 هـ / 1152 م .

وتلجأ الدولة إلى الإغراء بالفوز بالغنائم وسيلة لجذب القبائل المختلفة لخوض غمار الحرب ، إذ يوعد المقاتل الواحد منها بنصيب خاص ، ويمكن أن يستفيد بحصة أكبر في حالة البلاء الحسن ، وهذا الأسلوب يسمى عادة بنظام

-1	-	-	63	-	-
-2	"	-	"	-	"
-	-	-	299	-1	-
-	-	-	65	-1983	-
-1980	-	-	-	-	(. .)
-	-	-	-	-	139
-1978	-	-	-	-	-
-1	-	-	-	-	454
-4	-	-	31	-9	-
-	-	-	304	-24	-1983

" المرتزقة " فاستفادتهم تكون مضمونة بالأجر والغنية في حالتها النصر أو الهزيمة ، مما يترتب عنه في نظري مخاطر كبرى إذ تجعل هؤلاء " المرتزقة " يغيرون مواقفهم لصالح من يدفع أكثر ، ومنه اختلال التوازن في المعركة حتما في حالة توظيف العدو لهذا العامل ، على نسق ما فعلته القبائل الهلالية في بعض المواجهات التي دارت بين الحماديين والزيريين ، ومنها موقعة "سببية" سنة 457 هـ / 1064 م ، إذ قلبوا كفة المعركة لصالح الزيريين على حساب بني عمومتهم ، بعد أن كان التفوق واضحا للحماديين .(1) بناء على إغراءات مادية ، وأبعاد استراتيجية .

أو باللجوء إلى المرتزقة من الشعوب الأخرى ، ومنهم الأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام ، إذ يكونوا أكثر ولاء وانسجاما مع نظام الجيش ، لابتعادهم عن أوطانها ، وصعوبة استمالتهم ، فمن مواصفاتهم الثبات في المعارك (2) ، يصنفون ضمن صفوف الفرسان أو المشاة ، مقابل رواتب يتقاضونها جراء الخدمة أي " المستخدمين بالأجر على المدافعة " .(3) وهذا النوع من التجنيد يمثل دعامة هامة للجيش فهو يزيد من عدده على اعتبار أن الحروب التقليدية عادة ما كانت تستند إلى القوة العددية أكثر من غيرها .

وزيادة في دقة التنظيم ، وقوة التعبئة ، واستعدادا لمختلف الاحتمالات ، والمتغيرات التي تحدث عادة في قلب كفة المعركة ، لجأ الحماديون إلى تقسيم جيشهم إلى عدة فرق تسمى باسم أصول العناصر المشكلة لكل فرقة ، وهو ما يطلق عليه في التنظيم العام للجيش مصطلح نظام " الكراديس " .(4) فنتج عن ذلك الفرق التالية :

-1	-	-	-	-	-
-	-	-	44,45	-10	-
-	-	-	620,621	-1979	-
-	-	-	-	-	-
-	-	-	205	-1949	-1

-	67	-	-	-
302	-	1992	-	-
	.275	-	-	-3
				-4

481 482 .
-6 - - - - : 195،196 :

1- فرقة بني حماد : وتمثل القوة الضاربة للجيش ، باعتبارها أكبر الفرق العسكرية المدافعة عن حياض الدولة ، قوامها العناصر الصنهاجية ، وتكون في طليعة الجيش ، فهي التي تبادر بالقتال ، وتحمل تبعاته ، أي تمثل القلب الذي يترأسه عادة الملك أو قائد الجيش . (1)
2- فرقة السودان : (2) وتتشكل من العبيد (3) الذين يجلبون من بلاد السودان ، بفعل حركة التجارة الحيوية بين القلعة وبجاية وغيرهما من الأمصار ، وهذه المنطقة جنوبا ، إذ تم اختيارهم تبعا للمواصفات الجسدية وقوة التحمل والصبر التي يمتازون بها ، بعد إخضاعهم لعمليات التدريب المختلفة التي يباشرها قادتهم ، مما يضمن ولاءهم للملك ويجعلهم أكثر تقربا منه ، إذ هي بمثابة قوات خاصة تلازمه بشكل دائم في إقامته وترحاله ، أو نشاطاته العسكرية في المعارك التي يتولى قيادتها بنفسه ، فيكون بذلك في مأمن ، وحماية من أي طرف يترصده أو يسعى إلى الغدر به (4)

3- الفرقة الأندلسية : خليط من العرب والبربر ، نزحوا إلى بجاية عقب اتخاذها عاصمة ثانية بدلا عن القلعة سنة 460 هـ / 1067م . إذ سمح لهم مؤسسها " الناصر بن علناس " (454 - 481 هـ / 1062 - 1089 م) وخليفته " المنصور " (481 - 498 هـ / 1089 - 1104 م) بالاستقرار بها وبغيرها من المدن الساحلية الأخرى ، مثل دلس (تدلس) وبونة (5) محاولة منهما للاستفادة من خبراتهم خاصة في المجال العسكري البحري ، وكذا الصناعة الحربية المكتسبة كرصيد من عمليات الفتح الأولى ، أو من الصراع الأموي العباسي ، أو صراع دول الطوائف بالأندلس .

-1 - - - 359

-2

- - - - - " " - - - - -
193 - 1957 .

-3 - - - 127 - 1977 - - - - -

-4

- - - - - 353 - 1994 - 1 - - - - -

-5 - - - - - (484 - 443 / 1051-1091) - - - - -

- - - - - 49 - 1994 - 1 - - - - - : 151 150

4- فرقة الروم الصقالية: (1) تتكون من مرتزقة ، يتم شراؤهم من مجمل الأسرى النورمان المسيحيين ، أو ممن اعتنقوا الإسلام نتيجة للتسامح الديني الذي مارسته الدولة الحمادية بأمصارها ، خاصة بعاصمتها الأولى القلعة (2)

إلى جانب فرق الحلفاء من القبائل العربية متعددة البطون من بني هلال وعدي والأثيج (3) ، والبربرية من زناتة وبتونها مثل مغراوة ، وبني وامانو .. الخ (4) ، المدعمن للجيش من فترة لأخرى .

وفي تقديري ينطوي نظام الكراديس على إيجابيات عدة ، أبرزها على الإطلاق : ضمان وحدة المجندين وطاعتهم ، وولائهم لقائدهم ، وفي الوقت ذاته تنافس القبائل فيما بينها ، لإثبات القدرة على الإقدام والشجاعة ، وهي الصفات التي تسعى كل واحدة منها المحافظة عليها أو اكتسابها ، مما يجعلها تحصل على غنائم أكثر ، مهابة الجانب ، صاحبة صولة وإقدام في نظر الملوك أولاً ، ولدى غيرها من القبائل ثانياً . وقد حدد ابن خلدون أهمية القتال على وحدة العصبية بقوله : " والصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية أن تكون في أحد الجانبين ، عصبية واحدة جامعة لكلهم ، عكس العصبية المتعددة التي يقع بينها عادة التخاذل . " (5)

إلى جانب ما اعتمده الملوك والأمراء من فرق أخرى ، سميت الحرس ويطلق عليها " الحرس الخاص " تقتصر مهمتها على حراسة الملوك والأمراء في كل الأحوال ، يخصص لهم جانب من أطراف المدن ، يقيمون فيه أثناء أداء

-1

" sklavos "

" "

- 14

" " - :

254 250 :

4 3 : - 1961 - 1 - -

DE Mas latrie - op ; p32

165 164 : - - -2

.cit

.454 - - 299 - 1 - - -3

.359 - 6 - - -4

.492 491 : - - -5

الخدمة ، وفي تغيير الأماكن في أوقات الحراسة ، يختارون إما من العناصر الصنهاجية أساساً ، أو من العبيد أو الإفرنج ، ويتلقون تدريبات خاصة على الحماية ، والمناورة ، وحسن التصرف عند الطوارئ ، ومثال ذلك " قصر البحر " (قصر البحيرة) القصر الرئيسي بالقلعة الذي ألحق بجانبه الشرقي مبنى خصص لإيوائهم . (1)

أما هيكلة الجيش : عموماً والنظامي خصوصاً فاعتمدت الترتيب التالي :

1- فرقة الفرسان أو الخيالة : (2) اهتم الحماديون كغيرهم من المغاربة بالفروسية ، فأنشأوا أجيالهم عليها ، فعادة ما كان أولادهم يمسون عصياً يتخذونها جياداً كأنها فرسان ، مما يدخلها ضمن سلوكهم اليومي ، ويجعلهم ينشرفون بها ، ويعولون عليها في حروبهم ، والتباهي والتفاخر بامتلاك أجودها (3) وفيها يقول الشاعر بيتاً من البحر الطويل :
فكأنما ولدت قياماً تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها .

وتعد قبيلة بني برزال (4) أكثر العناصر تطعماً لهذه الفرقة ، التي تتطلب التدريب الجيد ، والذكاء والفتنة ، مما يمكن من استعمال المهارة والمناورة وسيلتين للحركة ، وتخطي الصعاب التي تعترض الجيش عند المواجهة .

2- فرقة المشاة: وهم جنود يعتمدون السير على الأقدام وسيلة للحركة يرتبون في صفوف خلفية وراء الفرسان ، بناء على نظام الكراديس ، وتمثل الفرقة ثاني شطر أساسي في الجيش (5)، ومنه قيل "المشاة سيد الأسلحة" يستخدم جنودها القطع الحربية المتنوعة (6) ، وعليها تتحدد مهمة واختصاصات كل قسم فيها :

-1	-	-	125
-2			
:	-	-	192
-3	-	-	
-4			1997 - 25
-5	-	-	355
-6	-	-	118

- السيافة : وهم المدربون والمتخصصون في المبارزة ، واستعمال السيوف ، تسمى فرقة " المجبوذة " ، أو "المجذوبة" ، تتخذ موقعا خلفيا من ترتيب الجيش حماية لظهره من أي طارئ .(1)

- الرماحية : الحاملون للرماح المتقنون لاستعمالها ، تكون ملامستهم للعدو من بعيد ، فهم بذلك يحدون من حركة العدو وتقدمه صوب القلب ، حيث ينصب مجلس الملك ، قائد المعركة ، فيلجأ عناصرها إلى غرس رماحهم أرضا بشكل مائل يحدو من حركة الفرسان ، ومشاة العدو (2) ، وفي هذا يقول الشاعر أبا بكر الصيرفي بيتا من البحر الكامل :

وإذا تضايقت الجيوش بمعرك * ضنك فأطراف الرماح توسع

- النشابة : وهم المدربون على رمي السهام ، وضرب مقدمة جيش العدو ، وتعطيل حركته ، فعلى حيويتها وفعاليتها تحسم المعركة .

- فرقة حملة الدروع : (3) يأخذون وضعا في مقدمة الجيش ، يحمون الجسم كله أو جزءا منه ، بغطاء معد لذلك من مواد متنوعة كالفولاذ ، أو العاج ، أو الجلد المقوى ، يقى الجندي من ضربات السيوف وطعنات الرماح والسهام ، بحكم مواجهة هذه الفرقة للأعداء عند أول احتكاك في المعركة . (4)

استنادا إلى هذا التقسيم تتبين طبيعة الجيش الحمادي المتميزة بالتنظيم الدقيق ، مما يجعله جيشا منظما ، اعتبارا للاختصاصات التي اشتمل عليها ، واستيعابه لأكبر قدر من الفئات والعناصر ، مما أهلهم لتحقيق الكثير من الانتصارات على خصومهم الأكثر خبرة وعددا وعلى رأسهم الزيريون ، بحكم المواجهات العديدة التي دارت بينهما شرقا ، أو بينهم وبين المرابطين الساعين للتوسع على حسابهم عبر تلمسان غربا .(5)

سنة 405 هـ/ 1014 م (1) وسار على منواله خلفاؤه " القائد بن حماد " و " بلكين بن محمد " و " الناصر بن علناس " (2)

ب - أمير التعبئة : ويتقلده نائب الملك ، ينوب عنه في ترأس الجيش في حالة غيابه لسبب أو لآخر ، ويكون ملازما لـ "فازة السلام " (3) أي مجلس الملك الذي تضرب عادة في مكان معسكر الجيش .

ج - أمير الكردوس : وتطبق على القبائل المتحالفة مع الحماديين من بعض بطون زناتة (4) والهلاليين ، حيث يتولى شيخ القبيلة عادة قيادتها ، أي تخصص العناصر من غير الجيش النظامي ، فمجموع أمراء الكرديس يمثلون مجلس الحرب الذي يبيت في القضايا الحساسة المتعلقة بالمعركة تحت إشراف الملك أو أمير التعبئة .

2- القائد : (5) ويخضع لأوامر أمير التعبئة ، يمثل مركزه مكانة هامة في الجيش ، فعنه تصدر الأوامر التطبيقية للجند ، إذ يمثل حلقة وصل هامة ورئيسية بين مختلف وحدات الجيش وترتيبه الهرمي .

3 قائد السرية : ويكلف عادة بالعمليات الخاطفة ، المحددة المهمة ، والتي تربك الخصم ، فتدفعه إلى ارتكاب الأخطاء القتالية ، مما يرجح كفة نجاح المهام التي يكلف بها عادة ، فعلى عهد " الناصر بن علناس " استعمل "السرائيا" لضرب المتمردين على طاعته (6) .

ويختلف لباس الجند باختلاف الفرق التي ينتسبون إليها أو الأسلحة التي يستخدمونها ، أو الرايات التي يحملونها ، حيث يحمل مجلس الأمير الراية المتميزة للدولة وهي الشعار الرسمي لها (7) ، تثبت فوق خيمة الملك ، المسماة عند الحماديين بـ " فازة السلام " بينما تحمل القبائل المتحالفة معها على أساس نظام " الكرديس " راية خاصة لكل منها ، تستخدم وسيلة لرفع المعنويات والهمم ، و التنافس بين القبائل المختلفة في ميدان المعركة .

-1	-	-	-	-	264	-1	-	-
-2	-	-	-	-	356	352 :	-6	126 125 :
-3	-	-	-	-	127			
-4	-	-	-	-	"	"	"	1014/ 405 :
-5	-	-	-	-	351	-	-	
-6	-	-	-	-				89 .
-7	-	-	-	-	356	-	-	355 .

القيادة العامة للجيش :

تعتبر من المسؤوليات الكبرى في الدولة ، نظرا لاستناد هذه الأخيرة للجيش كمحرك أساسي لكيانها ، والصفة الحربية التي طبعت بها ، فكان اللجوء إلى الاختيار الدقيق لقياداته أمرا بالغ الأهمية ، لما يتحمله القائد من مسؤولية في اتخاذ القرارات الصائبة ، التي تجعل منه عنصرا فاعلا ، يتصرف بحنكة عالية عند كل طارئ يعترض فرقته ، فيوجهها لخدمة هدفه في الانتصار ، فمن المواصفات العامة المحددة لذلك :

الجرأة - الصبر - الفراسة (حسن حضور البديهة) - الحذر والحيطه - والشفقة وحسن معاملة من هم تحت إمرته (1)

	"	"	"	"	1055 / 447	-2
					1062 / 454	
-				353 352 :	- 6 - -	:
				. 232 - 1983 - 3 - - -		
	355 1 - -	88 87 :	- - -	353 - -	-3	
		282,283:	4 - -	280 - 3 - -		
-	1305 - -				-4	
		231 - -		361 360 :	- -	118

Mercier – Ibid - P 171.

تهدد الدولة في مرحلة تأسيسها وبنائها ، والمتمثلة في الحملات المختلفة التي قادها الزيريون في محاولة منهم لاسترجاع المغرب الأوسط ، وامتلاكه مجددا ، وسعي الملوك لإكساب دولتهم هيبة ، ودفعا معنويا لمجنديهم .

رغم ذلك لم يمنع هذا التقليد من تولي قيادته من قبل أفراد الأسرة الحاكمة أو الأسر المقربة منها ، فكان اخوة الملوك أو أبنائهم أكثرهم توليا لهذا المنصب ، إما بحكم الثقة الكبيرة فيهم ، أو ترضية لهم بتقاسم مهام الدولة ، وإشراك أكبر جزء منهم في تسيير مؤسسات الدولة الحساسة ، وعلى رأسها الجهاز العسكري ، درءا للتنازع على الملك . فعلى عهد " حماد " أسند قيادة الجيش في بعض المواجهات إلى أخيه " إبراهيم " الذي استعان به على إقامة ملكه ، وتوطيد ركائزه عقب الحركة الانفصالية الناجحة التي قاما بها ضد ابن أخيهما سنة 405 هـ/ 1014 م ، بل انتقلت القيادة أيضا إلى قواد من غير أسرهم مثل " عباد الصادق " (1) ، و " عبد الله بن سكر " .

في حين قام " القائد بن حماد " بإحداث تنظيم عام مس أجهزة الدولة بكاملها ، وعلى رأسها الدفاع والقوات العسكرية ، التي عين عليها أخاه " عبد الله بن حماد " ، باستحداث منصب " قائد أركان الجيش " وهي أعلى رتبة في سلم هيكلته (2) . كما استعمل أكبر رموز الدولة عظمة ، وخامس الملوك " الناصر بن علناس " (3) إخوته وأبناءه على القيادة العليا ، أو قيادة فرعه بالمقاطعات ، بما استحدثه من تقسيم إداري في عهده ، إذ كلف أخاه " الفاسم " بقيادة الجيش ، ومنح باقي إخوته وأبنائه صفة القيادة العسكرية والمدنية على المقاطعات ، فعين أخاه " كباب " على مليانة ، و " رومان " على حمزة " البويرة حاليا " ، و " خزر " على نقاوس ، و " بلبار " على قسنطينة، وإبنيه " عبد الله " على الجزائر ومرسى الدجاج ، و " يوسف " على أشير (4).

210 - -	126 - -	311 - 6 - -	-1
	. 276 - 4 - -	- 121 - -	-2
			-3
" "	1067/ 460		

. 328 - - :

وهو نفس الهدف الذي توخاه أسلافه ، بمحاولته لمّ شمل الأسرة المالكة ، وجعلها وحدة متماسكة ، استطاع بواسطتها تأمين حدود الدولة خارجيا ، واستقرارها داخليا ، وأهلها في عهده لبلوغ أوج عطائها في الميدان العسكري ، والاقتصادي ، والثقافي ، سواء بالعاصمة الأولى القلعة قبل 460 هـ / 1068 م ، أو بالعاصمة الثانية بجاية التي كان له شرف بنائها ثم تمصيرها منذ هذا التاريخ .(1)

واعتمد " الناصر " في مناسبات أخرى ، تكليف وزرائه بالقيادة للقيام بمهام محددة ، ومنهم " خلف بن حيدرة" الذي تولى القضاء على ثورة " بني رمان " ببسكرة ، فكان له ذلك بدخوله المدينة والقبض على أعيانها وإرسالهم له بالقلعة ، رغم طابعها التحصيني الجيد (السور والخنديق) .(2)

إن هذا التغيير الدائم على قيادة الجيش يعود في نظري إلى إحداث عنصر المفاجأة في تعديل المناصب ، مما يضمن له حماية أكبر ، تحاشيا لأي حركة تصدر عن الأقربين ، ومنعا لتشكيل موالين دائمين من الجنود للقيادة إذا ما طال تقلدها لنفس المنصب ، وهو ما يبرز الحنكة السياسية التي اتصف بها " الناصر بن علناس" .

وزيادة في تماسك وحدة الجيش ، وضمانا لاستمرار التحالف الذي جمع بين الحماديين وغيرهم من القبائل ، خاصة بني هلال ، كان انتقاء القادة - عادة - من قبيلة صنهاجة ، أساس الدولة وعمادها ، إذ يذكر ابن الأثير أن " أبا قسبة " شيخ صنهاجة تولى قيادته أواخر عهد الدولة سنة 547 هـ / 1152 م أيام " يحيى بن العزيز " آخر ملوكهم ، في محاولة فاشلة لصدّ الموحديين عن بجاية .(3) كما اشترك في قيادة جماعية معه للجيش ، كل من "جوشن بن العزيز" الصنهاجي ، و " ابن الدحاس" شيخ من قبيلة الأثبج الهلالية (4) دفاعا عن القلعة التي وصل إلى أسوارها

-1	-	-	-10	: 32 33	-	-	-	-	-	357	-6
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
-	-	-	-1974	: 25 27	-	-	-	-	-	-	-
-2	-	-	-	-3 207	-	-	-	-	-	615	-
-3	-	-9	31	-	-	-1	289	-	-	-	-
-4	-	-	127	-	-	-	-	-	-	-	-

الموحدون واقتحموها هي الأخرى في نفس السنة " وقتل جوشن بن العزيز ، وبن الدحاس من الأثبج معه ، وخربت القلعة " .(1) مما يثبت في نظري قوة ولاء هذه القبائل وشيوخها للدولة ، من خلال الدفاع المستميت عليها ، سواء بالنسبة لعاصمتها الثانية بجاية ، و الأولى القلعة ، ووحدة صف القيادة رغم تباين مشارب قبائلها .

كما طبعت الحياة السياسية للدولة في أواخر عهدها بميزتين كان لهما الأثر المباشر على مؤسسة الجيش :

الأولى : هيمنة أسرة " بني حمدون " على دواليب السلطة الحمادية ، خاصة على عهدي " العزيز بن المنصور" (498 - 515 هـ / 1104-1121 م) ، و " يحيى بن العزيز " (515 - 547 هـ / 1121-1152 م) ، حيث تقلدت الوزارة ، وقيادة الجيش ، وتعدته إلى توارث هذه المناصب داخل الأسرة نفسها ، كسنة تلازم الدول حالة ضعفها ، وقرب أو ان سقوطها . فمن أبرز من تقلد مناصب جمعت بين الوظيفتين " علي بن حمدون" الذي تولى الوزارة وقيادة

الأسطول ، فقد قام بتنفيذ حصار مزدوج على جربة ، ثم تونس وأخضعهما لطاعة الحماديين على عهد " العزيز " (2) وقد أورد شاعر البلاط الحمادي " ابن حمديس الصقلي " أبياتا من البحر الطويل ، يرثي فيها هذا القائد معددا خصاله وشجاعته بقوله :

وكننت أمين الملك حقا وسيفه * ومن حسنات البرّ ، كان لك الغمّد
وأنت ابن حمدون الذي كان * يعبر عن ناديمه في عرفه النّدّ
وأبي اصطبار فيه للنفس رحمة * عن القائد الأعلى الذي ضمه للحدّ(3)

وخلفه على المنصبين ابنه " مطرف " على عهد " يحيى بن العزيز " الذي حاصر المهديّة برا وبحرا سنتي 522 هـ ، 530 هـ دون النيل منها ، لاستعانة صاحبها " الحسن بن علي " الزيري بمدد " روجر II " الصقلي له ، ليكتفي بالنزول في

-1	-	-	-	364
-2	-	-	-	362
-3	-	-	-	(527 - 447)
				175 173 :

ضاحية من ضواحيها تعرف بـ " زويلة " (1) وكان لبني الناصر بن علناس بن حماد بجاية والقلعة وتلك البلاد ، وزراء يعرفون ببني حمدون ، توارثوا وزاراتهم ، منهم ميمون بن حمدون عند يحيى " (2) الذي يشير ابن الأثير والنويري إلى مواجهته لـ " عبد المؤمن بن علي " الموحد " فلما اتصل الخبر (أي سقوط تلمسان) في يد الموحديين جمع العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن بن علي " (3) .

الثانية : ازدواجية القيادة العسكرية للقوات البرية والبحرية ، أي بمثابة قيادة أركان عليا ، حيث برزت شخصية " مطرف " المشهور بالفقيه ، كأهم شخصية سياسية وعسكرية على عهد " يحيى بن العزيز " ، بتوليّه لهذا النوع من القيادة ، خاصة بعد اكتساب الدولة لأسطول عرف بنموه الدائم ، بحكم موقع بجاية البحري ، وتطور هذه الصناعة بشكل كبير ، اعتبارا لما امتلكته المدينة من مقومات ازدهار هذا النوع من النشاط . وذلك للاستفادة منه في الدفاع عن كيان الدولة ، ودعم جيرانها في وجه الحملات التي بدأت تكرر على السواحل المغربية خاصة الإفريقية من جانب النورمان ، فقد قاد " مطرف " حملة نجدة طلبها سكان المهديّة ، عقب غارات هؤلاء على شواطئ هذه الأخيرة سنتي 521 - 522 هـ / 1127 - 1128 م ، حيث استطاع فك الحصار عليها وأرغم الغزاة على الارتداد على أعقابهم (4) وبعث مقدم الجيش الفقيه مطرف جيشا في البر ومراكب في البحر .. فنزلها برا وبحرا " (5) .

-1

:	-	-	-	316	-	24	:	230	229
1 - 1992	-	2	-	677	-				
	-		-	1970	-	1	:	475	476
							:	126	

\mathfrak{A} 45 29 \mathfrak{B}

:

◇

.

-1

.

-2

.

-3

.

◇

كان إعداد الفرد المقاتل عند الحماديين واختياره ، ضرورة فرضتها حتمية توفير مقومات النصر لمواجهة الأخطار المحدقة بالدولة ، فأدخلوا ضمن جيشهم عناصر متعددة ، ضمانا لتعبئة أكبر عدد من القبائل ، وجمعا للقدرات والخبرات الحربية التي تمتلكها كل واحدة منها في هذا المجال . فتنوعت بذلك أصول الجيش كالتالي:

1- الأصول البربرية :

المتصفة على الدوام بالميزة الحربية ، فهي جزء من حياتهم اليومية ، وزادهم حماسهم الديني منذ اعتناقهم الإسلام روحا قتالية ، ونفسا جديدا فيه (1) ، فمن صفاتهم في هذا المجال :
الحس الأمني : فهم على درجة عالية من اليقظة والحذر الدال على الحرص .
حسن الطاعة : التي تتجسد عند المعارك بين القائد وجنده ، ومنها وحدة الصف القيادي .
قوة العزيمة : وروح الاستبسال والتضحية ، مما أعطى للمعارك التي شاركوا فيها طابع القدرة الكبيرة على الحركة والثبات لتحقيق النصر .
وتمثلت أساسا في قبيلتين رئيسيتين بتنوع بطونهما : قبيلة صنهاجة ، وقبيلة زناتة .
أ - قبيلة صنهاجة : (2) تعد المغذي الأساسي للجيش الحمادي ، وقوته الضاربة ، سواء النظامي

-1 - - .62

-2

() ()

() -

- : - - - 312 -6 -

- 103 - - -
- 1958 - : 42,43 - - 96 -1 - () - "
- 359 -14 - - "

منه أو غير النظامي (1) ، على اعتبار أن منشأ الدولة قام على كاهلها بحكم الرصيد العسكري الذي امتلكته عبر التاريخ ، أو المكتسب من الاندماج في كل من الجيش الفاطمي والزييري ، قبل تشكيل الدولة الحمادية ، فعرفت هذه الأخيرة كيف توظفهم كطاقات فاعلة ، استعملت في توسيع حدودها على حساب الزييريين بالمهدية في مرحلة أولى ، وفي صدّ الحملة الهلالية المتجهة نحو المغرب الأوسط في بدايته على عهد " الناصر بن علناس " في مرحلة ثانية (2) . إذ جند الكثير من أفرادها على أساس العصبية القبلية . فقد اعتمد عليهم " حماد بن بلكين " مؤسس الدولة في مواجهته لابن أخيه عند زحفه من إفريقية صوب القلعة سنة 405 هـ / 1014 م ، وسار " الناصر " بدوره بجيش كبير منهم لملاقاة الهلاليين سنة 557 هـ / 1064 - 1065 م ، بعد اجتياحهم لأحواز قسنطينة ، وتهديدهم للقلعة عاصمته الأولى (3) ، وكذا "

المنصور بن الناصر " الذي صدّ " ما خوخ " زعيم بني وامانو الزناتية في جموع كثيرة منهم سنة 476 هـ / 1083م .

فانخرطوا بقوة ضمن الجيش النظامي للدولة ، خاصة في الرحلة الأولى من تأسيسها ، وأدمجوا بصفة أكبر في فرق الفرسان ، فعلى عهد " المنصور " استقر في القلعة من فرسان صنهاجة اثنا عشرة ألف فارس دون غيرها من المدن الأخرى ، ومن الفرسان دون المشاة (4)

ولعل استخدام " بلكين بن محمد " قبله لهذه العناصر بشكل مكثف ، وإرهاقهم بعمليات الغزو الدائم ، وتخفيف خليفة " الناصر " عليهم ، بدعم جيشه بعناصر أخرى من مختلف القبائل ، زادت من فاعليتهم والتفافهم حوله ، محافظة على صلة القرابة التي تربط بينه وبينهم ، ودعما للمكانة التي تبوأها في الدولة وتمتينا لها . (5)

وبقيت العناصر الصنهاجية وفية للدولة إلى آخر عهدها ، إذ تؤكد المصادر أنه رغم سقوط بجاية

210	-	-	353	-4	-	299	-1	-	-	-1
Corenevin – R – Histoire de l’Afrique des origines au XVI siècles. Tom I – paris - 1967 - P 126										
			182	-	-	101	-8	-	-	-2
							182	-	-	-3
							94	-	-	-4
							353	-6	-	-5

في يد الموحدين سنة 547 هـ / 1152 م ، ولجوء آخر الملوك " يحيى بن العزيز " إلى أخيه ببونة ، ثم قسنطينة إلا أن صنهاجة تجمعت في عدد كثير مدعمة بقبائل كتامة ، ولواتة ، ودخلت في مواجهة حادة مع الموحدين كما سبق ذكره (1) .

فإصرار صنهاجة على المواجهة المستميتة بهذا الشكل تؤكد في نظري ولاءها الدائم للدولة ، وتخوفها من اختلال التوازن السياسي بينها وبين قبيلة زناتة ، باستيلاء الموحدين على المغرب الأوسط ، وهذا ما يفسره الصراع الذي لازم القبيلتين طيلة العهد الحمادي كله ، من سعي كل طرف لفرض غلبته على الآخر ، رغم أن بطونا من زناتة كانت تغذي الجيش نفسه .

ب - قبيلة زناتة : (2) يرجع تجنيدهم ضمن الفرق غير النظامية المدعمة للقوى المحترفة ، أي بمثابة قوات تدخل ضمن الجيش الاحتياطي ، الذي عمدت الدولة إلى الاستناد عليه عند مواجهة أعدائها ، بناء على التحالف الذي جمعها بعدد من بطون هذه الأخيرة ، خاصة من بني وامانو ، وبني يلومي ، محاولة من وجهة نظري في تفكيك وحدة زناتة والحد من نشاطها الدائم في تهديد الحدود الغربية للمملكة ، نظرا لحاجياتها إلى الاستقرار الضروري ، اعتبارا لتوجهاتها الحضارية ، وعلاقاتها الاقتصادية .

وقد عرفت هذه العناصر بحدتها ، وبدورها منذ عمليات الفتح الأولى ، وبإقبالها على الإسلام أكثر من غيرها من القبائل الأخرى ، وأكبرها فرع مغراوة ، مما منحها السبق في أن تكون لبنة أساسية للفتح في بلاد المغرب والأندلس (3) ، وأكسبها خبرة حربية حربية ، إذ كان أكثرهم فرسانا خيالة ، امتلكوا معرفة واسعة بالحرب ، وتمتعوا

-1 - - 9 31 - - 24 - 304 - - -6 - 364
-2 ()

: 296 203 -6 - -
Merçais -op . cit ; P 137 . 21 15 : - 91 -
-3 - -3 - - 29 : 30 .

بالفطنة والكياسة (1) ، والولاء المستميت لمن ناصرته من الدول التي قامت تبعا ببلاد المغرب الإسلامي .

وتوظيفا لهذه القدرات والمواصفات كلها ، استعملوا منذ وقت مبكر من قبل "القائد بن حماد"(419-446 هـ / 1028 - 1054 م) في زحفه على القيروان سنتي 420، 427 هـ / 1032، 1036 م ، و هو نفس ما قام به خليفته " بلكين بن محمد " (447 - 454 هـ / 1055 - 1062 م) ، بادخال وحدات منهم ضمن جيشه (2) ، ووسع نشاطهم العسكري بشكل مكثف على عهد الملك " الناصر " الذي صاهرهم (3) ودمجهم في مختلف حملاته الحربية، وورطهم في مواجهة بني عمومتهم من فروع زناتة الأخرى ، إذ شاركوا إلى جانب قائد قواته وولي عهده " المنصور " في محاولة صدّه للمرابطين الذين توغلوا في حدود مملكته عبر تلمسان غربا ، وانتقم من بطون زناتة الأخرى التي ناصرت الملتهمين وهيأت لهم ظروف التوغل .(4) كما وظفهم - قبل ذلك - بزعامة " المعز بن زيري بن عطية المغراوي " لمواجهة بني عمومته الزيريين ، مدعمين بالعناصر الأخرى المشكلة لجيشه سنة 457 هـ / 1065 م .(5) ولعل عدم إشارة المصادر إلى عددهم ضمن التشكيلة العامة للجيش الحمادي إلا إجمالا ، وضمن باقي العناصر الأخرى ، يؤكد في اعتقادي استخدامهم على نطاق محدود ، في فرق الاحتياطيين ، على خلاف تحديد عدد العناصر الصنهاجية ، وهو ما يؤكد المخاوف التي تثار حولهم ، والحذر الدائم من غدرهم ، وقد أثبتت الأحداث صدق ذلك في معركة "سببية" (6) الشهيرة بين الملك " الناصر " الحمادي ، و " تميم بن المعز " الزيري ، إذ

-1 - - 88 -
-2 127 - - 275 -1 - -
-3 - - 300 - - 327 : 328 -6 - -
85 293 -4 - -
-4 361 360 : - - 98 - -
-5 24 - - " - -
-6 - -
: 146 - - -
- 58 - - 222 -24 - -
- - -2 - 691 .

خذلت العناصر الزناتية والهلالية الحماديين في قلب المعركة " وتواقعوا بسببية فغدرت بهم زناتة ، و أجروا عليه

وعلى قومه الهزيمة بدسياسة "ابن المعز بن زيري بن عطية " ، وإغراء تميم بن المعز فانهمز "الناصر" وكان ذلك سنة 457 هـ / 1065م.(1)

ويفسر هذا الموقف المخذل من جانبهم ، بالعداء التاريخي بينهم وبين " حماد بن بلكين " قبل انفصاله عن الزيريين ، حيث كلف من قبلهم على تأمين الحدود الغربية لمملكتهم في وجه الغارات الزناتية المتكررة عليهم ، وهي من الأسباب الرئيسية التي شجعت على الانفصال وتشكيل كيان خاص به كما سبق ذكره (2) .

2- الأصول العربية :

وتمثلها مختلف القبائل التي دخلت إفريقية في إطار الحملة الهلالية عليها ابتداء من سنة 443 هـ / 1048 م ، وصولا إلى استيلائهم على القيروان سنة 449 هـ / 1057 م ، وبعض مدنها الأخرى (3) ، منها اتجاههم نحو المغرب الأوسط ابتداء من سنة 450 هـ / 1058 م على عهد " بلكين بن محمد" (4) . فقد تقطن هو وخليفته " الناصر" إلى الأثر المحتمل الذي ستركه هذه القبائل على حواضر واقتصاد بلدهما ، فعلا على ضرورة استمالتها والتحالف معها، بدل أسلوب المواجهة الذي اعتمده معهم بنو عمومتهم الزيريون ، وقد كلفهم ذلك خراب مدنهم وتضعف ملكهم. وهو ما حاول "الناصر" تجنبه بتغيير عاصمته من القلعة إلى بجاية سنة 460 هـ / 1068 م ، بعد وصولهم إلى مشارف عاصمته الأولى وتهديدهم لها.

وتخفيفا من ضغط حركتهم ، وسعيا منه لاستمالة أكبر عدد من قبائلهم ، تم تجنيدهم ضمن الجيش استغلالا لقدراتهم ، ولما اتصفوا به من التضامن والنصرة ، وأصل البداوة فيهم ، والتي أساسها الشجاعة وقوة النزاع ضدّ

1- - - - - 299 - 1 - - - 222 220 - 24 - - -

. 355 - 6 - - -

2- Mercier - 287 - - - 287 - - - 46 44: - 10 - - -

op . cit ; PP . 123 , 124 , Cornevin - op . cit ; P127

3- - - - - 294 - - - 33 31 : - - -

. 260 - 1 - - - 157 - 1988 - 2 - - -

4- - - - - . 127 - - -

أعدائهم ، وروح التماسك والعصبية القبلية التي تجمع بينهم ، وهو ما ولد فيهم الالتزام بالطاعة المفرطة لزعيم القبيلة، فجعل هذه الرابطة أداة لتماسك وحدة الجيش الذي ينتسبون إليه .(1) وقد أثبتوا في مناسبات عديدة قدرتهم الحربية العالية ، وأبرزها تقويضهم للسلطة الزيرية منذ وطئت أقدامهم أرض إفريقية ، بانتصارهم الحاسم على " المعز بن باديس " في معركة " حيدران" سنة 443 هـ / 1052 م ، إذ مني فيها بهزيمة نكراء فقد فيها من جنوده ثلاثة آلاف وثلاثمائة جندي من مجموع جيشه المشارك في المعركة والذي بلغ تعداده ثلاثين ألف جندي ، في حين لم يتعد الهلاليون الثلاثة آلاف رجل على حد رواية ابن عذاري والنويري (2)

وهو ما نبه في نظري ، الحماديين إلى استغلال قدراتهم الحربية في مواجهة خصومهم، على اعتبار أنهم قوم رحالة صقلتهم القفار ، وطوعتهم الخطوب ، مما أكسبهم قدرة التحمل ، وقوة الصبر ، وما يرتبط بها من حدة البصر والسمع ، وهي عناصر أساسية تبرز إمكانات

-	-	-	28 27 :	- 6	-	-	:
73	70 :	-	-	546	543 :	- 2	- 1985 - 5
							" -
							16-15 :
							102
							63
							205
							22

" بلكين بن محمد " بالاستقرار في أرياف منطقة الزاب (1) لتشاركه قبائل بني هلال والأثبج وعدي انتصاراته على زناتة سنتي 450 هـ / 1058 م ، و 454 هـ / 1058 م (2) .
وعمل خليفته " الناصر " على كسر شوكتهم ، والتخفيف من حدة حركتهم ، أمام سرعة حركة حملتهم على ضواحي القلعة . فقام بإدماجهم بشكل أوسع ضمن وحدات قواته ، أو تقوية مجال التحالف معه ، فقد شاركت قبائل الأثبج وزغبة ، وربيعة إلى جانب ولي عهده ، وقائد جيشه " المنصور " في صدّه لهجمات المرابطين على المغرب الأوسط ابتداء من سنة 472 هـ / 1079 م (3).

ولئن ظهرت القبائل العربية " الناصر " بهذا الشكل وشاركته حروبه ، إلا أن كلا من الطرفين كان لا يثق الثقة التامة في الآخر ، على اعتبار أن هذا الأخير كان لا يأمن بأسهم ، نظرا لما فعلوه في ملك بني عمومتهم الزيريين ، ونزولهم بأحواز عاصمته الأولى القلعة ، وهو ما شكل هاجسا بالنسبة له يجب إزالته ، ومن جانبه فإن تخوفهم من إيقاعه بهم ، في حالة تحالفه مع خصومهم الزيريين ، يجعلهم يقعون بين شقي رحى عند أول مواجهة بينه وبينهم ، فكانوا السباقين إلى الفتك به . إذ قاموا بمبادرة الغدر به في موقعة " سببية " سنة 457 هـ / 1065 م ، وهو يتأهب لفتح القيروان ، بعد الاتصالات السرية بين " تميم بن المعز " الزيري و شيوخ الهلاليين في كل من الجيشين الزيري والحمادي ، وبتواطؤ مماثل مع العناصر الزناتية المشكلة لنفس الجيش (4).

-	-	-	653	- 2	-	-	-
			107	- 5	- 1913	-	-
-	207	- 3	-	-	335	- 6	-
							119
							360
							158 157 :
							- 1985 - 1
							158 157 :

Golvin (L) - le Magrib central a l'époque des zirides - arts et Méliers graphiques - paris - 1957 - P 126

-	-	46 44 :	- 10	-	-	205	-	-	- 4
									456 454

وهو ما يحدد المخاطر التي لازمت الجهاز العسكري من جراء ضمه لهذا النوع من العناصر إلى صفوفه ، استنادا إلى المصادر التي تجمع على استخدام الحماديين لهم طيلة فترة سيادة دولتهم ، وهو ما يجعلني أستنتج بأن توظيفهم بقي مقتصرا على بعض البطون منهم دون الكل ، أو على عدد محدود بالجيش

النظامي ، واعتماد أسلوب التحالف المؤقت معهم بدل الاندماج الكلي .(1) واستمرت هذه العلاقة القائمة على التحالف إلى فترة متأخرة من حياة الدولة، فعلى عهد " يحي بن العزيز " أخر الملوك الحماديين الذي حاصر المهديّة - التي أصبح يهددها خطر النورمان عقب مولاة صاحبها " الحسن بن علي " الزيري لهم- بجموع كثيرة من القبائل العربية"فنازلها برا وبحرا وجاءته العربان من كل فج " سنة 530هـ /1135م .(2)

وقد أحجمت المصادر المتوفرة عن ذكر عدد ما جند من هذه العناصر إلا أجمالا ضمن باقي الأصول الأخرى المكونة للجيش : فإذا أخذنا بإحصاء ابن الخطيب للقوات التي استند إليها " المنصور بن الناصر" في مواجهته للمرابطين سنة 496 هـ /1103 م (3) ، بانثني عشر محلة (4) ، أي ما يعادل أربعة وعشرين ألف مقاتل ، في شكل فرق أو كراديس ، أمكن ترجيح كفة النصف لصالح الأصول الصنهاجية ، والباقي مناصفة بين باقي العناصر الهلالية والزناتية ، فكان عددهم غالبا في كل مواجهة ، يعادل الستة آلاف جندي ، إلى جانب ما يعتمد كقوات مقيمة بالمدن أو مرابطة بالقرب منها ، مما يعادل اثني عشر ألف مجند تقريبا ، وقد يزيد هذا العدد أو ينقص ، إلا أن المؤكد هو أن حجم استغلالهم بأعداد معتبرة ، وكقوة مؤثرة كان كبيرا .وما استنكار " علي بن يوسف بن تاشفين" واحتجازه على الملك "المنصور بن الناصر" بسبب استعماله للعناصر الهلالية ضمن حملته على تلمسان سنة 496 هـ /1103 م ،

355	- 6	-	-	294	- 1	-	-	92	-	-	- 1
1	-	-	363	-	-	92	-	-	- 2	. 82	-
Mercier	- op . cit ;	P171	231	-	-	97	- 3	-	- 3	288	-
482	-	-	:								- 4

وما مبالغته في الإنفاق عليهم ماديا من أجل ضمان موالاتهم له إلا دليل لتأكيد ذلك (1).
3- الزنج (العبيد) :

تعود مواطنهم إلى بلاد السودان ، إذ شكلوا فرقة خاصة في الجيش سميت باسمهم ، اتخذهم الملوك والأمراء لخدمتهم وحراستهم ، فهم حرس ملكي يلازم الملك الحمادي في حله وترحاله ، والذود عنه من المخاطر ، يتم جلبهم إما اقتناء ، لازدهار الحركة التجارية بين المملكة وبلاد السودان ، ومن مجالاتها تجارة العبيد ، أو كسبهم بالأسري من خلال تعدد حجم المواجهات مع خصومهم .

"	"	"	"	955/	344	"	"
- 1980 - 2	-	-	-	-	-	-	173
					49		
				18،19 :	13 7 :	- 1969	-

إلى مركز اقتصادي هام ، فكانت الاستفادة من خبراتهم الصناعية ، والاندماج في الجيش الحمادي كعربون امتنان منهم لصنيعه (1) . خاصة خبرتهم في ركوب البحر والحرف المرتبطة بهم ، إذ وجهوا للعمل بالقوات البحرية التي عرفت نشاطا واسعا انطلاقا من بجاية وغيرها ، فزودوا الحماديين بمهارات كمدرسين في هذا المجال ، نظرا لتأخر اهتمام الدولة به ، أي منذ اتخاذ بجاية عاصمة بديلا عن القلعة ، رغم امتلاكهم لموانئ تقليدية عديدة كبونة ومرسى الخرز (القالة) (2) . فإدماج هذه الفئة ضمن القوات البرية والبحرية على حدّ سواء، أعطى نقلة نوعية لتطور الجهاز العسكري عند الحماديين ، وجعلهم يضعون حدا لاختلال موازين القوى بينهم وبين غيرهم خاصة الزيريين (3) ، الذين تفوقوا عليه في المجال العسكري البحري بفضل دار صناعتهم بالمهدية ، أو المسيحيين النورمان الذين بدعوا يهددون سواحل إفريقية والمغرب في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (4) وتمكنوا من الوقوف في وجههم بل ومهاجمتهم في عقر ديارهم بصقلية وغيرها ، مما جعلهم مهيبين الجانب على قدر ما اكتسبوه من قدرات مادية وبشرية في هذا المجال

5- الروم الصقالبة :

وهم العبيد من الجنس الأبيض، عرفوا عادة باسم الصقالبة ، فهم إما بقايا الروم القدامى

6	-	-	122	- 4	-	-	118	117 :	-	-	- 1
-	-	-	-	-	-	-	84	-	-	-	- 361
		. 232	-	284	- 1	-	-	147	-	-	- 1983
-	-	-	-	115	-	-	73	53	-	-	- 2
		. 14	- 19	- 1974-	"	"	"	172	197	-	- 1984
-	-	74،75 :	-	-	-	-	312	- 1	-	-	- 3
											. 274
-	-	-	-	-	-	-	-	209	-	-	- 4
			72	-	-	-	373	372 :	- 1983 - 3	-	-

الذين بقوا بإفريقية والمغرب بعد الفتح ، أو حافظوا على نقاء دمائهم ، ولغتهم متمسكين بتقاليدهم ،
والذين تمركزوا بمناطق كثيرة من حواضر المملكة ،
مثل شرشال ، وباغاية وغيرهما . أو تم أسـرهم
من مختلف الحملات التي قام بها الحماديون أثناء نشاطهم البحري ضدّ سواحل الإمارات
المسيحية ، في كل من سردينيا ، وكرسفة ، ثم صقلية ، منذ امتلاك النورمان لها
تدرجيا بقيادة "روجر II" (1) سنة 464 هـ/1072 م ، "ومن مرسى بونة
تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردينية وكرسفة وما ولاها " ،
انطلاقا من المرسى المذكور أو مرسى الخرز أو بجاية (2) أو أثناء صدهم للغارات
المسيحية على السواحل نفسها (3) ، أو عن طريق اقتنائهم شراء نظرا لرواج هذا النوع من
التجارة بالمنطقة ، فقد كان المغرب الوسط يمثل مركزا هاما لتجارة العبور ،
ومنها العبيد ، فهذا الشكل من العناصر يعود جزء منه إلى أوربا الوسطى
والشرقية ، وأرض الصقالبة ، والتي كانت تسوق
يجلبها النحاسون ، والسامسة من الميورقيين صوب بجاية ، حيث مثلت مركزا
رئيسيا لحركتهم هذه ، فيبيعون جزءا منها في المدينة ، والباقي في مناطق المغرب ويدفعون
بالجزء الأخر إلى مختلف الأقطار (4) . مما سمح بكسب عدد معتبر منهم تم
دمجهم في الجيش الحمادي ، وبحكم ما اتصفوا به من قدرة الثبات والمناورة
في الحروب اعتمادا على أسلوب الكرّ ، وذودهم القوي عن ملوكهم . فمن
أساليبهم الدفاعية في ذلك تشكيلهم لطوق خاص حول خيمة الملك في قلب
المعركة ،

1130

-1 Roger II (1095 – 1195)

1135 / 530

. 312 - 1 - - .

Julien (CH . A) - Histoire de L' Afrique du nord – (S . N . E . D) – Alger – 1975 - Tome 2 - p p – 107 – 108 .

450 - 4 - - 83 - - 73 - - -2

- 495 - III - 1965 - - - -

- 3 . 200 - 1969 - - -

- 19 - 1974 - " " - " - 4 . 223 - -

. 118 - - 345

مما دفع الحماديين إلى استخدامهم كحرس ملكي خاص إلى جانب العبيد الزنوج .
وكانت مشاركتهم في مختلف المواجهات التي دارت بينهم وبين الزيريين أو الزناتيين أو
العرب الهلاليين ، في حين تجنبوا إدماجهم في مواجهاتهم مع الروم المسيحيين
حذرا من موالاتهم لبني جلدتهم (1) .

وأهملت المصادر الإشارة إلى تعدادهم ضمن الجيش مما يظهر في تقديري تجنيدهم بشكل
محدود لا يرقى إلى مستوى إلى ما جندّ من باقي العناصر الأخرى ، اعتبارا لارتفاع تكاليفهم
فهم إما مرتزقة يشاركون في الحروب مقابل مبالغ مالية ، أو حصة من الغنائم يتلقونها ، أو

مجنودون تم شراؤهم وهم ملزمون بأداء المهام الموكلة إليهم

تعداد الجيش :

امتلك الحماديون جيشا ، اتسعت نشاطاته لتشمل حواضر المملكة كلها ، إلى جانب مهمته الرئيسية في تأمين الحدود الشرقية والغربية والبوابة البحرية ، ومظاهر ذلك ما خاضه من معارك متعددة سواء مع الزيريين أو الزناتيين أو المرابطين ، جعل المصادر تجمع على وصف تعبئته وتحركه بالجيش العظيم الذي يصعب إحصاؤه ، على غرار عبارات " وتجمعوا في أمم لا يحصيها إلا الله تعالى " (2) ، " و نهض .. حماد في عساكر عظيمة " (3) ، وزحف " القائد بن حماد " في جموع زناتة يريد فتح القيروان سنة 420 هـ ، ثم المنصورية سنة 427 هـ " في جيوش عظيمة ، وجموع كثيفة " (4) .

مما يبرز بوضوح اعتمادهم أسلوب التحام الجيش النظامي ، مع قوات المتحالفين معها من القبائل عند المواجهات المصيرية التي تخوضها الدولة من فترة لأخرى .

-1	-	-	485	484 :	-	-	6
-2	-	-	31	-9	-	-	
-3	-	-	262	-1	-	-	
-4	-	-	275	-	-	-	

وقد أشارت بعض المصادر إلى تباين عدده من مرحلة لأخرى ، حسب كل معركة ، مما يفسر في نظري استخدام جزء منه دون الآخر ، حسب طبيعة العدو وحجم حشوده المتوقعة ، والمستقاة أخبارها غالبا من العيون التي وظفوها لرصد تحركات خصومهم ، بتعدد حلفائهم ، واتساع نطاق وجودهم وخارجها .

وعادة ما تراوح هذا الرقم بين العشرين ألفا ، والثلاثين ألفا في المعركة الواحدة (1) حسب الفرق والاختصاصات ، بين المشاة والخيالة ، وحملة الدروع من الرماة ، دون إهمال ما يتبقى في حواضر المملكة . إذ لا يعقل المغامرة بكامل القوات المتوفرة في مواجهة واحدة ، وترك المخاطر تنهدد كيان الدولة في حالة الهزيمة ، أو استغلال أطراف أخرى تلك الظروف لصالحها . هذا ما يرجح قدرة الحماديين على تعبئة ما بين الخمسين إلى الستين ألف مقاتل (2) ، وهو ما يعادل تقريبا ما امتلكه جيرانهم الزيريون ، أو يفوق " وكان صاحب القلعة المنصور أشد شوكة من صاحب القيروان وأكثر جيشا " (3) . إضافة إلى ما امتلكوه من قوات بحرية منذ إنشائهم للقلعة إلى بجاية .

فمؤسس الدولة " حماد بن بلكين " ملك جيشا تعدادده حسبما جاء على لسانه عند خلعه لطاعة ابن أخيه " باديس " مباشرة حركته الانفصالية سنة 405 هـ / 1014 م ، قائلا : " وصلت إلى إفريقية في ثلاثين ألف فارس ، ليس منهم إلا من بالغت لهم في

الإحسان والإنعام " (4) فأمكن له تهديد مدينة باجة التي طلب أهلها منه الأمان (5) ، مما اضطر " باديس " إلى تعبئة قوات مماثلة

276	-7	-	-	268	-1	-	-	86	-	-	-	-1
									127	-	-	
				81	-	-	-3	210	-	-	-	-2
		276	-	73	-	-	-	268	-1	-	-	-4
								127	-	-	351	-4
				.276	-	-	-	351	-6	-	-	-5

فكانت المواجهة الحاسمة بينهما في ضواحي " شلف " بداية سنة 406 هـ / 1015 م .
ويكون " حماد " قد استفاد من المرحلة الانتقالية التي مكنته من الإقامة بالمغرب الأوسط ،
بتكليف من " باديس " نفسه لصدّ غارات زناتة ، فقام بإنشاء قوة عسكرية خاصة
به ، أصبحت أكثر ولاء له ، منها لابن أخيه خاصة منذ إنشاء القلعة واتخاذها
مستقرا له ولجنده سنة 398 هـ / 1007 م ، عقب قضائه على تمرد بني عمومته
" زاوي " و " ماكسن " وإخوانهما سنة 391 هـ / 1000 م ، فوضع حدا
لاحتمال منازعته في حكم بلاد المغرب (1) ، كما عمل على كسب ود زعماء بطون القبائل ،
ببذل العطاء لهم لضمان ولائهم ، رغم أن الكثير منهم انحاز لـ " باديس " قبل بدء المواجهة
المذكورة بشراء ذممهم من قبله ، بحجم ما ضاعفه لهم من عطاء " فناصره
باديس الحرب وعبأ عساكره من القيروان ، وخرج إليه ، فنزع عن حماد أكثر
أصحابه ، بني أبي والليل من زناتة ، وبني حسن كبار صنهاجة ، وبني
ياطوفت ، وغمرة من زناتة " (2).

وما يؤكد قدرات الجيش الحمادي ، وارتفاع حجمه تقديم " القائد بن حماد " لمساعدات
عسكرية بلغ قوامها كتيبة من ألف فارس ، لدعم ابن عمه " المعز " الزيري أثناء الحملة الهلالية
على إفريقية بطلب من هذا الأخير ، وذلك تعبيرا منه عن حسن الجوار ، خاصة بعد
التوقيع على معاهدة الوفاق بينهما ، والاعتراف الرسمي للزيريين باستقلال الدولة الحمادية
عنهم سنة 408 هـ / 1017 م (3).

أما ثاني أعظم الملوك بعد " حماد " مؤسس الدولة ، " الناصر بن علناس " فبلغ تعداد
جيشه - بدوره - ثلاثين ألف جندي ، فقد قسما كبيرا منه في معركة
" سببية " بينه وبين

-6	-	-	195	-24	-	-	361	-1	-	-	-	-1
												322
				.275	-1	-	-	351	-	-	-	-2
		669	-	324	-	-	81	-	-	-	-	-3
												289

Mercier - op. cit ; P 154.

"تميم" الزيري سنة 457 هـ / 1064 م ، قدر ابن الأثير حجم ما فقده في هذه المعركة بحوالي
أربعة وعشرين ألفا من صنهاجة وزناتة (1).

وتشير بعض المصادر إلى استقرار ما لا يقل عن اثني عشر ألف فارس صنهاجي بالعاصمة القلعة وحدها دون غيرها من الأمصار (2) ، وذلك حفاظا عليها من كل الأخطار المحتملة - باعتبارها رمز سيادة الدولة - خاصة تأثير الحملة الهلالية عليها ، وضمانا في نظري لتواجد قوات عند الحاجة .

وامتلك " المنصور " عددا مماثلا اشتمل على اثنتي عشرة " محلة " علما وأن المحلة الواحدة تشتمل كتيبتين بألفي مقاتل ، وهو ما يعادل أربعة وعشرين ألفا جنديا تقريبا (3) ، إذ أشارت مواجهته للمرابطين ، واسترجاعه لتلمسان وكان على رأس جيشه (4) .

وسار خلفاءه على نفس النهج ، بتجنيدهم لنفس العدد في حروبهم المختلفة فـ " يحيى بن العزيز " أخر الملوك الحماديين واجه " عبد المؤمن بن علي " الموحدية أثناء زحفه على بجاية لفتحها بجيش موازين القوى لصالح هذا الأخير ، أدت إلى هزيمة الموحديين بجاية " فتفرق جيشه برا وبحرا ، ودخل عبد المؤمن بعساكره بجاية " (5) رغم المقاومة الباسلة التي أبدتها قبيلة صنهاجة ومن تحالف معها من كتامة ، ولوثة ، وبني هلال ، بقيادة " أبي قصبه " الصنهاجي في صدّه للزحف الموحدية صوب القلعة لفتحها هي الأخرى ، كانت

-1	-	-8	101	-	-	-	-6	355
-2	-	-	94	-	-	-	-	609
-3	-	-	97	-	-	-	-	360
-4	-	-	81	-	-	-	127	355 4
-5	-	-9	31	-	-	-	24	303
								282

Gaid - op . cit ; p 70

282 :

. 284

الهزيمة الثانية وزوال ملك الحماديين بسقوط العاصمتين سنة 547 هـ / 1152 م (1) . إن هذه المواجهة وغيرها تؤكد اعتماد الحماديين بشكل دائم على عدد ثابت من قواتهما البرية أو البحرية ، أو مشتركة معا في جميع معاركهم ، على أساس حصر هذا الرقم ما بين العشرين والثلاثين ألف جندي ، تغطي عليه نسبة الفرسان ، نظرا لفعالية هذا النوع من الكتائب ، وقدرتها على المناورة وسرعة الحركة ، بالإقدام أو الانسحاب في حالة النصر أو الهزيمة ، في حين يبقون على قوات احتياطية مماثلة موزعة على باقي المدن والحوضر ، وما تجمع قبائل صنهاجة وكتامة ، وبني هلال لمواجهة الموحديين بانكسار شوكة " يحيى بن العزيز " ببجاية ، إلا إثباتا لذلك وتأكيد على الولاء الذي التزمت به هذه العناصر في الدفاع عن كيان الدولة إلى آخر مرحلة من عمرها وبذل كل ما توفر لديهم حفاظا على استمرارها .

$\mathfrak{B} 70$ 47 \mathfrak{B}

.

:

-1 ❖

-2 ❖

.

:

-1 ❖

-2 ❖

❖

❖

❖

❖

تستند الدول في إعداد جيوشها إلى قوة مداخلها ، مقتطعة جزءا منها تعتمد ميزانية خاصة للتعبئة عددا وعدة ، فبحجم ما يخصص منها لهذا الجهاز زيادة أو نقصانا ، تتحدد قوته وفاعليته والعكس صحيح .

والدولة الحمادية التي اتصفت بثرائها ، وارتفاع مداخلها كان لزاما عليها ، صرف ذلك في أبواب متعددة ، ومنها الجانب العسكري ، سواء من حيث المرتبات أو المؤن ، أو في توجيه قسط آخر منها نحو الصناعة الحربية أو التسليح بالاقتناء ، تنويعا لأسلحتها (1) ، نظرا للسمّة الحربية التي اتصفت بها ، ونشاط وحيوية قواتها في مواجهة أطراف تعددت منافذهم ، وتباينت أهدافهم ، فكان ذلك حافزا لمضاعفة الموارد المادية الكافية استعدادا لصدّ مختلف الأخطار ، أو المبادرة بالهجوم تحصيلًا للمزيد من المكتسبات ، توسيعا لرقعة الدولة جغرافيا ، أو تأمينًا لحودها .

ويحتمل أن الجيش كان يشكل العبء الأكبر بالنسبة للميزانية العامة للدولة للاعتبارات المذكورة ، غير أن تنوع مصادر التمويل ، وثرائها خفف بشكل واضح من حدة ذلك والمتمثلة في المجالات التالية :

1- عائدات النشاط التجاري :

إن ازدهار الحياة الاقتصادية بأنشطتها المتنوعة ، والتي قوامها الزراعة ذات المحاصيل المختلفة وأساسها الحبوب خاصة القمح ، الشعير ، المتميزين بجودتهما ، في حين جاءت الصناعة في مرتبة ثانية من حيث النشاط والمداخل (2) .
فتموذج مدينة "تس" كانت بها " أقاليم وأعمال ومزارع وبها الحنطة ..
وسائر الحبوب موجودة " (3) يتم تسويقها إلى أطراف العالم ، اعتمادا على أسطولها

-1	-	-	-1	-	452	-	-	-	-	-	-	323	-	-
-2	-	-	-	-	1966	-	-	-	-	-	-	331	-	-
-3	-	-	-	-	83	-	-	-	-	-	-	-	-	-
-	-	-	-	-	76	-	-	-	-	-	-	-	-	-

Marçais georges – La beberie Musulmane et L²orient au moyen age – aubier – paris - sont date – Pp 177 , 178

التجاري ، وهو نفس ما كان يقوم به " مرسى الدجاج " ، و " مرسى الخرز " (1) إذ تصدر منهما المواد المتنوعة إلى سائر الأقطار والمدائن ، فعائدات المرسى الأخير وحده من بيع المرجان الذي تشتهر به المدينة ، يقدر سنويا بحوالي عشرة آلاف دينار (2) .

وعرفت مدن ومراسي أخرى بدورها حيوية تجارية كبرى ، وأبرزها على الإطلاق " القلعة " العاصمة الأولى ، و " بجاية " العاصمة الثانية .

أما الأولى فاحتلت موقعا بين مفترق الطرق المتجه غربا نحو سجلماسة (3) ، وبلاد السودان الغربي ، وشرقا باتجاه إفريقية ، ومصر والشام ، وشمالا باتجاه أوربا ، عقب إنشاء واجهتها البحرية " بجاية " ، وصوب بسكرة ووركلا وغيرهما من الأمصار الحمادية المطلّة على مشارف الصحراء جنوبا مما سمح لها بالترويج الواسع لمنتجاتها ، ودرّ عليها بأموال معتبرة " ومدينة القلعة ، من اكبر البلاد قطرا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا .. وأعمها فواكه وخصبا " (4) . إلى جانب مختلف البضائع

الأخرى ، وتعاضمت أهميتها بعد الحملة الهلالية على إفريقية (5) ونزوح سكانها ، وخاصة أرياب الحرف صوب المغرب الأوسط ، فزادت خيراتها ، وتنوعت أنشطتها . (6)

-1	-	-	55	-	-	51	52
-2	-	-	91	-	-	211	212
-3	-	-	153	152	-	-	140
757	"	"	958	347	-	-	-
447	"	"	-	-	-	-	-
:	-	-	96	-	-	163	164
299	-	-	177	176	-	-	298
-4	-	-	86	-	-	209	-
-5	-	-	-3	-	-	57	58
-6	-	-	-24	-	-	221	-

غير أن تأثر القلعة بدورها بنفس الحملة على أحوازها من جهتها الشرقية ، وتأثير المرابطين على نشاطها التجاري مع بلاد السودان على حدودها الغربية ، دفع بالحماديين إلى التفكير في إيجاد الاختناق والانهيار ، فعوضته بالمنفذ البحري ، مدينة " بجاية " بحيوية مينائها ، وتنوع غلالها ، فتضاعفت مواردها هي الأخرى ، لتدعم خزينة الدولة ، فكانت استعادة الجهاز العسكري بقسط وافر منها . ومرة ذلك ما نقله الإدريسي من صورة ناصعة عن تلك الحيوية بقوله : " ومدينة بجاية .. عين بلاد بني حماد ، السفن إليها مقلعة ، وبها القوافل منحطة ، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة ، والبضائع بها نافقة ، وأهلها مياسير تجار .. وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء ، و.. المشرق ، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة " (1).

فربطت بذلك تجارة المملكة بالتجارة العالمية ، فازدادت مكانة المغرب الأوسط أهمية ، وغدا قطبا اقتصاديا متميزا في الحوض الغربي للمتوسط (2). وكان التعامل النقدي إما بالعملة الفاطمية ، على أساس قوة واتساع تداولها محليا وإقليميا ، أو بالدينار الذهبي ، والدرهم الفضي باستحداث يحيى بن العزيز " آخر ملوكهم للسكة سنة 543 هـ / 1148 م (3) ، والتي وصل تداولها حتى مصر الفاطمية . أو بواسطة المعادن الثمينة أيضا من ذهب ، وفضة ، بامتلاكها بيتا للمال في كل من القلعة وبجاية . وحصيلة ذلك كله تراكم رأس المال المعترف ، إذ أمكن تقدير ما يجمع سنويا منه بنحو ستة ملايين دينار ذهبي ، على اعتبار ان مداخيل جيرانهم الزيريين قدر بنفس الرقم ، علما بأن الحماديين كانوا أكثر نشاطا وحيوية من هذا الجانب . (4)

459	-	1	-	-	63	-	-1
105	-	1963	-	-	-	-	-2
				27	61	-	-
				.28	-	-	-
				145	363	-6	-3
				.146	-	-	-
					265	-1	-4

كما عرفت مدن ساحلية وداخلية أخرى ازدهارا ماثلا ، كمرسى بونة (1) ، الذي اتصف بشهرة عالية ، كونه الحد النهائي لحدود الدولة شرقا ، ومنه محطة عبور أساسية تتوقف بها السفن ذهابا وإيابا ، من وإلى بجاية ، وتسوق من بساينها المنتوجات الزراعية المختلفة ، فهو إلى جانب مرسى الخرز ، وجهات بحرية لقسنطينة وأحوازها ، وما أشرفت عليه بدورها من غلال وخيرات " وبها أسواق وتجار ، وأهلها مياسير ذوو مال ، وأحوال واسعة ، ومعاملات .. تشارك في الحرث والادخار ، والحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تقسد " (2). فهذا الثراء الذي وقف عليه الرحالة جعل الدولة الحمادية الطرف الأقوى ماديا ، فانعكس ميدانيا على ما اكتسبته من مكانة سياسية وحضارية ، وهيبة عسكرية في أقصر مدة ممكنة ، لم تتعدى الخمسين سنة على قيامها ، فامتلكت عواصمها وأمصارها شهرة بلغت الآفاق مشرقا ومغربا. (3)

2- حاصل الضرائب والزكاة :

وتعد ثاني مصدر لمداخيل بيت المال ، إما بجباية رسوم التعاملات التجارية على مستوى كل مدينة ، بجرد عائداتها السنوية ، وتوجيه جزء منه للخرينة ، ونورد مثالين بارزين لأهم مركزين تجاريين ، وحجم ما كان يحصل بهما من رسوم وهما :

مرسى الخرز : كان يقدم لبيت المال من عملياته التسويقية عشرة آلاف دينار

ومستخلص مرسى بونة : وصل العشرين ألف دينار (4) . دون اهمال مداخيل العاصمة بجاية و المقدره "بالأموال المقنطرة " (5) . والعاصمة الأولى القلعة التي "فيها كانت ذخائرهم مدخرة، وجميع

77	-	-	764	-	-	115	-	-1
		73	-	77	-	115	-	-2
						229	-	-
338	:	-	" ..	"	-	67	-	-3
								. 339
				212	211	55	-	-4
				.297	-1	63	-	-5

أموالهم مختزنة " (1) . أو بفرض ضرائب عينية على السفن العابرة للقسم الغربي للبحر المتوسط ، إما عند شحن سفنها ، أو تفرغ محتوياتها بمختلف الموانئ الحمادية ، أو التوقف بها للتزود بالمؤونة عند الانتقال من ميناء لآخر (2) ، أو من المغرب إلى المشرق ، وذلك بناء على اتفاقيات ومعاهدات تجارية أبرمت بينهم وبين الدول والإمارات الأوربية خاصة الإيطالية منها ، بحكم الواجهة البحرية المشتركة بينهما. وكذا حاجة أوروبا إلى المواد المختلفة المتوفرة والثرية بالمغرب الأوسط ، خاصة منذ نقل العاصمة من القلعة إلى بجاية سنة 460 هـ / 1068 م (3) .

وكلف عمال خاصون لرصد عمليات المتاجرة الداخلية والخارجية ، الصادرة والواردة ،
 درءا لعمليات التهرب الضريبي ، أو عدم التصريح بالتعاملات .
 أما الزكاة والعشور والصدقات وغيرها التي يتم تحصيلها وتوزيعها على أسس شرعية ،
 فيخصص جزء منها لمستحقيها من الفقراء والمساكين ، ويتم حصر الباقي لتوجيهه صوب
 أغراض أخرى ، ومنها الغرض العسكري ، كميزانية تعتمد للجيش والشرطة
 والقائمين عليهما ، على اعتبار أن النفقات العامة للدولة كانت محدودة على عكس
 النشاط الحربي الذي طبعت به الدولة ، وحاجته إلى الأموال لتعبئة القوات
 وتسليحها ، وخوض عمليات التوسع والدفاع على كيانها وحدودها (4) .
 3- المساهمات العينية :

بفرض الدولة على القبائل المنضوية تحت لوائها ، والمستقرة في نطاق حدودها ،
 إلزامية تقديم عدد من أفرادها ، وحصّة من خيولها ، لاستخدامها في التجنيد
 أو وسائل قتالية ، أو اللجوء إلى جانب

-1	-	-	64	-	-	170	-
-	-	-	-	-	-	1 - 1981	89 .
-2	Jean moulair	les Etats barbarsques	presses universitaires de France	paris	1973	p 30	
-3	-	-	1	-	298 .		
-4	-	-	3	-	109	(. .)	-
			-	-	16	1980	-

تقديم المساهمات العينية من المؤن ، وما تملكه من محاصيل وأموال وغيرها ، كدعم مباشر
 للمجهود الحربي ، وتحميل كل طرف مسؤوليته في الدفاع عن الدولة وتعبيرا عن
 الولاء لها (1)

ومما لا شك فيه حسب تقديري ، أن ازدهار الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط على هذا
 العهد ، دفع القبائل والأفراد على حد سواء إلى دفع هذه المستحقات عن طيب خاطر ، إيمانا
 بمسؤولية الدولة في توفير أسباب وعوامل الرفاهية التي عرفتھا المنطقة خلال
 القرن الخامس وبداية السادس الهجريين .

4- الغنائم وفدية الأسرى :

اعتبارا لطابع المواجهة الدائم للدولة مع الأطراف المتعددة المتاخمة لحدودها، وحالة
 الحرب المعلنة معها ، والانتصارات المحققة من فترة لأخرى ، تعتمد
 الغنائم ، وما يتم تحصيله من الأعداء ، أرصدة مالية تضاف إلى خزينتهم .
 وكثير ما كان يجرد عمالهم المتمردون مما يملكونه ويوجه للغرض نفسه .
 فعلى عهد " الناصر" وقبل استقراره في عاصمته " الناصرية " ، بعث بوحدات من جيشه
 إلى بلاد وركلا (ورقلة) ، وعين واليا من قبله عليها ، ثم عاد محملا بالغنائم والسبي (2) ،
 كما عمل خلفاؤه على تكثيف حملاتهم صوب إفريقية شرقا ، وبلاد زناتة غربا ، فيعودون مثقلين
 بمختلف صنوف المعادن الثمينة و الأنينة والخيول وغيرها .

وعلى الواجهة البحرية عبر بونة ، وبجاية وتنس ، ومرسى الخرز ، تخرج المراكب الحربية بمختلف أنواعها وأشكالها لغزو بلاد الروم ، خاصة الإمارات الإيطالية مثل سردينيا (3) وكرسفة وما والاهما (4) .

وحتمًا كانت هذه الغزوات الجهادية ضد المسيحيين ، تكسبهم من الأسرى والغنائم الشيء الكثير ، يتم دمجهم كعائدات لبيت المال ، أما الأسرى فبفديتهم (5) أو توجيه جزء منهم للخدمة في الجيش في إطار نظامي ، أو بيعهم

-1	-	-	-4	.354
-2	-	-	-6	356
-3	-	-	55	89
-4	-	-	73	115
-5	-	-	208:209	106

في أسواق بجاية وغيرها ، والمداخيل المالية المحصلة من هذه العملية توجهه لخدمة الغرض نفسه .

وأثبتت المصادر حجم الثروة الطائلة التي امتلكتها الدولة بفعل تنوع مصادر التمويل . فنقل ابن عذاري صورة حية عن تلك الرفاهية بمناسبة عقد قران " عبد الله بن حماد " بأخت " المعز " ، " أم العلو " سنة 415 هـ / 1024 م ، بقوله : " وزين الإيوان .. ودخل الناس خاصة وعامة ، فنظروا في صنوف الجوهر والأسلاك والأمتعة النفيسة ، وأواني الذهب والفضة .. فبهر عيون الخلق حال ما عاينوه وأبهاهم عظيم ما شاهدوه ، وحمل المهر في عشرة أحمال .. وجملته مائة ألف دينار عينا " (1) .

فإذا كان الإنفاق على عرس أمير - مع احتمال المبالغة - في بداية عهد الدولة ، فإن حجم الرصيد تعاضم حتماً باتساع رقعتها ، ونمو مدنها وأمصارها ، وتعدد واجهاتها ، فكان حظ الجيش معتبراً منه .

أما عند هزيمة " حماد " في معركة " شلف " أمام ابن أخيه " باديس " سنة 406 هـ / 1015 م ، فما أخذ منه من الأموال والغنائم كان كبيراً فقد أحصي ما حصله أحد قواد الجيش الزيري بـ " صندوق " فيه خمسون ألف دينار وسبعمئة ، ومن الورق ألف وخمسمائة ألف درهم ، ومن الأمتعة خمسون صندوقاً " (2) ، هذا دون حساب ما كان يكتنزه في خزائن بيت المال بالقلعة .

كما تظهر من غنى الأمصار ، ومصاريف الولاية وهداياهم ، فقد أرسل " صندل " وال بسكرة بهدايا إلى " المعز بن باديس " الزيري تعبيراً عن ولائه له ، ورافعا لطاعته عن حماد سنة 415 هـ / 1024 م فقدرت " بثلاثمائة حصان ، ومائة فرس ، ومائة حمل من المال " (3) . مما يدل على سعة الخيرات التي امتلكوها إبان تشكيل دولتهم ، وطيلة مراحل ازدهارها ، فأهلها ذلك للقيام بأدوار بارزة في التاريخ العام للمغرب الأوسط لمدة قرن ونصف من الزمن تقريباً . وهو ما جعل المؤرخين يصنفون قدرات الحماديين المادية أكبر من نظرائهم الزيريين ، بحكم الموقع

-2 - : 263 264 .

-3 - - 273

الذي أشرفوا عليه ، وحسن استغلالهم لما توفرت عليه منطقتهم في مختلف المجالات الأساسية ، والتي ساهمت في ازدهار حضاراتهم ، مما سمح لهم بتبوء تلك المكانة التي دونها لهم التاريخ، وجعل العاصمة "بجاية" تصنف ضمن أكبر الحواضر، وتوصف بعين بلاد المغرب الأوسط وقاعدته بدون منازع (1) أنواع الأسلحة :

تتم عملية تسليح الجيش وإعداد القوة المادية ، بجمع أكبر عدد منها ، واختيار أكثرها فعالية في ساحة القتال ، ويعد ذلك عملا تتباهى به الشعوب وتتنافس فيه ، إبرازا للمكانة العسكرية التي تحتلها ، وأسلوب ردع معنوي ، يستخدم في صدّ الأعداء ، ووقف تحرشاتهم والحد من مناوراتهم.

والدولة الحمادية كغيرها ، اهتمت بهذا الجانب فامتلكت من أنواع الأسلحة الحجم الكبير ، اعتبارا لطبيعة التحديات التي كانت تواجهها بتعدد الخصوم وجبهات القتال ، نظرا للموقع الوسطي الذي احتلته ، والواجهة البحرية التي تطل بها على عدو اختلفت معه في الجنس والاعتقاد .

فقد احتوت العاصمة القلعة ثم بجاية على دار خاصة بالأسلحة ، يتم فيها تجميع ما صنع منها محليا ، أو بالاقتناء " وفيها كانت ذخائرهم مدخرة.. ودار أسلحتهم " (2) منها يتم التوزيع على باقي الأمصار مما يسمح لها بالتحكم في زمام الأوضاع ، ودرء محاولات التمرد التي كان يقوم بها بعض العمال ، أو الرعية على حدّ سواء من حين لآخر . وما قام به " القائد بن حماد " على عهد والده سنة 415هـ/1024م في القضاء على حركة " صندل " والي بسكرة (3) يصب في هذا المنوال . ونفس المنطقة ستشهد تمردا مماثلا على عهد " الناصر بن علناس " سنة 454 هـ/ 1062 م ، الذي قام بدوره بتوجيه حملة بقيادة وزيره " خلف بن حيدرة " لقمع ثورة " آل رمان " (4) .

-1	-	-	63	-	-	142	-	-
-	-	-	-	-	-	-	-	-
-	-	-	-	-	-	84	-	64
-	-	-	170	-	-	-	-	-
-3	-	-	273	-1	-	354	-6	282

وكون الوسيلة الحربية تعد الأداة الفعالة للحركة والمناورة العسكرية ميدانيا ، فقد لجأوا إلى اعتماد وسائل متعددة في حروبهم ، سواء للمواجهة أو لنقل العتاد والمؤن ، وما يلزمها من أموال وخيم وغيرها ، إذا ما تطلبت الحاجة الانتقال عبر مسافات أطول . فقد يتحرك الملك أو من ينوب عنه على رأس جيش لمدة شهر أو يزيد ، خاصة خرجاتهم صوب الناحية الغربية للمملكة في مواجهة بطون زناتة ومن حالفهم . ومن هذه الوسائل المعتمدة :

1- الخيل :

وسيلة حربية عريقة في القدم ، تتميز بالخفة وسرعة الحركة ، تعد القوة الضاربة والسلاح الفعال في أي معركة ، وأعزها عند النزال " أعلم أن الأمم الماضية لم تنزل تكثر من الاعتناء بالخييل والتشريف لها .. والتعويل عليها في حروبها " (1) .

واشتهرت الدولة الحمادية بامتلاكها لقطيع واسع منها ، نظرا للاهتمام الكبير بتربيتها ، واختيار الأنواع الأصيلة منها، خاصة من المسيلة ومنطقة الزاب ، وبني راشد بناحية شلف ، وبعموم في الجيش ، دلت عليه أسماء الفرق ، ومنها :

" فرقة الفرسان (الخيالة) " ، فهي تمثل القسط الأكبر من تشكيلته ، فقد اجتمع في العاصمة القلعة وحدها اثنا عشر ألف فارس (3) ، واستفاد الحماديون منذ قيامهم بمبادرتهم الانفصالية ، بقيادة " حماد " وقبل ذلك بولايته بالمغرب الأوسط ، من استيلائه على كل ما امتلكه من " الخيل والسلاح والعدد الشيء الكثير " . (4) وقد وصف الشاعر الزيري أبو إسحاق دورها في معركة " شلف " والتي دارت رحاها بين " حماد " و " ابن أخيه " ، في أبيات له من البحر البسيط ومنها :

-1	-	-	-	25	-	-	-	328
-2	-	-	199	-	-	"	.. "	336
-3	-	-	94	-	3	-	-	
-4	-	-	182	-	7	-	24	194

والخييل تعبر بالهجمات خائضة * من سافح الدم مجرى قانى الفلق (1)

أما لوازمها من سروج ولجم ، فيتم صنعه محليا بالقلعة أو غيرها ، او استيرادها من خارج المملكة ، فقد اشتهرت مدينة " لمطة " بصناعة النوع الجيد منها (2) ، فكان لجوءهم إلى اقتنائها من هناك بواسطة حركة التجارة التي ازدهرت بين سجلماسة والقلعة وغيرهما من المدن .

فعدت الفروسية فنا قتاليا ، مكن المجندين من اكتساب مهاراته بالتدريب المباشر والدائم على الخيول ، مما يزيد في أدائهم الحربي ، باستعمال مختلف أنواع الأسلحة الملازمة لهذا النوع ، سواء في حالة الإغارة أو الدفاع .(3)

2-البغال :

تستخدم وسيلة لحمل المؤونة والعتاد الحربي والمال ، إلى ميادين القتال ، نظرا لقدرتها الكبيرة على الصبر والتحمل .(4)

3-الجمال :

وسيلة مواجهة ونقل ، نظرا لقدرتها على التحمل هي الأخرى ، ويكون العبيد أكثر العناصر استعمالا لها ، وسميت فرقة خاصة باسمها " الجمالة " وذلك اقتباسا عن بني عمومتهم الزيريين ، الذين استخدموها في حروبهم ، ومنها معركة " حيدران "

في أول مواجهة لهم مع الهلاليين سنة 443 هـ / 1050م التي شارك فيها " من الجمال نحو خمسة عشرة ألفا " (5) .
وعليه يكون الحماديون بدورهم قد استخدموا عددا معتبرا منها ، نظرا لامتداد رقعتهم الجغرافية

-1	-	-	-	-	-	264	-1	-	-	-	268
-2	-	-	-	-	-	.59	-	-	-	-	
-3	-	-	-	-	-	81	-	-	-	-	100 98 :
-4	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	14,15 - 1973 / - " " -
.158	-	5	-	-	290	-	-	-	-	-	48 - -2
.455											

إلى مناطق موغلة في الصحراء ، معروفة بانتشار هذا النوع الحيواني بها ، مثل بسكرة ، ووركلا
بلاد السودان (1).

وثبت ميدانيا استعمال الملك " الناصر بن علناس " لها في معركة " سببية " سنة 457 هـ / 1065 م ، حيث فقد ما يقارب خمسة عشر ألف جمل من جملة المغانم التي استولى عليها " المعز " الزيري وحلفاؤه الهلاليين وغيرهم (2) .
يؤكد هذا القدرة القتالية لهذه الوسيلة الحربية في دعم الفعالية باقي الفرق العسكرية الأخرى ، بإحداث التكامل في الأداء عند المواجهة ، وتكون الجمال قد وضعت في مقدمة فرقة المشاة بهدف شل نشاط فرقة النشاب من جانب العدو .

:

يعد التسليح الدعامة الرئيسية لأي بناء حربي ، ويقوم الإعداد المادي للجيش خلال هذه العهود - على أسس أربعة هي : المال - العنصر البشري - الحديد - الخشب (3) ، مصداقا لقوله تعالى : " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " (4) ، وقد استوعب الحماديون ذلك ، بالاتجاه إلى تنويع مجال الآلات الحربية المستعملة في حروبهم ، بتصنيعها محليا أو استيرادها ، تحقيقا للتفوق أو التوازن مع غيرهم ، وهي الغاية المثلى لأي دولة في اتجاه بنائها لقوتها العسكرية ، فكانت الأدوات التالية :

1- السيوف : هو أكثر الأسلحة شيوعا واستعمالا ، فهو سلاح هجومي ، والقوة الضاربة في يد الجندي ، باعتباره وسيلة فعالة في الدفاع عن الذات ، والمبارزة والقتال عن بعد ، سواء لفرقة

-1	-	-	-	-	-	200	-	-	-	-	
-2	-	-	-	-	-	299	1	-	-	-	455 -2

3- - - - - 61 - 1370-1 - - - - -
4- .25

المشاة أو الفرسان ، فهو أداة خفيفة تلازم الفرد المجند أينما حلا وارتحل في حالتي الحرب أو السلم (1).

وتميز السيف البربري عادة بالطول والاستقامة ، واتساع المجال الفاصل بين المقبض وبداية حد السيف ، لتشمل نوعين منها : السيف ذا الحد الواحد ، وذا الحدين (2) . وعادة ما يرتبط السيف بوجود الخنجر الذي يستعمل في الطعن في حالة فقدان الجندي لسيفه عند المبارزة.

2- الرمح : تستخدم للكرّ والإغارة والرمي عن بعد ، إذ يأخذ الجندي رمحه بيمينه ، وهو راكب وعنانه بشماله ، فيوجه مقدمة رمحه نحو الأرض ، مبعدها عنه قليلا ، ثم يدفعها صوب صدر جندي العدو عند المبارزة . فالحماديون استعملوا الرمح الطويلة الرقيقة ، والحربة ، والقوس ، وأنواع السهام المتنوعة (3) ، هذه الأدوات عناصر أساسية لتسليح المشاة والفرسان " وقد حالف الناصر بن علناس سنة 457 هـ ، بعض زناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة .. فأعطاهم المال والسلاح والرمح والسيف .. " (4) .

3- الدرق : (5) غلب على الحماديين استعمالهم للدرق اللطية (6) اعتبارا لقوة تحملها وقدرة مقاومتها

1- - - - - 127 - - - - - : 232 233 - - - - - 11

.98 - - - - -

2- - - - - 100 - - - - - .330 - - - - -

3- - - - - 129 - - - - - 98 - - - - - 76 83 .

4- - - - - 101 - 8 - - - - - 127 - - - - - " - - - - - " .23 - - - - -

5-

:

: 147 - - - - - : 44,45 - - - - -

- - - - - 502 501 : - - - - - 68 - - - - - 1 - 266 .

- - - - - - - - - - - 455 - 1987-1 - - - - -

6- " " " " ()

:

- - - - - 47 - - - - - 81 - - - - - 6 - 371

- - - - - .147

وقدرة مقاومتها ، وإمكانية توفيرها ، وقد ثبت من خلال المواجهات العسكرية امتلاكهم للكثير منها مما جعلها من وسائل الدفاع الرئيسية المستخدمة . ففي أول مواجهة بين " حماد بن بلكين " وابن أخيه "باديس" سنة 406 هـ / 1015 م ، غنم هذا الأخير في معركة شلف "عشرة آلاف درقة مختارة لمط" (1).

ولعل توسيع الحماديين لرقعتهم الجغرافية غربا ، وتأمينهم لتلك الحدود من فترة لأخرى ، وخاصة وقوفهم الدائم في وجه بعض بطون زناتة ، والملثمين بالناحية الغربية ، سمح لهم بالاستفادة من التمويل الدائم بالعديد من الوسائل الحربية من هذا النوع ، من درق ، وسروج ولجم ، وهي بدورها من الأدوات الرئيسية للفارس على غرار باقي الأجهزة الأخرى .

4- الخوذة والدرع : فالخوذة : توضع فوق الرأس ، وتكون مصنوعة عادة من الجلد أو القماش، أو الحديد أو البرونز ، وعرفت عند الحماديين بـ " العمامة " التي اشتهرت القلعة بصناعتها ، ويتميز الملوك والأمراء بوضع عمامة حمراء اللون تأخذ شكل التاج ، بناء على القوالب التي تصنع بواسطتها والتي يسمونها عندهم " الرؤوس " يحيطون بها تلك العمام ، التي تميزهم عن غيرهم من الجند والقادة وإشارة على تولية قيادة الجيش ، في حالة خروج الملك أو من ينوب عنه للحرب . (2)

أما الدروع ، أو الجئة فهي سلاح لحماية الجسم كله ، أو جزء منه تقيه من ضربات العدو ، وتكون مصنوعة بدورها من الحديد أو البرونز أو من الجلود المقواة ، المضاعفة للطبقات زيادة في الحماية والاحتياط ، لذا فهي الأكثر تداولاً لخفتها ، ولقدرة الجندي على الحركة السريعة وهو مرتد لها (3).

وقد أثبتت المصادر استخدام جيوش "الناصر" لهذا النوع من السلاح في حصاره للمهدية سنة 457 هـ / 1065 م " فأعطاهم المال والسلاح .. والدروع والدرق .. " (4) .

1- - - - 277 - 8 - - - 1 - 263 .

2- - - - " - - - - " - - - - " - - - - 1974 - 19 - - - - 341 340 :

3- - - - 143 144 : - - - - 43 - - - - 330 - - - -

- - - - 109 - - - - 454 .

4- - - - 101 - - - - 109 - 3 - - - -

5- الطبـول والبوقـات والرايات : وهي من وسائل الاستتار ، وحرص الصفوف في المعركة عند الكرّ أو الفرّ (1) ، ورغم حمل كل قبيلة لراية خاصة تميزها عن غيرها ، إلا أن الراية في مقدمة الجيش ، وموكب الملك ، وإذا ما نزل معسكره في مكان ما استعدادا للمعركة، تثبت على رأس الخيمة التي يستقر بها والتي تعرف بـ " فـازة السلام " (2) ، مع حشد الجنود عند الاستعداد للمعركة بضرب الطبول لرصّ الصفوف والتأهب النفسي للقتال . (3)

إلى جانب ما يستخدم من وسائل اتصال من منارات ومرايا وإشارات ضوئية ، لتبليغ أخبار الأخطار وتبادلها بين المدن والأحصار . (4) ومما لا شك فيه - وعلى منوال باقي الجيوش في تلك الفترة - استخدم الحماديون وسائل أخرى بدأ بالمنجنيق (5) ، كوسيلة اقتبسوها من جيرانهم الزيريين ، الذين استعملوا النفط كدهن سريع لاحتراق وأداة هجومية ضد أعدائهم برا وبحرا (6) ، أو لغرض الحصار ، بحكم طابع الصراع الدائم بينهما ، وسعي كل منهما

لتحقيق التفوق العسكري أو التوازن على أدنى تقدير، وكذا السلام لتسلق الأسوار، والدبابات لاقتحام الحصون (7). وهي كلها وسائل حربية شاع استعمالها في نفس الفترة علما وأن الحماديين اعتمدوا في خطتهم على أسلوب الحصار المزدوج، وهو ما تطلب منهم تنويع أدوات القتال ، بين الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، وقد أكسبهم ذلك فعالية حربية ، سمحت لهم بتبوء المكانة الخاصة في هذا المجال بين مجمل القوى السياسية والعسكرية السائدة حينها .

| | | | | | | | |
|----|---|---|------|----|-------|----|-----------|
| -1 | - | - | 54 . | - | - | - | - |
| -2 | - | - | 129 | - | 127 | - | 24 . |
| -3 | - | - | - | - | 109 . | -3 | - |
| -4 | - | - | 65 | - | 208 | - | " " -" |
| - | - | - | 91 | -1 | - | - | 1971 |
| -5 | - | - | - | - | - | - | - |
| - | - | - | 129 | - | 508 . | - | - |
| -6 | - | - | - | - | 146 | - | 80 . |
| -7 | - | - | - | - | 328 | - | 510 : 511 |

:

عرفت الدولة الحمادية بازدهار عام للحياة الاقتصادية ، والصناعية على وجه خاص ، وذلك باهتمامها منذ التأسيس بهذا النوع من النشاط الحرفي ، مما ساهم في وضع ركيزة هامة جمعت بين الأغراض المدنية والحربية ، اعتبارا للقاعدة القائلة بأن امتلاك السيادة الكاملة لأي دولة ، لا يتم إلا بتلبية الحاجيات الأساسية الغذائية و الصناعية لسكانها، رغم أن اقتناء جزء منها خاصة الثانية منها ضرورية لتنمية الخبرة ، واقتباس النوع ، على نسق ما كانت تلجأ إليه المملكة من فترة لأخرى بجلبها للعديد من الوسائل والأدوات الحربية في إطار علاقاتها التجارية مع بلاد السودان أو المشرق وأوربا ، مثل الدرق اللطمية ، والسروج ، واللجم من سجلماسة وضواحيها ، والدروع والخوذات والحرايب من لمبارديا ، وبعض أنواع السيوف وغيرها من الإمارات الجرمانية (1) .

أما الصناعة المحلية فقد ازدهرت بالكثير من المدن والأمصار خاصة بالعاصمتين القلعة وبجاية ، نظرا للإمكانيات المعتبرة التي توفرت عليها الرقعة الجغرافية الواسعة للمملكة (2) . وتجلت في مختلف المواد الأولية الأساسية للصناعة الحربية ومنها :

الحديد : الجيد النوعية ، حيث تعددت مناجم استخراجها بالمملكة ، لينقل إلى القلعة أو بجاية لصهره ، واستخدامه في تشكيل مختلف أنواع الأسلحة ، باعتباره مادة أساسية لهذه الصناعة ، ومنها مدينة بونة التي وصفها الرحالة بأنها " مدينة مقطرة .. بها معادن حديد كثيرة ، ويحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير " (3).

| | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|---|-----|---|------|---|
| -1 | - | " | - | - | - | - | - | - | - |
| -2 | - | - | - | - | - | 764 | - | - | - |
| -3 | - | - | - | - | - | 11 | - | 1954 | - |
| - | - | - | - | - | - | 77 | - | - | - |
| - | - | - | - | - | - | 196 | - | - | - |
| - | - | - | - | - | - | 100 | - | - | - |
| - | - | - | - | - | - | 86 | - | 1974 | - |

النحاس : يوجه نحو صناعة السفن ، إما مسامير للربط ، أو لحماية الأخشاب من التلف في شكل صفائح ، ويستخرج خاصة من كتامة (جيجل وبجاية) " و على هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ، ومنها يحمل إلى إفريقية وغيرها " (1) كما تستخدم الصفائح النحاسية في صناعة السروج ، ومقابض السيوف ، وإحاطة الدروع وغيرها من الأدوات الحربية .

الزفت ، والقطران ، والصمغ : وتعد بدورها من أساسيات صناعة السفن ، بتوظيفها في لحم الخشب بعضه لبعض ، وطلاء داخلي وخارجي ، يحمي السفن من التلف ، ومقاومة ملوحة البحر ، يستخرج من الجبال المحيطة ببجاية " ويجلب إليها من أقاليمها ، الزفت البالغ الجودة والقطران " (2). لقد أدت كل المواد السالفة الذكر إلى ازدهار الصناعة الحربية في أمصار الدولة الحمادية مثل بونة ومرسى الخرز.

الأخشاب : تمثل الركيزة الأساسية التي تستند إليها الصناعة البحرية ، إذ يتم تجفيف اللين منها ، وتحويله لإنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والأشعة (3) . وقد أشرفت المملكة على مساحات واسعة من الغابات المتنوعة الأشجار خاصة الفلين والزان ، ببجاية وبونة ، والمناطق المحصورة بينهما فالأولى " بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل ، لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير " (4) ، والثانية يجلب منه إلى إفريقية .. " (5)

لقد ساهمت هذه الثروات بشكل مباشر في ازدهار النشاط الصناعي ، وغدت العاصمة الثانية للمملكة بذلك قاعدة للصناعات المعدنية في النصف الأول من القرن السادس الهجري (6)

| | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|---|-----|-----|---|---|
| -1 | - | - | - | - | - | 73 | - | - | - |
| -2 | - | - | - | - | - | 63 | - | - | - |
| -3 | - | - | - | - | - | 284 | - | - | - |
| -4 | - | - | - | - | - | 731 | 730 | - | - |
| -5 | - | - | - | - | - | 81 | - | - | - |
| - | - | - | - | - | - | 200 | - | - | - |
| - | - | - | - | - | - | 68 | 67 | - | - |
| - | - | - | - | - | - | 198 | 197 | - | - |

وقد انعكس ذلك إيجابيا على النشاط البحري الحربي لمختلف الموانئ التابعة لها "ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم (1) ، و ب " مدينة مرسى الخرز .. تنشأ السفن والمراكب والحراي التي تغزى بها بلاد الروم ، وإليها يقصد الغزاة من كل أفق .. " (2)

هذه الشواهد التي أبرزها الرحالة الذين عايشوا الحيوية التجارية ، والنشاط العسكري للمملكة ، تتحدد بوضوح الإمكانيات المادية المعتبرة ومدى توظيفها ، ببناء ترسانة حربية قوية ، أهلتها لتصنف ضمن القوى البحرية الهامة في حوض البحر المتوسط .

إلى جانب ذلك أشرفت على شريط ساحلي واسع ، امتد من مرسى الخرز شرقا ، إلى مرسى تنس غربا وما جاوره ، مرورا بمرسى جيجل ، وبجاية ، وجزائر بني مزغنة، وهي موانئ هامة انفتحت بها على الواجهة الجنوبية لأوربا ، وفرض عليها هذا الموقع حتمية التحدي : إما بمباشرة الغزو هجوما في المرحلة الأولى من حياتها ، أو دفاعا في مرحلة ثانية ، إلى جانب طابع سواحلها المتعرجة ، ي تداخل الرؤوس والخلجان ، مما وفر حماية طبيعية جيدة للموانئ التي أنشأت بها دور صناعة أساطيلها تلبية لحاجياتها من المراكب التجارية والحربية . (3) كما استفادت من عوامل أخرى ساهمت في تطوير هذا النوع من الصناعة وهي :

1-نكبة إفريقية جراء الحملة الهلالية على أراضيها ، ابتداء من سنة 443هـ . (4) وقد سمح ذلك للكثير من أرباب الصنائع والحرف بالنزوح صوب المغرب الأوسط ، للتمركز بالقلعة ثم بجاية

وباقى الأمصار الأخرى ، حاملين خبراتهم لتوظيفها في دعم هذه الصناعة والزيادة في تميمتها . (5)

| | | | | | | |
|-------|----|---|------|---|---|-------------------|
| -1 | - | - | 73 . | - | - | - |
| 2 | - | - | 55 . | - | - | - |
| 3 | - | - | 80 | - | - | 264 263 : |
| 200 . | -4 | - | -24 | - | - | 209،211 : |
| - | - | - | " | " | " | " - 11 - 1979 - : |
| - | - | - | - | - | - | 227 226 : |
| 221 | - | - | " | - | - | 1976 - 30 - 33 / |

2-نكبة أهل " المرية " الأندلسيين باستلاء المرابطين على إمارتهم سنة 484 هـ / 1091 م ، والكثير من أهلها بزعامة أميرها " معز الدولة بن صمادح " صوب المغرب الأوسط ، حيث اقتطعوا أحوال مدينة " تدلس " من قبل " المنصور بن الناصر " للاستقرار بها فأفادوا واستقادوا ، إذ كانت أهم خبراتهم الحرفية بناء السفن الحربية والمدنية ، وغيرها من الصناعات المتنوعة الأخرى ، فعدوا مكسبا إضافيا لقدرات الدولة في هذا المجال (1) .

3-الغزوات المنتامية للنورمان انطلاقا من صقلية صوب المدن الساحلية المغاربية ، ولد رد فعل إيجابي لدى الحماديين بتحديثهم المضاد في بناء قوة بحرية ، وتطوير ترسانتهم الملاحية ، مع

الاستفادة من خبرات الصقالبة والمالطيين وغيرهما ، المحصلين بالأسري أو الشراء (2) في تطوير نفس النشاط في بجاية وما والاها .
لقد أدى اجتماع هذه المعطيات والإمكانات كلها ، وتوفر الإرادة السياسية للدولة في هذا الاتجاه ، وضغط التحديات المختلفة في ظهور الأنشطة الصناعية التالية :
- : وشمل :

- صناعة السروج : وسيلة رئيسية لفرق الفرسان ، حيث استخدم الجلد المنمق في صنعها ، لكونه أكثر متانة تبعا لطبيعة حركة الفارس على ظهر فرسه أثناء العمليات القتالية (3) . فاشتهرت مدن كثيرة بهذا النوع من الحرف المتخصصة ، مثل :
- صناعة السيوف والدروع والسهام والخوذات : المتنوعة الأشكال والأحجام ، وانتشرت دور الصناعة الخاصة بها . وكانت القلعة - العاصمة الأولى - المركز الرئيسي لها ، ومنها يتم توزيع مختلف أنواع الأسلحة

-1 - - - 118 117 : - - - 361 -6 - - 48 :
49 - - - 89 - - - " - " - 14 - -
-4 - 324 .
-2 - " - " : - 14 - - 254-250 :
-3 - - 82 - - 81 - - 325 .

إلى باقي الأمصار الأخرى ، باستحداثهم لدار الأسلحة " وفيها دار أسلحتهم " (1) والتي يشرف على تأمينها وصيانتها حرس خاص .
ولعل هذه المركزية تقسر في اعتقادي باحتكار الدولة لهذا النشاط ، لتوجيه العمل الحربي بمفردها دون غيرها ، نظرا لحالات التمرد التي كانت تمس المملكة من حين لآخر .
وتكاملت بجاية - العاصمة الثانية - مع القلعة منذ تمصيرها سنة 460هـ / 1062م ، استنادا إلى المقومات المعدنية التي أشرفت عليها أقاليمها " وبها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد " ومن " الصناعات كل غريبة ولطيفة " (2) حيث استوطن بها أصحاب الصنائع والحرف بإنشاء المصانع والمعامل المتخصصة في صنع مختلف أنواع العتاد الحربي (3) .
وأمام وفرة مختلف أنواع الأخشاب في كل من بجاية وبونة (4) انتشرت صناعة العتاد الثقيل من :

سلاالم ودبابات : لتسلق الجدران واقتحام الحصون ، وازدهرت هي الأخرى بالمدينتين اعتبارا للأساليب التكتيكية المعتمدة في حروبهم ، ومنها الحصار الذي يفرض على الأعداء ، حيث يدوم سبعة أشهر أحيانا ، وعند العجز وعدم تحقيق الحاجيات الكلية لمتطلبات التسليح ، تلجأ إلى استيراد أنواع متعددة منها : الدروع والخوذات والحرايب والسيوف من أوروبا أو المشرق أو بلاد السودان ، مستفدين في ذلك من حيوية الحركة التجارية للمملكة (5).

-1 - - - 91 - -
-2 - - 81 - - 91 90 : - - - " - " -
" - " - 1974 - 19 - 41 - - 170 - - " - 86 .

| | | | | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|-----|---|---|---|---|---|---|-----|
| -3 | - | - | - | - | 284 | - | - | - | - | 1 | - | 292 |
| -4 | - | - | - | - | 54 | - | - | - | - | - | - | 85 |
| -5 | - | - | - | - | 90 | - | - | - | - | - | - | 345 |
| -1 | - | - | - | - | 467 | - | - | - | - | - | - | 274 |

ب- :

وتعد النشاط الأقوى على الإطلاق ، نظرا للسيطرة التي فرضها المغاربة على الحوض الغربي للمتوسط ، نتيجة للصراع القائم في المنطقة ، والمتمثل في النشاط الصليبي الذي حمل لواءه " روجر II " النورماني ، المتحالف مع أمراء "بيزا" و"جنوة" ، حيث أدى إلى تبادل الحملات العنيفة بين الطرفين ، بانقلاب الكفة لصالحه باستيلائه على صقلية ، وتهديد الروم من أهل "بيزا" و"جنوة" سواحل المنطقة بحملته على المهديّة سنة 480 هـ / 1087 م (1) وحملات النورمان على بونة ومرسى جيجل في شرق المملكة سنة 543 هـ / 1148 م (2) . واستغلالا للقدرات المادية والبشرية ، أرست الدولة قواعد ترسانة بحرية قوية شملت مختلف الموانئ الحمادية ، ذكر أغلبها الرحالة العابرون لمراسيها ، إذ اشتملت بجاية على " دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرايبي " (3) ، المتنوعة الأشكال والأحجام الموجهة للقتال ، وكذا " مرسى الخرز صنع به مرفأ للسفن .. وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية " ومرسى الدجاج " مرسى مأمون تقصده الأساطيل " (4) إلى جانب موانئ مماثلة اختصت بنفس النشاط ، كمرسى بونة الذي أنشئت به دار لصناعة السفن على عهد " المنصور بن الناصر " (5) وتدلّس وتنس وصولا إلى على مشارف وهران في أقصى الحدود الغربية للمملكة ، وهو المجال الحيوي لحركة أسطولها .

وأهم ما ميّز إنشاءها ، صناعتها من خشب الأرز والزان ، مع اعتماد التثبيت بالمسامير ، وطلائها بالزفت والقطران والصمغ ، إمّا باستعمال الأخشاب المحلية أو استيرادها من البندقية أو غيرها، رغم

| | | | | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|------|----|---|---|---|---|---|-----|
| -1 | - | - | - | - | 301 | -1 | - | - | - | - | - | 467 |
| -2 | - | - | - | - | 313 | - | - | - | - | - | - | - |
| -3 | - | - | - | - | 1857 | - | - | - | - | - | - | 26 |
| -4 | - | - | - | - | 208 | - | - | - | - | - | - | 495 |
| -5 | - | - | - | - | 200 | - | - | - | - | - | - | 81 |
| -1 | - | - | - | - | 13 | - | - | - | - | - | - | 128 |

حضر الإمبراطور البيزنطي والبابوية لتلك المادة عن المغاربة ، ودفع دوق البندقية لالتزام بذلك (1) . أما الوحدات التي تنشأ في هذه الدور والتي تدمج ضمن أسطولها الحربي فاشتملت أنواع متعددة منها :

I- القطع الصغيرة الحجم :

تتميز بقدرتها الكبيرة على المناورة ، وخفة الحركة والفعالية القتالية عند استخدام " تكتيك " الكرّ والفرّ ومنها :

- السفن : المراكب الجارية الموجهة لنقل المقاتلين تأخذ شكلا مسطحا ، تعتمد في حركتها على المجاذيف أو الأشرعة حسب طبيعة كل نوع منها، تستخدم في الإغارة على مراكب العدو ، عن طريق الالتصاق ثم الاقتحام .

- المراكب : أكثر اتساعا وحمولة من الأولى ، تخصص للأغراض التجارية ، وتستخدم عسكريا في نقل العتاد الحربي ، والمؤونة عند القيام برحلة ملاحية لمدة أطول

في عرض البحر المتوسط ، وتنشأ إلى جانب النوع الأول في بجاية ومرسى الخرز وبونة ، فالأولى بها " دار لصناعة المراكب ، وإنشاء السفن " (2) ،

وبالثانية " تنشأ السفن والمراكب الحربية " (3) .

- الحرابي : مفردها حربية ، قطعة تماثل الزورق الموجه لأغراض اقتصادية ، تستخدم عادة في رصد تحركات العدو وطلائعه ، فهي وسيلة كاشفة تتقدم الأسطول

الحربي " وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل .. والحرابي " (4) مما يسمح لها بتقديم معلومات جيدة تسمح للأسطول بأكمله ، وتغليب كفة الانتصار لصالحه .

| | | | | | |
|----|---|---|-----|------|-----|
| -1 | - | - | 180 | 179 | - |
| - | - | - | 150 | 1970 | - |
| -2 | - | - | 81 | 88 | 236 |
| - | - | - | 67 | - | - |
| -3 | - | - | 55 | 128 | - |
| -4 | - | - | 90 | 208 | - |

- الطرائد : (1) وسيلة متكامل بين القوات البرية والبحرية ، خاصة عند اعتماد أسلوب حصار المدن المفتوحة على البحر ، أو لنقل الجنود مقابل ما تقوم به

المراكب في مجال العتاد ، وقد وصفها شاعر البلاط الحمادي "ابن حمديس" في أبيات له من بحر الرجز بقوله :

والحرب في حربية نيرانها * تطأ المياه بشدة الإيعاد

ترمي بنفط كيف يبقي لفحه * والشم منه محرق الأكباد (2)

II- القطع الكبيرة الضخمة:

وتمثل القوة الضاربة للأسطول الحربي ، فهي قطع مسطحة ، مزودة بمجاذيف ، أو أشرعة متعددة توجه نحو المسافات الطويلة ، تصنع عادة من الخشب المحكم

التشكيل ، إذ تربط بعضها ببعض ، لتلحم بعدها بشحوم الحيوانات وبعض الأسماك ، أو بواسطة الزفت والقطران ، تتميز بحجمها الكبير ، مما

يسمح لها بحمل أكبر عدد من المجاذيف (3) ، مزودة بوسائل هجومية مثل المجانيق، والسلاح النفطي (4) الذي عرف قديما بـ" النار الإغريقية " ، وأهمها :

فهرس الفصل الثاني ٥٥ من ص 72 إلى ص 106 ٥٣

- المبحث الأول : الخطط الحربية .
- المبحث الثاني : التحصينات العسكرية .

المبحث الأول ٣٣ من ص 73 إلى ص 84 ٣٤

- ❖ تحديد مصطلح التخطيط العسكري .
- ❖ خطط الهجوم .
- ❖ خطط الدفاع.

يمثل التخطيط العسكري أحد الدعائم الأساسية للفن الحربي ، إذ يعد النشاط العملي للجنود في المعركة . ويعرف بفن خوض المعارك ، أي مهارات توزيع المقاتلين في ميدان المواجهة باستعمال مختلف الأسلحة والوسائل المتاحة للمناورة عسكريا وسياسيا ، لتكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر ، وتجنب دفاعاته المضادة قدر المستطاع (1) ، مع استخدام الخديعة ، وعزل الحلفاء المدعمين له ، بهدف تشتيت قواه ، وضمان القسط الأكبر من الفاعلية في رفع معنويات الجيش ، وتحفيزه على الأداء الجيد في ميدان المعركة لتحقيق الانتصار (2) .

والمسلمون كغيرهم من الشعوب ، اهتموا بالإعداد الأولي للمعركة ، وبقي ساريا عبر تاريخهم ، وتعاقب دولهم ، من خلال عنايتهم الدائمة بالفرد المقاتل بدنيا ونفسيا ، عن طريق عمليات التدريب (3) ، بغرض تشكيل مجموعات متجانسة تحمل نفس الهدف ، وتلتزم بالطاعة لقائدها الذي تؤهله قدراته ، واستعدادات جنوده من توجيه المعركة لصالحه ، وقلب كفتها من احتمالات الهزيمة إلى انتصار (4) .

وقد حدد الرسول ρ في التاريخ قاعدة رئيسية للتخطيط الحربي عند المسلمين ، وذلك في غزوة الأحزاب ، عندما جاءه " نعيم بن مسعود " يعلمه بإسلامه ويستشيريه فيما يستطيع تقديمه للمسلمين فقال له : " الحرب خدعة فاعمل إن استطعت على تفريق عدونا " (5) . ومنذ ذلك الحين استعمل هذا الأسلوب عند أغلب الدول الإسلامية التي قامت في المشرق والمغرب ، بينهم وغير ملتهم من جهة ، أو فيما بينهم من جهة أخرى .

| | | | | | |
|----|---|---|-------|---|------------|
| -1 | - | - | - | - | 294 . |
| -2 | - | - | 492 | - | 161 . |
| -3 | - | - | 123 . | - | |
| -4 | - | - | 7 | - | |
| -5 | - | - | - | - | |
| : | - | - | - | - | 307 - 1987 |

وتعد الدولة الحمادية واحدة منها ، فالظروف السياسية والعسكرية التي نشأت وتوطدت فيها أركان الدولة والمتمثلة في الصراع والمواجهة على مستوى الأسرة الصنهاجية نفسها على الواجهة الشرقية ، أو مع خصومهم من قبيلة زناتة وغيرها على الواجهة الغربية ، أو مع الأعداء التقليديين الروم المسيحيين ممثلين بـ " النورمان " (1) على الواجهة البحرية شمالا .

فالموقع الوسطي الهام الذي تميزت به الدولة ، وطبيعة الصراع القائم على الموقع ، بحكم الحدود السياسية والجغرافية غير الثابتة ، والصراع المذهبي والصراع الديني الإسلامي - المسيحي ، ساهمت بصورة مباشرة في تعدد الخصوم ، مما فرض حتمية الخيار العسكري المستند إلى قوة الجيش ، ومنه الحاجة الماسة إلى الأساليب والخطط الحربية

المتنوعة التي تعتمد عادة لتحقيق الانتصارات في المعركة في حالة الهجوم ، أو صدّ الأعداء والحد من حركتهم في حالة الدفاع .
 وبناء عليه تنوعت فنيات " التكتيك " الحربي عند الحماديين ، فإلى جانب الأسلوب التقليدي في تنظيم الجيش أثناء القتال ، والقائم على النظام الخماسي (2) ، حيث تصدر الخيالة الطليعة عادة أو الميمنة أو الميسرة (3) ، وتكون مهمتها الاستطلاع وبدء الاشتباك وتطويق العدو ، ومهمة الميمنة الهجوم على ميسرة العدو ، والعكس بالنسبة للميسرة ، وتقوم مؤخرته المسماة " الساقة " بدور مراقبة المعركة عن كثب ، برصد تحركات العدو وتجنب غدره ، والتدخل لإنقاذ الموقف عند الضرورة ،

Fiords

" "

Les normandes - 1

11

" "

- 146 145 : - - : .

- (1154-1017) - 223 -

.3 2 : - 1987 - - ()

481 - - -2

. 25 - - -3

أما القلب ممثلاً بقيادته ، فيعد الأداة المحركة للجيش بحكم تشكله من المشاة ، فعنه تصدر الأوامر الحاسمة ، وعليه تتوقف نتيجة المعركة (1) .

وأمام الطابع العسكري الذي طبعت به الدولة ، لم يكتف الحماديون بالعناصر الصنهاجية في عملية التجنيد فحسب ، بل كان التقطن إلى تطعيمه بعناصر من قبائل

بربرية أخرى منها : بطون من زناتة ، وأخرى عربية (هلالية) بحكم ما

تمتعت به من شجاعة وإقدام ، وتنوع فنياتها القتالية ، فبرغم العداوة الكبير

بين صنهاجة أساس الملك الحمادي ، وقبيلة زناتة (2) ، لم يمنع هذا من توظيف

الحماديين لبطون من هذه الأخيرة مثل : مغراوة وبني وامانو وغيرهما ، في مواجهاتهم لبني

عمومتهم الزيريين ، على حسب ما ذكره النويري وابن خلدون " فناصره

(أي حماد) باديس الحرب ، وخرج إليه فنزع عن حماد أكثر أصحابه ،

مثل بني واليل ، وأصحاب معرة وبني ياطوفت من زناتة " (3).

وطعن الجيش الحمادي بأخرى هلالية منذ عهد " بلكين بن محمد" ، بالنظر إلى كفاءاتها

المذكورة ، والمستخلصة من قبل الحماديين من هذه الهزيمة التي مني بها الزيريون ، في

معركة " حيدران " على مشارف المهديّة ، إذ أمكن لثلاثة آلاف منهم الغلبة على

ثلاثين ألف جندي من الطرف الزيري (4) ، وهو ما يبرر في تقديري لجوء هذا

الأخير وخليفته " الناصر " لاستخدام هذا " التكتيك " وسيلة للتخفيف من

حدة تأثيرهم ، بكسبهم وتحييدهم ، وحسن استغلال قدراتهم القتالية خصوصاً .

| | | | | | | | | | | |
|----|---|---|-----|---|---|---|---|-----|---|-----------|
| 3- | - | - | 92 | - | - | - | - | 6 | - | 363 |
| 4- | - | - | 283 | - | - | - | - | 5 | - | 276 275 : |
| 6- | - | - | 364 | - | - | - | - | 102 | - | . |

ومن ثم التنافس بين مختلف القبائل المشتركة في العملية ، وللتثبت في المعركة ، عادة ما يحشد الجنود بضرب الطبول استعدادا للمواجهة (1) .

ورغم إيجابيات هذه الخطة عمليا من خلال رصد أكبر عدد ممكن من المقاتلين ، وتنوع خبراتهم الحربية ، إلا أن سلبياتها في نظري كانت وخيمة في العديد من المعارك التي خاضها الحماديون ، وأبرزوا ذلك ما وقع في معركة "سببية" الشهيرة سنة 450 هـ / 1064م (2) ، بين "الناصر" الحمادي، و"تميم بن المعز" الزيري ، حيث استخدم الأول الكثير من حلفائه ومنهم بنو هلال في هذه المواجهة ، فاستغل هذا الأخير العناصر الهلالية المشكلة لجزء من جيشه أيضا ، وبإغراءات مادية ، وتخويف معنوي لهم ، بانقلاب "الناصر" عليهم في حال انتصاره ، فاستدعى "تميم" شيوخ بني رياح إلى مجلسه ، فلما حضروا إليه قال لهم : " انتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع في البحر ، ولا يقتل منه في البر إلا من أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا ، وإنما جمع الناصر هذه العساكر للسير إليكم وإلى بلادكم " ، فقالت العرب : "إن الذي يقوله السلطان حق ونحب منه المعونة بالعدة " فأمر لهم بعشرة آلاف دينار لكل أمير منهم ألف منها " (3).

فكان ذلك كافيا لاستماتته إليه بأسلوب الغدر ، وباتصالات سرية بين العناصر الهلالية في جيشي البلدين ، تقضي بالتظاهر بالهزيمة عند بداية المعركة من جانب العناصر الهلالية في الطرف الزيري ، ثم ضرب مؤخرة جيش "الناصر" في مرحلة ثانية من جانب العناصر الهلالية في الطرف الحمادي ، ففني "الناصر" بناء على ذلك بهزيمة فقد خلالها جزءا معتبرا من جيشه ، إلى جانب ما غنم جنود "تميم" من مال وسلاح ودواب ، وهي حصة العرب بناء على الاتفاق (4).

| | | | | | | | | | | |
|----|---|---|-----|----|---|-----|---|-----|---|-----------|
| 1- | - | - | - | 3 | - | 109 | - | 2 | - | 146 |
| | - | - | 299 | - | 1 | - | - | 6 | - | 209 |
| 3- | - | - | - | 24 | - | 221 | : | 222 | - | 621 620 : |
| | - | - | " | - | - | " | - | 23 | - | . |
| 4- | - | - | - | 10 | - | 44 | : | 46 | - | 223 222: |

كما اعتمد الحماديون نفس الخطة في حملاتهم العسكرية ، بضرب تماسك أعدائهم قبل المعركة وأثنائها ، بشراء ذمم القادة أو الجنود ، بالارتشاء وتسريب الأموال بينهم ، على نسق ما فعله مؤسس الدولة "حماد بن بلكين" في مواجهته لبعض بطون زناتة ، ثم "القائد" في مواجهته لـ "حمامة" ابن زيري المغراوي "الزناتي" ، حيث زحف على مدينة فاس سنة 430 هـ / 1038 - 1039 م ، بعد دفعه سرا لأموال معتبرة لجنود عدوه ، ليخونوه فقبلوا بها ، وانفضوا من حوله ، فكانت هزيمته ونزوحه للمصالحة والخضوع لطاعة وحكم الحماديين ، و في هذا

انكبابهم على الطعام ، فكان ذلك فعلا (3) . ليتخلص "الناصر" عندها من عدو ثانوي ساهم في تعطيله لفترة ، ليوجه أنظاره بعدها صوب أطراف أخرى أكثر قوة وتأثيرا على مملكته (4) ، والمتمثلة في الحملة الهلالية ، والتي وصلت إلى مشارف القلعة ، مما اضطره إلى اختيار بجاية عاصمة ثانية لمملكته بديلا عن الأولى . ولعل أبرز الخطط الحربية الفعالة التي كثف الجيش استعمالها في تقديري ، بناء على ما تم استقراؤه

| | | | | | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|------|-----|------|-----|-----|-----|-------|-----|---|----|
| 605 | - | - | - | 33 | 32: | - | - | 278 | -7 | - | - | -1 |
| 222 | -24 | - | - | 46 | 44 : | -10 | - | 205 | - | - | - | -2 |
| | | 456 | 454: | -1 | - | - | 691 | -2 | - | - | - | - |
| 177 | - | - | - | 281 | -1 | - | - | 358 | 355 : | -6 | - | -3 |
| | | | | | | | | | | 177 | - | -4 |

من المصادر أسلوب تضيق الخناق على الأعداء بفضل الحصار (1) على المنطقة أو المدينة المراد الاستيلاء عليها ، بالجوء إلى إطالة مدته ، وعزل الخصم من خلاله ، بهدف إرغامه على الاستسلام والخضوع للشروط ، أو الانضواء تحت اللواء .

وأول من باشر توظيف هذا الأسلوب الهجومي ، "حماد بن بلكين" مؤسس الدولة ، الذي استغل ظرف وفاة ابن أخيه "باديس" صاحب إفريقية ، وانشغال الزيريين بترتيب بيتهم السياسي ، ليحاصر باغاية سنة 408 هـ /1017-1018م ، واضطره لرفع الحصار عنها تحرك "المعز" بقواته نحوها(2).

وسار على نهجه أسلافه بتطوير تقنيات هذه الخطة بشكل دائم ، بحكم اتساع رقعة الدولة ، فخلال حكم " المنصور بن الناصر " (481- 498 هـ /1088-1104 م) ، تمكن الزيريون من مد ملكهم على الحدود الشرقية للدولة ، باستيلائهم على مدينة بونة وما جاورها ليتولى بنفسه قيادة الجيش ، ومحاصرة المدينة لمدة سبعة أشهر أرغم فيها عاملها " أبا الفتوح بن تميم " على الاستسلام ليفتحها عنوة ويعتقل عاملها (3).

كما استخدم الخطة نفسها في ضربه للقوة المتنامية على حدوده الغربية ، متمثلة في المرابطين (4) ، الذين

-1

| | | | | | | | | | | | | |
|--|--|--|--|--|-----|-------|-----|---|-----|-----|------|-----|
| | | | | | 817 | 816 : | -1 | - | - | - | - | - |
| | | | | | 223 | 222 : | -24 | - | 278 | -57 | - | -2 |
| | | | | | | | | | | 33 | 32 : | - |
| | | | | | | | | | | | | -3 |
| | | | | | | | | | | | | " : |
| | | | | | | | | | | 359 | -6 | - |

" " " "

" " (11)

- 75 -

Terrasse (H) – Histoire du Maroc - édition abrégée - Paris -1952, P73 78 - 4 -

هاجموا مدينة تلمسان وعززوا تواجدهم بها منذ سنة 472 هـ ، فاضطر إلى مهاجمتهم بعد تنامي قوته سنة 496 هـ / 1103 م ، معززا حصاره على المدينة ، ثم مهاجمتها ، مما اضطر الملثمين إلى الخضوع للأمر الواقع بتوقيعهم لمعاهدة صلح بعد تودد زوجة "يغمر بن تاشفين" للمنصور بحق وحدة الدم الصنهاجي (1)

وبامتلاك الحماديين لأسطول بحري ، منذ اتخاذ بجاية عاصمة جديدة لهم ، ودارا لصناعة السفن ، وظهورهم كقوة بحرية ، طوروا هذا الأسلوب بالاعتماد على الحصار المزدوج برا وبحرا على المناطق المهاجمة والواقعة على الواجهة البحرية . إذ باشر " العزيز بن المنصور " (498 - 515 هـ / 1099 - 1121 م) ، توظيفه لهذه الخطة بفرضه هذا النوع من الحصار على جزيرة جربة التي تمرد أهلها على طاعته سنة 510 هـ / 1117 م ، مما اضطرهم إلى الخضوع مجددا لحكمه (2) .

وهو نفس ما انتهجه خليفته وآخر ملوك الحماديين " يحي بن العزيز " (515 - 547 هـ / 1121-1152 م) ، بحصاره للمهدية سنة 530 هـ / 1135 - 1136 م ، استنادا إلى الأسطول البحري والجيش البري ، وتحت قيادة موحدة لهما ، بزعامته قائده " مطرف بن علي بن حمدون " إذا دام حصارها سبعين يوما (3) كاد صاحبها "الحسن بن علي " أن يسلم بالأمر الواقع (4) "وطال الحصار على أهل المهديّة " (5) ولولا استجاده بالعرب الهلاليين و" روجر II " النورماني صاحب صقلية لتمكن من دخول المدينة وامتلاكها (6) ، رغم أن رواية ابن عذاري تؤكد سيطرة الجيش الحمادي على المدينة طيلة مدة الحصار المذكور (7) ، ومع ذلك لم تعد

- 97 - 118 -

- 157 : 158 .

- 62 - 4 - - 362 - 6 -

- 312 - 1 - - 93 92 :

- 680 - 2 - - 331

- 475 474 : - " - " :

- 92 - - - 5

- 312 - 1 - - 7 - 331 - - - 6

الحملة خائبة ، بل غير الجيش وجهته صوب تونس فهاجمها واحتلها واعتقل قائد الجيش الحمادي "مطرف" صاحبها " أحمد بن عبد العزيز الخراساني " (1) ، ونصّب بديلا عنه ، ممن يكون أكثر ولاء.

هذه الأحداث وغيرها توضح بصورة جلية فعالية هذا الأسلوب ، وقدرة المناورة الحمادية بالخطط المعتمدة على القيام بمبادرات هجومية متنوعة أرغمت الخصوم على الاحتياط الدائم لهجماتهم ، بحكم ما طبعت به الدولة من طابع عسكري ، وبحجم وكثافة ما كانت تقوم به من هجومية متعددة ، وتتنوع أساليب ذلك .

بالمقابل واجه الحماديون عملا حربيا مضادا ، تمثل في هجمات المعادين لهم بين الفترة والأخرى ، بغرض كسب مناطق نفوذ ، او تأمين الحدود ، مما حتم على الجيش الانتقال من حالة الهجوم إلى الدفاع ، ومن ثم إيجاد خطط وتقنيات حربية مماثلة ، مكنتهم من الوقوف في وجه أكبر العمليات خطرا عليهم ، بناء على الاستعداد المسبق لمثل هذه الأخطار . ومنها امتلاك الدولة لمراكز وأساليب تحصينية دفاعية هامة ، ما تكثيف الاتصالات بين حواضرها العديدة ، ومراكز المراقبة المتباعدة عن بعضها في أطراف الدولة . بدءا بالأسوار المحيطة بالعواصم والمدن والقلاع المجهزة في حوافها بأبراج مراقبة (2) لترصد تحركات الأعداء وهجماتهم المباغتة . مع اعتماد الخندق (3) أسلوبا دفاعيا ناجعا ، إذ دعمت المدن بخنادق لصدّ العدو أو الاحتماء بها ، وفصلها عن خارجها بسورين أحيانا (4) ، وتميرير جداول ماء عبر الخندق الذي يحفر بينهما ، مما يمنع العدو من الوصول إلى هدفه ، في حالة تمكنه من تخطي السور الأول ، و يجعل مغامرة تخطيه أمرا محفوفا بالكثير من المخاطر ، كما حدث لـ " باديس

-1 - - 4 - 353 .

-2 - - 208 - " - " - 1976 - 30 - 32

-3

: - - 151 152 : - - 1 - 183 .

-4 - - 59 - - 163 .

ابن المنصور" الزيري أثناء محاصرته للقلعة عاصمة الحماديين الأولى ، وفشله في اقتحامها (1) ، ومات على أسوارها وهو محاصر لها دون أن ينال منها (2)

ولتسهيل المهمة الدفاعية وحسن التحكم في الوضع زودت الأبراج والمدن الحمادية بطرق ووسائل اتصال متطورة ، منها " العلام النارية " المثبتة على المناطق المرتفعة عادة ، حيث تضرم النار في أعلاها ، ليستخدم نورها للاتصال بين الأبراج والمدن ليلا . فقد أخذت هذه الأجهزة شكل الشكل يبلغ ارتفاعها حوالي اثنتي وعشرين مترا ، ترسل وتستقبل إشارات بدورها إلى مناطق بعيدة ، تتلقى من خلالها المراكز الأخرى الرموز فتفسرها وتنقلها بدورها إلى ما

يليهما
 ثم ترتيب قواعد إعاقته
 بهدف تسهيل مهمة المراقبة ، للتبليغ بنشاط العدو وتحركاته ، ومن
 في حالة أي هجوم مفاجئ . (3)
 وأبرز نموذج لتلك الأجهزة ، " فنّار " قلعة بني حماد الذي تصل إشاراتهِ إلى بجاية
 وتونس (4) على غرار "فنّار" برج الزاوية الشمالية الشرقية
 لسور مدينة أشير (5) الذي حمل نفس النموذج . أو جهاز " المرايا العاكسة " لبرج
 البنود لبجاية المسمى بمرصد "شوف الرياض" (6) .
 ومن الأساليب الدفاعية الأخرى التظاهر بالهزيمة واستدراج الخصم إلى مكان اختيارهم
 المسبق لمعركة على شاكلة ما فعله " حماد " مع ابن أخيه "باديس " بانسحابه من
 المواجهة غير المتكافئة بينهما بـ "شلف"

| | | | | | | | |
|--|----------|-------------|---|-----------|-------|---|-----|
| .. | " - | 87 - | - | 66 65 : | - | - | -1 |
| | | 164 - | - | 338 336 : | - | - | " - |
| | | | | | -24 - | - | -2 |
| Cornevin (R) – Histoire de L’Afrique – T 2 - P 270 | | | | | | | |
| | | . 208 - | - | 65 - | - | - | -3 |
| | | 32 - | - | " - | " - | - | -4 |
| | | | | . 77 - | - | - | -5 |
| " - | 271 -3 - | - | - | 94 93 : | - | - | -6 |
| | | . 365 -19 - | - | " -1974 - | " - | - | |

إلى عاصمته القلعة ، ورغم تقفي باديس لأثره ، وفرضه حصارا على القلعة ، إلا أن
 المحاولة فشلت فكان
 إيذانا بقيام الدولة الحمادية سنة 405 هـ/1014 م والاعتراف الزيري الرسمي بها
 على عهد " المعز بن باديس " سنة 408 هـ /1017-1018 م .
 بناء على هذا يمكن اعتبار هذه الفنيات الحربية قواعد أساسية ارتكزت عليها كفاءات
 الجيش الحمادي ، ومكنته بفضلها من توسيع رقعة الدولة وتأمين حدودها والمحافظة على
 مكتسباتها في أغلب الفترات ، ومنح الدولة مكانة متميزة بين خصومها ،
 مهيبة الجانب خصوصا على عهد أعظم ملوكها ، وجلب لها استقرارا ساهم في
 ازدهار حضارتها بشقيها الاقتصادي (التجاري خصوصا) والثقافي عموما ،
 وحفظت مدنها وجعلتها حواضر هامة في التواصل الحضاري بين الشرق والغرب ،
 و الشمال والجنوب ، وكان تعزيز أساليب التحصين وحفظ المدن من كل الأخطار عملا
 عسكريا هاما أرسى أسس الدولة وحافظ عليها .

المبحث الثاني ٨٦ من ص 86 إلى ص 106 ٨٣

- ❖ تحديد مصطلح التحصين العسكري .
- ❖ دوافع التحصين العسكري عند الحماديين .
- ❖ أنواع التحصينات :
 - الأسوار .
 - الحصون والأبراج .
 - الخنادق .
 - الرباطات .
 - المدن .

تعتبر التحصينات أسلوباً استراتيجياً عسكرياً ، دفاعياً وهجومياً ، اعتمدته الشعوب قديماً وحديثاً ، ممثلة في مجمل المنشآت والموانع التي تتجزأ في مناطق يتم اختيارها على أسس فنية حربية ، تسمح بتقوية موقع دفاعي ما ، أو حمايته من هجمات العدو ورصد تحركاته . فحسب ذلك تأخذ التحصينات العسكرية نوعين متباينين :

- نوع تحصيني دائم (ثابت) : تبنى هياكله في أوقات السلم عادة ، بالحجارة أو غيرها في شكل مدن ، أو قلاع أو أسوار ، أو خنادق مع تدعيمها بوسائل دفاعية أخرى ، كاستخدام جذوع الأشجار أو المجانيق ، أو السهام لضرب العدو . لتتطور إلى استخدام السلاح أو الأبراج المتحركة لكسر القدرة الدفاعية واقتحام التحصينات الدفاعية المختلفة (1).

- ونوع تحصيني ميداني (غير ثابت) : تستخدم في حالة الحرب والمواجهة المباشرة مع العدو . (2)

لتحقيق غرض رئيسي هدفه إحداث التفوق على القوات المهاجمة أو وضع عراقيل أمامها للحد من حركتها ، أو حماية الجنود في موقع المعركة وعادة ما تستخدم الخندق وسيلة لإحاطة القوات المعسكرة للحماية من الهجمات المفاجئة أو عمليات التسلل الليلية

لاختراق الخطوط الدفاعية أو رصد نقاط الضعف لدى العدو .

ولتنشيط المنشآت التحصينية العسكرية ، تطالب الرصد الميداني لطبيعة الأرض التي

تتجزأ عليها الحصون والقلاع وغيرهما ، والتي من مواصفاتها الميزة

الدفاعية البحتة . وتوقع نوعية الأسلحة المستخدمة والقدرة على تقييم الموقع

بالنسبة للقوة المهاجمة أو المدافعة ، وكذا تقييم أدائها الإيجابي

أو السلبي عقب أي مواجهة تقاديا لمبررات الهزيمة ، وتغليباً لكفة الانتصار .

1- - - 130 - - : 143 148

2- - - 1 - - : 256 257

ولعل الواقع السياسي والعسكري الذي أسس فيه الحماديون دولتهم ، وتطور الأحداث

لدى جيرانهم ، دفعهم إلى تركيز أكبر اهتماماتهم على إقامة تحصينات

عسكرية متنوعة ، تؤهلهم لإرساء قواعد كياناتهم ، بناء على

المنطلقات والأبعاد التالية :

الصراع التقليدي بين قبيلة صنهاجة عماد الدولتين الزيرية والحمادية . (1) وأعدائهم زناتة ،

الذي يعد من الأسباب التي مكنت "حماد بن بلكين" من اقتطاع المغرب

الوسط ، وتشكيل الدولة التي نسبت إليه باستقلاله عن الزيريين

سنة 405هـ/1014م (2).

فقد كلف من قبل أخيه " المنصور " ، ثم ابن أخيه " باديس بن المنصور " للقيام بدور عسكري أساسي تمثل في وضع حاجز بينهم وبين قبيلة زناتة ، بالحيلولة دون وصولها إلى تهديد ممتلكاته في كل من إفريقية و المغرب الأوسط ، مقابل منحه أشير والمسيلة ليديرهما بنفسه (3) ، فكانت هذه المهمة الملقاة على عاتقه وسيلة أساسية وظفها " حماد " لاكتساب خبرة أوسع في المجال العسكري ، وظرفا مناسباً لتشكيل قوة موالية له ، دعمها بانتصاراته متتالية على زناتة وتكسير طموحها في تشكيل دولة على حساب الجزء الغربي من المغرب الأوسط على المدى القريب والمتوسط (4) .

هذه المكاسب التي حققها كانت منطلقاً لتجسيد حلمه في الملك وتأسيس دولة خاصة به وبأسرته على عهد " باديس " عرفت بـ " الدولة الحمادية كفرع منقسم عن الأسرة الصنهاجية (5) .

| | | | | | | | | | | | | | | |
|---------|---|-------------|-----|---|-----|---|---|------|-------|-----|---|---|---|-----|
| 46 | - | - | 312 | - | 6 | - | - | 161 | - | 24 | - | - | - | 1 |
| Merçais | - | op. cit ; p | | | 290 | - | 1 | - | - | 79 | - | - | - | |
| | | | | | | | | | | | | | | 136 |
| 15 : | - | - | 91 | - | - | - | - | 192 | - | - | - | - | - | 2 |
| | | | | | | | | .649 | - | 2 | - | - | - | 28 |
| - | - | 398 | - | - | 1 | - | - | 185 | 161 | - | - | - | - | 3 |
| | | | | | | | | .170 | 169 : | - | - | - | - | .46 |
| - | - | 204 | - | - | - | - | - | 95 | - | - | - | - | - | 4 |
| | | | | | | | | .32 | - | 49 | - | - | - | 92 |
| | | | | | | | | .272 | - | 271 | - | - | - | 351 |
| | | | | | | | | | | | | | | 5 |

وتعود أسباب الصراع بين القبيلتين العريقتين إلى طبيعة ولاء كليهما لطرفين متباينين سياسياً ومذهبياً ، فإذا كان ولاء قبيلة صنهاجة أساس الدولة الحمادية الأول للفاطميين قبل الانفصال ، ثم للعباسيين في العهد الحمادي ، فإن قبيلة زناتة على العكس من ذلك ، ولاؤها للأمويين بالأندلس سياسياً ، ولأهل السنة ومذهبياً (1) إذا استعملوا منذ عهد المستنصر بالله الأموي سياسياً وعسكرياً لتحقيق هدفين أساسيين :

- الأول : الاحتفاظ بالمواقع العسكرية الاستراتيجية التي كانت تحت سيطرة الأمويين على ساحل المغرب ومنها مدينتا "سبتة" و "طنجة" .

- الثاني : إضعاف الفاطميين وحلفائهم في المغرب عبر تحقيق التوازن بين القبيلتين المتنافستين زناتة الفاطميون نفس الغرض بجعل المغرب الأوسط وإفريقية حداً فاصلاً بين مقرهم الجديد بمصر والأمويين بالأندلس وهو ما يقود إلى صراع طويل الأمد بين القبيلتين ، في شكل حملات عسكرية شنها الحماديون وقبلهم الزييريون صوب الناحية الغربية ، مكنتهم من امتلاك فاس ومن ثم مراقبة كل المغرب في حدود سنة 368 هـ/978 م (3) . بذلك وضع حد لهجمات زناتة المتكررة على بلاد المغرب الأوسط وإفريقية ، فقامت صنهاجة بذلك الدور على أكمل وجه ، بحكم قدراتها القتالية ، والاستناد إلى تحصيناتها العسكرية (4) التي أقامتھا بالمنطقة فمكنتها من كسب

الزعامة السياسية والعسكرية بها وضمان التوسع الجغرافي الدائم على حسابها (5) أما المنطلق الثاني للاتجاه نحو المنحنى التحصيني للمدن والمواقع الحمادية ، فهو الصراع السياسي ، والمواجهات الحربية بينهم وبين بني عمومتهم الزيريين ، منذ القطيعة والانفصال اللذين حدثا بين أبناء العائلة

1- - - - - 57 56: -3 - - - 273 - - - 236 - - -

2- - - - - 185 184: - - - - .528 -3 - - -

3-Cornevin ® - Histoire de l'Afrique - T I -p 270 . -

4- - - - - .47 -9 - - -

5- - - - - .222 -2 - - -

الصنهاجية الواحدة ، أي باستقلال "حماد بن بلكين" بالمغرب الأوسط سنة 405 هـ / 1014 م كما أشرنا ، وتأسيسه لقاعدته العسكرية المحصنة وعاصمة دولته "قلعة بني حماد" (1) لاتخاذها منطلقا هجوميا ودفاعيا في وجه خصومه ، عند قيامهم بأية محاولة لاسترجاع ما فقدوه (2) خاصة في عهد أميرهم "باديس بن المنصور" (3)، وهو ما حدث فعلا ، بإغارته على المواقع الحمادية ، ومنها محاصرته للقلعة سنة 406هـ/1014م وعجزه على فتحها . كما استعصت من بعد على ابنه "المعز" في محاولة ثانية ، وتكررت المحاولات والمواجهات بين الطرفين طوال حياة الدولتين ، وتغير مسار ذلك بالنسبة للحماديين من حالة الدفاع إلى الهجوم في عهد "الناصر بن علناس" (454-481هـ) (أو خليفة" المنصور" (481-498هـ) ، وصولا إلى آخر ملوكهم يحيى بن العزيز (515-547هـ) الذي جدد الحملات البرية والبحرية ضدهم (4).

أما الاعتبار الثالث فيعود إلى الموقع الوسطي الذي تميزت به الدولة الحمادية والذي كان حافظا إلى ضرورة الاهتمام بتحسين المدن ونقاط المراقبة تأمينا للطرق التجارية ، وحماية لمداخل الدولة .

فالقلعة مثلت منطقة اتصال حيوية بين الشرق والغرب خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري فيما عرف بطريق السودان ، فتنوعت بذلك أنشطتها الاقتصادية عموما والتجارية خصوصا(5)

1- - - - - 194 192: -24 - - - .264 261: -1 - - -

Golvin (L) -op . cit ; p 105 , Cornevin - op . cit ; T I -p 270

2- - - - - 162 -1980 - - - -

3- (406-386)

"

— — — — — 325 322 : — 6 — — — — :
 — — — — — 106 105: — 1 — 1971 — — — — —
 4 -Boruouiba ® - L²art Religieux Musulman en Algérie – S.N.E.D – Alger 1973 – p 22

86 — — — — 5-

وغدت قبلة القوافل ، واتسعت خيراتها ، وكثر مالها ، أما بجاية بمنفذها البحري فلعبت هي الأخرى دور الوسيط بين المغرب وأوروبا ، وسائر مناطق العالم ، يذكر الإدريسي ذلك النشاط بقوله : " ولها أقاليم وأعمال ومزارع وبها الحنطة وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الأفاق في المراكب " (1).

وهو ما يعطي صورة ناصعة عن حيوية الحركة التجارية والنشاط الفعال للمدن الحمادية ، ومن ثم حتمية حمايتها من غارات المعتدين نظرا لتعدد خصومهم ، وطبيعة الموقع الذي يحتلونه .

وساهمت المتغيرات السياسية والعسكرية التي عرفتتها بلاد المغرب كمنطلق رابع أي توتر العلاقات بين الفاطميين وحلفائهم الزيريين حول إفريقية والمغرب ، منذ

القطيعة السياسية والمذهبية التي حدثت بين الطرفين على عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 440 هـ / 1048م (2) واستعمال القبائل

العربية (3) انطلاقا من صعيد مصر صوب إفريقية في محاولة دفعها للقضاء على ملك الزيريين ، ومنها الانتقال إلى المغرب الأوسط مما دفع الحماديين إلى بناء

تحصينات جديدة يؤمّنون بها حدود دولتهم (4) ، فكان إنشاء مدينة بجاية المنفذ البحري لقلعة بني حماد ، والتي أحيطت بحصون وأبراج لتحقيق أغراض دفاعية ،

تتمثل أساسا في مراقبة تحركات الهلاليين بالمنطقة ، ذكر الإدريسي بعضها بقوله : " ودار ملول فيها حصن مطل في مرصد . ينظر إلى مجال العرب بلادهم ، ويتطلع منه " (5) ،

وهو ما يفسر لجوء الحماديين إلى الساحل والمناطق الجبلية ، فاستعصت بذلك مواقعهم ومدنهم على العرب الهلاليين ، في حين

83 — — — — 1-

— — — — — . 23 — — — — —

(276 275 : — 1 — — — —) 433 : — 2-

(325 — 6 — — — —) 440 (83 — — — —) 435

.604 603 : — — — — : (55 — 8 — — — —) 442

" — 73 70 : — — — — 28 27 : — — — — 3-

. 16 15 : — — — — — " — — — — —

. 213 — — — — — 4-

Gaid – op.cit ; p 64

93 — — — — 5-

فشل بنو عمومتهم الزيريين في ذلك (1)، وهو ما زاد في تمرس الدولة حربيا ، مستغلين هذه الظروف للتوسع على حساب ممتلكات الزيريين .

نتيجة لذلك أقام الحماديون عددا هاما من التحصينات حاولوا من خلالها تحقيق بعدين عسكريين : دفاعي ، وهجومي في آن واحد(2) ، يتبن ذلك من اختيارهم الاستراتيجي لمواقع وأماكن بنائها .

فالحصانة الطبيعية التي تمتعت بها المناطق المرتفعة من جبال وهضاب اتخذت أساسا لإقامة منشآتهم الحربية (3) ، إذ مكنتهم من مراقبة السهول والوديان المجاورة لمدنهم ، وفي نفس الوقت رصد تجارتهم ، يبين الحموي ذلك في وصفه لقاعدة آشير إحدى المدن المحصنة والهامة التي استندت إليها الدولة منذ فصلها عن الزيريين بقوله : " وهو موضع يتميز بسعة فضاءه ، وحسن منظره " ، " وأقيم على جبلها حصن منيع ليس على المحصن به من طريق إلا من جهة واحدة " (4) . وعلى نفس الأساس كان إنشاء العاصمة الحمادية الأولى القلعة على جبل الشرق بوادي فرج .وبجاية العاصمة الثانية على جبل أميسون المتميز بدوره بصعوبة الارتقاء ، والمحاط بالبحر شمالا وبوادي الصومام جنوبا ، ليكون حاجزا طبيعيا ، يحصر المدينة ويحصنها (6).

:

1-الأسوار : (7) من الوسائل الدفاعية التي غلبت على العمران العسكري الحمادي ،إحاطة مدنهم بأسوار

-1 - - 94

-2 - - 93

-3 - - 71 .

-4 - - 286 - " " " " - 1973 - 12 - 118

-5 - - 350 - 6 - - :

-6 - - " - " - 5 - - ..

-7

. 504 - - 7،8: - - :

بأسوار منيعة أنشئت من الحجر والآجر ليأخذ البعض شكلا مزدوجا أي سورين متوازيين ، للزيادة في الاحتياط أو كضرورة فرضتها المناطق المنبسطة ، للوقوف في وجه الغارات المحتملة (1)

فمن الناحية العملية كان لها الأثر الفاعل في صدّ الحملات الزيرية ، ومنها حملة "باديس بن المنصور " الذي حاصر القلعة لمدة ستة أشهر دون أن يتمكن من دخولها، ووافته المنية بجوار أسوارها سنة 406 هـ / 1014 م كما أشرنا . وصدّت الهالبيين الذين اكتفوا بالاستقرار في أحوزاها دون النيل منها ، وبقيت صامدة حتى أنشأ " الناصر بن علناس " مدينة بجاية التي اتخذها عاصمة جديدة بديلا عنها . فقد تم اختيار موقع القلعة على أساس الحصانة الطبيعية من المكان الذي أنجزت عليه والمستند إلى جبل تاقربوست ، وحرصا على تقوية مناعتها أحيطت بسور من الحجارة يقدر ارتفاعه بين أربعة وستة أمتار ، يمتد على استدارة

الجليل بطول خمسة أميال تقريبا (3) " و هي متعلقة بجليل عظيم مطل عليها ، و قد احتوى سورها المبني على جميع الجبل طولاً و عرضاً " (4) " وهي .في سند جبل سامي العلو ، صعب الارتقاء ، و قد استدار سورها ، بجميع الجبل ويسمى تاقربوست ، ومنه ملكت القلعة " (5) و هو ما يحدد دقة الاختيار المسبق ، فالموقع و السور المدعم له ، ذو القيمة الاستراتيجية النادرة أهل المدينة للحفاظ على ملك الدولة و زاد في شهرتها و مكانتها العسكرية . لتأخذ عاصمتهم الثانية بجاية نفس الطراز التحصيني ، فقد بنيت هي الأخرى على سفح جبل يحفظها ، و ضرب حولها سور مماثل امتد من شاطئ البحر ليصعد متدرجا حسب ارتفاع الأرض أو انخفاضها بدورة تعادل عشرة أميال (6) ، و امتد في خط يساير تعرج الشاطئ يحيط بالمدينة من الوجهة البحرية ليعتمد المهندسون اتخاذ الأرض الوعرة تحصينا طبيعيا يغني عن السور

| | | | | | | | | | |
|----|------|---|---|-----|----|---|---|----|------|
| -1 | - | - | - | 237 | -2 | - | - | 84 | : 85 |
| -3 | 1.70 | 2 | 4 | 6 | 7 | . | | | |
| : | 123 | - | - | 270 | - | - | - | 2 | 223 |
| -4 | 64 | - | - | 5 | - | - | - | 86 | |
| -6 | 80 | - | - | | | | | | |

وهو ما يلاحظ في تقطعه من منطقة لأخرى (1) . ويرجع هذا الاختيار إلى ظروف تاريخية وسياسية تتمثل في :

طبيعة قبيلة صنهاجة الحربية التي ألفت بناء مدنها وقرائها على الجبال ، ونتيجة لتدهور مركز القلعة كعاصمة بعد الحملة الهلالية عليها ، وهو ما أهلها للعب أدوار هامة في الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة ابتداء من القرن الخامس الهجري ، خاصة على عهد أعظم ملوك بني حماد " الناصر بن علناس " (2) .

نفس الأسلوب التحصيني اعتمد في كل المدن التي بناها الحماديون ، فالإ جانب آشير التي أنشأها بنو عمومتهم ، واستقل بها " حماد بن بلكين " منذ انفصاله بدولته " ووصل حماد إلى مدينة آشير وهي له .. وكانت معولة لحصانتها وقتها " (3) ، فقد أحيطت بسور عريضة أهلت المدافعين عن المدينة لاحتلال موقع الغلبة عند أي هجوم محتمل " ولا يوصل إلى شيء منها بقتال ، إلا من موضع يحميه عشرة رجال " (4) ، " ولو لم يكن عليها سور لاستغنت بعلوها عنه " (5) . فكانت محلا لنزوح واستقرار سكان نواحيها طلبا للأمن والسلام ، ليمتلكها الحماديون بفصلها عن بني عمومتهم (6) ، وضمهم لما جاورها ، فصارت إحدى ولاياتهم ، وأهم حصونهم العسكرية المتقدمة في الجهة الغربية لمملكتهم (7) .

| | | | | | | | | | |
|----|---|---|-----|-----|---|---|---|---|---|
| -1 | - | - | 190 | 189 | : | - | - | - | " |
| | | | | | | | | | " |
| | | | | | | | | | " |
| -2 | | | 41 | - | - | | | | " |
| -3 | | | | | | | | | " |

| | | |
|--|--|----------|
| | 977 / 367 | -4 |
| - | 25 : 60 - " - " | 276 |
| | .87:88 - | 118 115: |
| | " - " "Revue Africain" - 1869 - 13 - 119 . | () - |
| | 10 -1972 - - 6 161 -24 - | -5 |
| Merçais (g) -recherches d'archéologie Musulman (Achir) - Revue | 286 - | -7 |
| Africain -. 1922 - N° 310 - PP 22 , 24 | | |

وأنشئت مدن أخرى بأسوار مماثلة كمدينة تنس المتفتحة على البحر بالجهة الغربية للمملكة وهي " مدينة .. بعضها على جبل قد أحاط به سور " (1) ، ومدينة سوق حمزة (2) التي يحيط بها سور هي الأخرى ، ومدينة بونة الحد الشرقي للدولة التي بني سورها سنة 450 هـ / 1058 م ، وبسكرة وقسنطينة ، وتدلّس (دلّس) " وهي محصنة لها سور حصين " .

في حين تميزت المسيلة بإحاطتها بسورين متوازيين " المسيلة .. مدينة في بساط من الأرض عليها سوران (3) . ففي رأي أن مضاعفة التحصين بهذا الشكل يعود إلى طابعها المنبسط ، أو باعتبارها البوابة الجنوبية الغربية للعاصمة القلعة ، ومن ثم سبقها في مواجهة أي خطر محتمل يأتي من عدوها اللدود زناتة .

هذه الخصائص العمرانية الحربية شكلت الأطراف المختلفة لحدود الدولة ، وجعلتها تقف في وجه أغلب الحملات والغزوات التي شهدتها ، مما ساهم في حركية النشاطات المختلفة خاصة في

بجاية عاصمة بديلة ابتداء من سنة 460 هـ / 1067 م .

2- الحصون والأبراج : (4) ثبت الحماديون أبراجا وقلاعا للمراقبة ، في شكل بنايات عسكرية تنشأ على أطراف الأسوار أو بداخلها ، وتكون غالبا على المناطق المرتفعة ، فتعد بذلك تكملة لدور الأسوار ، وأسلوب ترصد لكل حركة مشبوهة تحيط بها (5) . أخذت هذه الأبراج والحصون أشكالا

| | | | | | | |
|--|----------|---|--------|---|----------|----|
| | 78 - | - | 877 - | - | 61 . | -1 |
| | | | | | " " | -2 |
| | .65 64 : | - | | | | : |
| | 59 - | - | 163 - | - | 237 -3 - | -3 |
| | " - | | .336 - | - | | .. |
| | : | | | | | -4 |
| | : | | | | - 1986 - | : |
| | 72 62 | | | | | |

-5 - - 77 .

أشكالا هندسية متعددة ، فبرج الزاوية الشمالية الشرقية لسور مدينة آشير ، أخذ شكلا مستديرا ، في حين أخذت قلعة أبي طويل (1) الشكل المربع الذي يسمح برؤية أوسع وأشمل ، حدّد ابن الأثير مواصفاتها بقوله : " قلعة بني حماد من أحصن القلاع وأعلاها ، ترى على جبل شاهق لا يكاد الطرف يحققها لعلوها " (2) فقد كان إنشاؤها ابتداء على أساس حصن على سفح الجبل ، يدعم ويعزز دور قاعدة آشير العسكرية للوقوف في وجه قبيلة مغراوة الزناتية ، منذ تقطن " حماد " لنقاط ضعف القاعدة المذكورة ، والأهمية الاستراتيجية للمكان الجديد . فكان الحصن القديم (3) المتجدد نواة للقلعة ، وعاصمة الحماديين بتأسيس الدولة . ومن أبراجها الهامة برج المنار الذي بلغ طول الضلع الواحد منه حوالي عشرين مترا .

والأسلوب الدفاعي نفسه اعتمد ببجاية ، إذ زودت أطراف سورها بأبراج متعددة لتنظيم الحراسة حولها للتطلع على الآفاق البحرية والبرية ، خاصة على قمة جبل قوراية ، والذي بلغ ارتفاع البعض منها ستة أمتار (4) ، منها حصن البحر ، وبرج قوراية ، وبرج المنارة أو شوف الرياض المنفتح على الواجهة البحرية وعلى ثلاثة أبواب من المدينة ، وكذا برج بوليلة . فحدّدت المسافة بين كل برج وآخر عبر دائرة السور بخمس وعشرين مترا ، تتخللها ممرات الحراس في أعلى كل برج ، اعتمد في إنجازها مادتا الحجر والأجر (5) . وللقيام بدور المراقبة بكل فطنة وحيطة زوّدت الأبراج بوسائل تستعمل في الاتصال على مستوى المدينة ذاتها أو بين مدن الدولة بكاملها .

| | | | | | |
|----|--|-----------------|-------|-------|-----|
| 1- | " " | 206 204 : | - | - | - |
| 2- | 86 - | - | 31 -9 | - | - |
| 3- | 120 - | 332 - 322) - : | - | - | - |
| | 84 83 : | 630 -2 - | - | 212 - | - |
| | Bourouiba®-L ² architecture Militaire de l ² Algérie Médiévale – O.P.U – Algérie – 1983 – P 75 | | | | |
| 4- | " - | 184 -1962 -2 - | - | - | - |
| | .202 - | - | 41 - | - | 5 - |

كما نجد وضعا مماثلا لهذه التحصينات في مدن أخرى ، منها تنس التي أخذت فيها القلاع وسيلة لتمركز العمال ، وأداة للحراسة ، يقول عنها البكري : " مدينة تنس .. حصينة داخلها قلعة .. صعبة المرتقى يسكنها العمال لحصانتها " (1) . كم انفتحت على البحر بحصن آخر يتطلع منه على غارات النورمان شمالا ، ذكره الحموي " وعلى البحر حصن ، ذكره أهل تنس .. أنه معمور " (2) مأهول بالحراس ، وبالقرب منه قلعة مغيرة دلول (3) التي أقيمت في أعلى جبل منيع شديد الحصانة ، يؤمّن المدينة من أعلاها ، وحصن بسكرة المبني على هضبة من سور المدينة .

وأمام التحدي الجديد الذي لازم الدولة منذ الحملة الهلالية على إفريقية وأحواز القلعة ، أنشأ الحماديون حصونا متقدمة للربط بين المراكز الهامة للمملكة بهدف رصد تحركات الوافدين الجدد وغاراتهم المتكررة خاصة على الطريق الرابط بين بجاية والقلعة ، زوّدت بأبراج للمراقبة أخذت شكلا مربعا أو مستطيلا عادة ، أنشأت على قمم الجبال ، أورد الإدريسي حصرها بقوله : "وسوق الخميس حصن في أعلى جبل .. لا تقدر العرب عليه لمنعته .. وسوق الاثنتين وهو قصر حصين والعرب محدقة بأرضه وفيه رجال يحرسونه .." (4) . "ودار ملول فيها حصن مطل فيه مرصد .. ينظر إلى مجال العرب منه " (5) ، وحصون أخرى مثل حصن تاكلات (6) وحصن بكر (7) وحصن سحاو الذي أقيم على أعظم الجبال علوا ، وأصعبها ارتقاء ومسلكا بالمنطقة مما استعصى على القبائل الهلالية " وهذا الجبل لا تتعداه العرب " (8) . كثافة هذا النوع من التحصينات ، أكدت الطابع الحربي للدولة ، واستعداداتها الدائمة لمواجهة

| | | | | | | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|----|---|-----|---|---|---|-----|---|---|---|---|
| 61 | - | - | - | 2 | . | 151 | - | - | - | 61 | - | - | - | 1 |
| | | | | | : | | | | | | | | | 3 |
| | | | | 81 | | 69 | - | - | | | | | | |
| | | | | 86 | - | - | - | 5 | | 64 | - | - | | 4 |
| | | | | | | | | | : | () | | | | 6 |
| | | | | | | | | | : | () | | | | 7 |
| | | | | | | | | | : | | | | | 8 |

الأخطار المستجدة ومنها تجربتهم مع الهلاليين والتي رغم تأثيراتها على المنطقة ، بالسيطرة على محيط عاصمتهم الأولى القلعة ، إلا أنها بالمقابل ساهمت في صقل إطارها عسكريا ، وجعلتها تتفاعل مع الأحداث بكل إيجابية ، إذ مكنتهم قدرتهم في هذا المجال إلى تفادي التأثيرات المباشرة للهلاليين بدمجهم ضمن أجهزة الدولة المختلفة ومنها الجيش ، أو بوضع حواجز تحصينية تحول دون وصولهم إلى حواضر المملكة الأخرى ، ومنها إنشاؤهم لعاصمتهم الثانية بجاية ، التي مكن اختيار مكانها الجيد ، وتحصيناتها المتعددة من الوقوف في وجههم ، مما جعل المؤرخين يصنفونها ضمن أبرز الكيانات الأوسط ، بحكم تأقلمها الدائم مع المتغيرات التي شهدتها المنطقة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين .

3-الخنفاق : (1) من الأساليب التي اعتمدت لزيادة تحصين المدن ، ودعم القدرة الدفاعية للأسوار وأبراج المراقبة ، باعتبارها من الأسس العسكرية التي تستند إليها الدولة عادة " ولو اقتصرنا على الحيطان والأبواب .. كما ترى في القرى التي لا سور لها ، لم يأمنوا صولة ذي بأس ، فآلهمهم الله إلى اتخاذ السور والخنفاق " (2) .

ونماذج الخنادق التي أحيطت بالكثير من المدن الحمادية ، خندق مدينة " ماما " التي تقع بالقرب من مدينة أشير والتي أحيط سورها بخندق ذكره الإدريسي " مدينة ماما

.. ولها بما استدار بسورها خندق محفور .. " (3) . وهناك نماذج أخرى من الخنادق أجريت فيها جداول ماء ، على غرار مدينة المسيلة

" " -1

ρ

" " " " .
 - - 153 - - 487 486 : - - :
 . 182 173 -2 - - 503 502 :
 . 152 151 : - - 7 - - -2
 . 87 - - -3

التي توسط خندقها السورين المتوازيين حول المدينة ، زاد من حصانتها ، وفصل المدينة عن خارجها ، بحكم موقعها المفتوح على فضاء واسع ، والمنبسط في آن واحد ، يؤكد البكري بقوله : "المسيلة مدينة في بساط من الأرض عليها سوران ، بينهما واد ماء يستدير بالمدينة " (1). وأحيطت مدينة بسكرة بخندق ملازم لسورها ، وخندق مماثل حول مدينة سوق حمزة " وهي مدينة عليها .. خندق " (2) . تجربة حفر الخنادق حول المدن الموغلة في عمق المناطق الجنوبية ، وتخوم الهضاب العليا ، يؤكد في رأبي القدرة الفنية الحربية للحماديين ، بالنظر إلى افتقار المدن الوسطى والشمالية لمثل هذا النوع من التحصين ، فحسب استنتاجاتي يعود ذلك الاختيار إلى طبيعة المنطقة السهلي الذي يسمح لأي عدو بالحركة السريعة فيها بحكم انبساطها ، وقدرته بذلك على الوصول إلى مشارف مدنها ، وعدم الاستناد إلى الأسوار كوسيلة كافية للتحصن ، دفعهم إلى إقامة الخنادق باعتبارها وسيلة ناجعة في مثل هذه الأماكن ، بحكم تجربة من سبقهم في ذلك ، وخاصة من تشابه معهم في نفس الواقع الجغرافي .

4-الرباطات : (3) أنشأ الحماديون رباطاتهم على المنفذ البحري (المتوسطي) لأغراض متعددة ، فإلى جانب

65 - - -2 164 - - 59 - - -1
 " " " " " " " " " " " " " " -3

. ()

()

" "

796 / 180 " "
 . 206 " "

: - 1 - - : 89 88 - 2 - 297 - -
 : 31 30 - 3 - - : 405 403 -
 - 35 34 : - 1987 - - () -
 " - - 61 60 : - - 113 108,109
 " - 10 - 19 .

العوامل الاقتصادية المرتبطة بدعم مكانة بجاية عاصمتهم الثانية في هذا المجال ،
 وازدهار حركتها التجارية

مع الشرق والغرب ، كان العامل الديني المرتبط بالجهاد البحري ، وما قامت به من نشاط
 فعال على الثغور والموانئ البحرية التابعة لها ، دافعا قويا لإنجاز هذه المنشآت العسكرية ،
 مصداقا لقوله تعالى: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"(1)، وقوله: "يا أيها
 الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " (2)

وعليه صنف الكثير من المؤرخين ذلك في إطار الفتوحات الإسلامية والوقوف في وجه
 الحملات الصليبية التي بدأت في المشرق واستمرت في المغرب في العهد

الحمادي (3) مما جعلها تدخل في مواجهات عنيفة مع الإمارات المسيحية
 بجنوب أوربا ، مثل إمارة صقلية ، سردينيا ، بيزا وجنوة ، إذ كثيرا ما أغار البحارة

الحميون على هذه المواقع ، بالمقابل باشر قرصنة هذه الإمارات الرد بالمثل ، ومنها دخول
 "يحي بن العزيز " أخر ملوك بني حماد في مواجهة مباشرة مع أسطول " روجر II " ملك
 صقلية المتحالف مع حاكم المهديّة الزيري . أمام الأخطار المحدقة والتي عبرت

عن طابع الصراع المحتدم بين الجانبين للهيمنة على الحوض الغربي
 للمتوسط (4) .

فالباطات البحرية أنشئت أساسا بذلك لتجمع بين الوظيفة الدينية العسكرية والاقتصادية
 . ومنها رباطات " شرشال " التي ذكرها الرحالة البكري " ولمدينة شرشال ميناء

.. وفيها رباطات يجتمع إليها في كل عام خلق كثير (5) ، وقد كانت في
 وقته من ضمن أعمال بجاية (6) ، ورباط مغيلة القريب من مدينة تنس ،

والذي اتخذ موقع المواجهة لإمارة سردينيا بجنوب أوربا وكذا رباط ملالة" (7) خارج
 مدينة

1- - 62 .

2- - 199 .

3- - 25 05/ 1974 -

616 - II -

4- - 120 .

5- - 62 - 208 - -

189 - 13 - G.yver " " -

- 6 - - 208

- 7 - - 194 .

"بجاية ، إذ بقي يقوم بدوره الجهادي على الضفة البحرية حتى عهد" عبد المؤمن بن علي "الموحدي واستيلائه على هذه الأخيرة في القرن السادس الهجري (1) .
بواسطة هذه التحصينات المتقدمة ، تمكن الحماديون من الأخذ بزمام الأمور في المنطقة خلال النصف الثاني من القرن الخامس والأول من القرن السادس الهجريين ، مكنها من القيام بدورها
الدولة الإسلامية ، رغم تجزأ دولها ، وتعدد نظم الخلافة بها ، وأهلها للمحافظة على روح الجهاد العريق ضد الحملات الصليبية الأولى في المنطقة ، ليتمكن سكان المغرب الأوسط مستقبلا من دعم إخوانهم الأندلسيين الفارين من بطش محاكم التفتيش خلال القرنين
الميلاديين .

المدن : أنجز الحماديون مدنهم بناء على اختيار جغرافي وعسكري مسبق ، استنادا إلى الطبيعة المعقدة للمنطقة وإلى الطابع الحربي الذي اتصفت به الدولة ، يحدد القزويني الأسس المستند إليها عند إنشاء المدن " .. ثم إن الملوك لما أرادوا بناء المدن .. اختاروا أفضل ناحية في البلاد وأفضل مكان من الناحية ، وأعلى منزل في المكان في السواحل والجبال" (2)

فكان إنجاز مدنهم الكثيرة بناء على هذه القواعد الطبيعية وذات الأهمية الحربية ، بدعم من الأشكال التحصينية المذكورة . ومنها مدينة أشير (3) ، التي اختطها " زيري بن مناد " الصنهاجي (4) وأصبحت من ممتلكات الحماديين بعد انفصالهم عن الزييريين سنة 405هـ/1014م لتصبح من أهم المراكز التي

- 1- - - 24 - - : 303 302 - - - 298 297 :
- - - 295 .
2- - - 8 .
3- " " " " :
- - - 118 - - -
" " " " - II - : 234,235 .
4- - - 160 .

اعتمدها لدعم قوتهم الحربية (1) ، فقد بنيت في مكان امتاز بحصانة طبيعية يضمنها سفح جبل "الكاف لخضر" (2) وصفها ابن خلدون بأنها " أعظم مدن المغرب " (3) فأشرف مكانها على مقومات المناعة العسكرية المطللة على مواطن زناتة غربا ، حيث لا يمكن الإغارة عليها إلا من الجهة الشرقية ، باعتبارها محمية بقمة الجبل الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ألف وأربعمائة متر ، وسعة الفضاء المحيط بها المفتوح على الجبال والسهول المجاورة (4) . إذ يكفي الدفاع عنها بعشرة حراس انطلاقا من الأبراج المدعمة لسورها وقد حدد البكري هذه الأهمية بقوله : " أشير جليلة حصينة " ليس في تلك الأقطار أحصن منها ، ولا أبعد متناولاً ومراماً ، ولا

إليه المراكشي بقوله : " قلعة بني حماد.. معقل صنهاجة الأعظم ، وحرزهم الأمنع ، فيها نشأ ملكهم ومنها انبعث أمرهم " (6) فكانت بحق قاعدة

| | | | | |
|---|---|---|-------|---------------|
| - | - | - | 273 . | 1 |
| - | - | - | - | 2 |
| - | - | - | 161 . | 6 - 314 - |
| - | - | - | - | 3 |
| - | - | - | 276 . | 4 - 7 - |
| - | - | - | 206 - | 5 - 6 - 204 - |

بديلة لأشير بالمغرب الأوسط ، تقف في وجه خصومهم التقليديين زناتة ، وخصومهم الجدد بني هلال بحكم

الميزات الاستراتيجية التي تفوقت بها ، على المركز الأول للدولة (1) لتكون بدورها قاعدة دفاعية واقتصادية هامة بالمنطقة ، فبنائها على سفح جبل كيانة (تاقربوست) الشاهق ، أهلها للعب دور هام في حياة الدولة ، بأفول فعالية دور مدينة آشير التي تحولت إلى ولاية من ولاياته . بعد أن عمق تحصينها بالأسوار وأبراج المراقبة ، مكنته من تحقيق الانتصارات المتتالية على بطون زناتة ، وتحديه نشاطهم ، ومن الوقوف في وجه الزيريين ، الذين أرادوا استرجاع سيادتهم على المنطقة منذ التمرد الذي قام به "حماد" على إرادة ابن أخيه "باديس" ، الذي طالبه بالتنازل عن بعض أعمال قسنطينة لصالح ابن هذا الأخير ، فكانت المواجهة بينهما ، لعبت فيها القلعة دورا رئيسيا في دعم تحصن "حماد" بها لمدة ستة أشهر مكنته بعدها من تحقيق الاستقلال نهائيا بالمغرب الأوسط (2) .

واقتصاديا خلفت القلعة ، مدينة آشير ، إذ أصبحت منطلقا لحركة تجارية حيوية بحكم موقعها المركزي الذي ربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وتتنوع أنشطتها الاقتصادية ، والرخاء الكبير الذي سمح بنبؤ مكانة خاصة إذ عدت من أكثر بلدان المغرب غنى ، فكانت القوافل تصل إليها من كل الأقطار للتقريب أو التزود بمختلف المحاصيل والصناعات التي تزخر بها القلعة ، وقد أشار الإدريسي إلى هذا النشاط بقوله : "من أكبر البلاد قطرا وأغزرها خيرا" (3) . وأكد البكري بدوره كثافة الحركة التجارية الخارجية للدولة انطلاقا من القلعة بقوله : " .. تمصرت عند خراب القيروان .. وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة " (4) .

فالقوة الاقتصادية للدولة استدعت تحصين العاصمة الأولى وغيرها من المدن المجاورة لها بصورة جيدة ، اعتبارا لحالة اللاستقرار الدائم التي ميزت العلاقات الحمادية مع جيرانها ، وسعيا منها للحفاظ على

| | | | |
|---|---|---------|---|
| - | - | 168 | 1 |
| - | - | 85 84 : | 2 |
| - | - | 86 . | 3 |

4 - - - 49 .

ثبات مداخل الدولة ضمانا لديمومة وجودها، والاستعداد الحربي الكافي لمواجهة الأخطار المحتملة التي تهددها .

إلا أن الحملة الهلالية على المغرب الأوسط ، والصعوبات التي لازمت محاولات احتواء الوافدين الجدد ضمن إطار الدولة حال دون الاحتفاظ بتلك القوة والمكانة ، نظرا للتأثيرات التي خلفوها في أحواز القلعة والتي عبر عنها ابن خلدون بشيء من التحامل عليهم (1) . مما عجل بنقل مقر العاصمة من المنطقة الداخلية ، إلى الساحلية ، فكان إنشاء مدينة الناصرية (2) التي عرفت ببجاية ، لتكون العاصمة الحمادية الثانية، والتي خططت بدورها على طراز عمراني حربي ، يكفل للدولة حماية اكبر ، وعمر أطول .

فكانت فكرة "ابن البعبع" (3) عامل "تميم بن المعز" الزيري الذي أوحى لـ "الناصر بن علناس" بأهمية الموقع الاستراتيجي الذي أنشئت على أساسه ، إذ لا يضمن صدّ الهلاليين فحسب ، بل يتعداه إلى إشراف الدولة على واجهة البحرية هامة تمكنه من امتلاك المهديّة وبلاد إفريقية بكاملها حيث خاطب "الناصر" بقوله : " .. وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها ، وقد عبرت بجاية فرأيت فيها مرافق من صناعة وميناء وجميع ما يصلح لبناء مدينة ، فاجعلها لك مدينة ، يكون دار ملكك ، وتقربك من جميع بلاد إفريقية " (4)، واختطت المدينة فعلا في حدود سنة 457هـ / 1065م على رأس جبل قوراية الشاهق ، الذي يجمع الجغرافيون والمؤرخون على أهميته الاستراتيجية المتميزة، ومنهم الحموي بقوله: "بنيت المدينة في جبل شاهق، وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد" (5)، إلى جانب امتداد يابسها داخل

1 - - - 6 - 43 .

23 - " : . " -

- " - " 28 - " -

Mercier – op . cit ; p 157 , Gaid – op . cit ; p64 85 -

3-

457

: - 10 - - :

25:27: - " - 33 32

. 495 - - 5 - 224 - 24 - - 4

البحر مما سمح لها بتبوأ مكانة عسكرية رائدة ، عند الحماديين بالمغرب الأوسط خصوصا والمغرب الإسلامي عموما .

ويتفق معه الحميري في كتابه الروض المعطار في التأكيد على أهمية موقعها بقوله : " مدينة على ضفة البحر ، وهي على جرف حجر .. لها من جهة الشمال جبل سام صعب المرتقى يسمى أميسول.. قد دخل في البحر .. " (1) . مما جعل الحماديين يستغلونها بشكل مكثف في ترصداتهم ، بحجم ما أنشئ من حصون وأبراج

وربابطات حول المدينة ، أو بوسائل اتصال مختلفة للربط بين العاصمة وولاياتها ، أهدتهم لعرقلة الحملة الهلالية جنوبا ، وضم ممتلكات الزيريين شرقا ، وصدّ غارات الملتهمين (المرابطين) غربا ومواجهة غارات النورمان عبر البحر شمالا .

كما أسست المدينة لواقع اقتصادي جديد ، بفتح مسار إضافي للعلاقات التجارية الدولية ، إضافة إلى الطريق التقليدي (طريق السودان شرق - غرب) فتح طريق البحر ، بين المغرب الإسلامي جنوبا وأوروبا شمالا ، وباقي مناطق العالم الأخرى ، فعدت بذلك قطبا رئيسيا عالميا .(2)

فذاعت بذلك شهرة الدولة وعاصمتها بكثافة السفن التي تحط بمينائها من مختلف أصقاع العالم ، إذ أجمع الجغرافيون على أهمية دورها بما عاينوه من حركية تجارية واسعة ، ومنهم صاحب كتاب الاستبصار بقوله : "مرسى عظيم تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها ، من أقصى بلاد الروم ، وسفن المسلمين من الإسكندرية..وبلاد مصر ، وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها" (3) ، والإدريسي بقوله : "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط ، وعين بلاد بني حماد ، والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة ، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة ، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق .." (4). هذه المكانة الاقتصادية المكتسبة ، كانت في نظري من الدوافع الحقيقية لتكثيف التحصينات العسكرية

1- - - - - 81 80 : - - - - - 43 .

2- - - - - " - - - - - 5 .

3- - - - - : 21 20 .

4- - - - - 63 .

في المنطقة دعما للمكاسب المحققة ، وبناء لمصادقية ومكانة الدولة ، وضمنا لثقة المتعاملين معها ، حتى أصبح ملكهم يضاوي ملك معاصريهم من الكيانات السياسية الأخرى ، بما في ذلك الخليفة الفاطمي بالقااهرة على حد تعبير صاحب الاستبصار " حتى بقي صاحب بجاية في ملك شامخ ، وعزّ باذخ يضاوي في ملكه صاحب مصر " (1). إضافة إلى ما لعبته مدن أخرى اكتسبها الحماديون من غيرهم ، أو بنوها بأنفسهم ، من أدوار في هذا المجال ومنها ثغور أقصى المملكة غربا ، بدءا بمشارف وهران على ساحل البحر شمالا ، وصولا إلى تلمسان وتيهرت جنوبا التي تمثل الحد الفاصل بين مواقع صنهاجة وزناتة ، وقسنطينة و بونة شرقا اللتين مثلتا الحد الفاصل بينهم وبين الزيريين شرقا ، بناء على ما حدده المراكشي "مدينة بونة وهي أول حد بلاد إفريقية" (2).

فالتحصينات العسكرية بمختلف ألوانها وأشكالها ، حددت المعالم الرئيسية لحدود الدولة التي امتدت من مشارف وهران مرورا بتنس غربا إلى بونة والأوراس شرقا (3) ، ومن جزائر بني مزغنة وبجاية شمالا إلى وركلا (ورقلة) وبسكرة جنوبا ، في ملك دام زمنيا مدة 142 سنة أي الفترة الممتدة ما بين 405هـ/1016 م إلى 547 هـ/1152 م . عرف المغرب الأوسط بعواصمه وأمصاره المختلفة خلالها أوج ازدهار له ، إلى جانب الدور

الاقتصادي والحضاري الذي قامت به القلعة وبجاية والذي يمثل صورة زاهية في تاريخ الدولة الحمادية.

. 458 - 1 - - 130 - - -1
 . 206 - - -2

3-Xavier de Planhol – les Fondement géographique de L'histoire de L'islam –flammarion , édition paris - 1968-
 p 133

فهرس الفصل الثالث ٣٤ من ص 108 إلى ص 156 ٣٥

المبحث الأول : المعارك البرية.
المبحث الثاني: الأسطـول.

المبحث الأول ص 109 من ص 130

- ❖ واقع السياسة الخارجية الحمادية.
- ❖ نماذج من النشاط الحربي الميداني.
- ❖ 1- معركة "شلف" ضد الزيريين (406هـ /1015 م).
- ❖ 2- معركة "سببية" ضد التحالف الزيري - الهلالي (457هـ/1065م)
- ❖ 3- معركة "تلمسان" ضد المرابطين (496هـ/1102م).

تمثل المعارك التي خاضها الجيش الحمادي ضد خصومه (الزيريين ، الزناتيين ، الهلاليين ، المرابطين ... الخ) ، نشاطا ميدانيا تطبيقيا لمجال التأطير والتعبئة التي عكف الحماديون على توفيرها لهذا الجهاز الحساس ماديا وبشرياً .

إذ تبرز قوته وفعاليته جليا بتعدد جبهات حركته ، وحيوية نشاطاته ، وحسن توظيف القدرات الذاتية والخبرات القتالية للعناصر المكونة له .

فتوجه الملوك الحماديين لتثبيت دعائم دولتهم ، وإرساء حدود ثابتة لها ، دفعتهم غالبا إلى تولي قيادة الجيش بأنفسهم تبعا لطبيعة المعارك المصيرية التي خاضوها ،

بدءا بالتحدي الأول الذي وضعه مؤسسها " حماد بن بلكين " على عاتقه لتحقيق طموحه السياسي في إنشاء نظام مستقل خاص به ، والذي تمكن من

تحصيله عقب الدور الإيجابي الذي قام به منذ سنة 387 هـ / 997 م في كبح جماح قبيلة زناتة التي هددت ملك الزيريين من الجهة الغربية (1) ، فأسس بذلك لقوة جديدة فتية

بالمغرب الأوسط مع مطلع القرن الخامس الهجري ، فكان له الأثر البالغ في الإشعاع الثقافي والحضاري للمغرب الإسلامي كله ، وأبرزت في التاريخ

وجها متميزا للأسرة الصنهاجية بفرعها الحمادي من خلال توارث ملكها بين أجيال عديدة كان أشهرها على الإطلاق جيل " الناصر بن علناس " مؤسس

حاضرة بجاية الشهيرة . لقد قامت النواة الأولى للدولة الحمادية على أساس القوة ، حين افتك " حماد " استقلاله

بنفسه باعتباره شخصية حربية ألفت خوض المعارك والمواجهات إلى جانب أخيه " المنصور " صاحب القيروان ، أو في خدمة ابن أخيه " باديس " الذي عوّل عليه في إرساء الاستقرار بالمغرب الأوسط

الذي عكرت صفوه هجمات بعض فروع قبيلة زناتة في اطار الصراع بين صنهاجة هذه الأخيرة (2) .

1 - - 24 - 185 - - 46

1-2 - - - 69 71 - - 1 - : 368 369 .

Djait Hicham et autres –Histoire de la Tunisie , le moyen âge –société Tunisienne de diffusion –sans date –P276

أو في اطار التوازنات الإقليمية التي حاولت القوى الكبرى تتميتها (العباسية ، الأموية ، الفاطمية) في المنطقة لتحقيق أبعاد سياسية ومذهبية ، مما جعل النزاع

يتجدد من فترة لأخرى حسب الظروف والمستجدات (1) .

لقد تعددت جبهات المواجهة التي خاضها الحماديون منذ تأسيس دولتهم ، اختلفت أسبابها وتباينت أطرافها ، فمثلوا بذلك عنصرا أساسيا لتحريك عجلة الأحداث التي مرّ بها المغرب الأوسط خلال قرن ونصف من الزمن تقريبا . ولعل أهم أوجه هذا

الصراع على الإطلاق كان مع الزيريين ، أصحاب دولتهم الأم الأولى ، الذي لازم فترات تاريخهم ، وكلف الطرفين انقسام البيت الصنهاجي الواحد ، رغم ان حجم الانتصارات كان

سجالا بينهما ، مما جعل طبيعة العلاقات تتميز بين التوتر تارة ، والوفاق تارة أخرى (2) .

ويمكن تتبع أسباب الخلاف بينهما على النحو التالي :

1- المتغيرات التي تركتها مغادرة الفاطميين لإفريقية وبلاد المغرب ، متجهين صوب مصر (3)، وترك المجال الرحب في المنطقة لخلفائهم الزيريين ، الذين تسرعوا في إعلان نقل عاصمتهم من أشير إلى المنصورية (4) مما سمح لقبيلة زناتة بحرية الحركة في الجهة الغربية من المغرب الأوسط ، ورشح شخصية "حماد" للقيام بدور التصدي لهم بتكليف من ابن أخيه "باديس" سنة 387 هـ / 997 م (5) كما سبق وان أشرنا، وهو ما دفعه للظهور على مسرح الأحداث ، واستعماله وسيلة للزيادة في صقل خبراته العسكرية ، وإبراز شخصيته الحربية ، التي وظفها منذ سنة 405 هـ / 1014 م في إنشاء قاعدته التحصينية "القلعة" سنة 398 هـ / 1007-1008 م ، والتي اشتهرت باسمه واتخذت أول عاصمة لدولته (6). ومكنه من كسب

| | | | | | | | | |
|--|-------|----|-----|-----|----|---|------|----|
| De Mas latrie - traités de paix - P17 | . 261 | - | - | 207 | - | - | - | -1 |
| | .651 | -2 | - | 324 | -6 | - | 204 | -2 |
| | .46 | - | - | 57 | -3 | - | 16 | -3 |
| | .80 | - | - | - | -5 | - | .169 | -4 |
| 322 | - | - | 204 | - | 49 | - | 86 | -6 |
| Méquesse -Notice sur la kalaa des beni Hammad -Revue Africaine -1886 -N° 30 -P 294 | | | | | | | | |

ولاء الجند الذي رافقه بحجم ما أسدى لهم من العطاءات .
2- الإغراءات المادية التي وعد بها "باديس" عمه "حمادا" في حالة نجاح المهمة التي كلف بها ، مع توقيع الطرفين على نص الاتفاق الذي تضمن البنود التالية :

- ❖ إقطاع "حماد" ملك ما يفتحه من بلاد زناتة .
- ❖ تعيينه عاملاً على أشير والمغرب الأوسط تحت راية الزيريين .
- ❖ إعفاؤه من الوصول إلى إفريقية (أي امتناع "باديس" عن استدعائه إليه) .
- ❖ يترك لـ "حماد" حرية اختيار مكان إقامته (أي اختيار عاصمته) (1).
- 3- طموح "حماد" الجامح في إنشاء سلطة خاصة به ، عقب فقدانه لفرصة وراثته عرش أخيه "المنصور" منذ تعيين ابنه "باديس" خليفة له سنة 386 هـ / 996 م .
- 4- تشبث "حماد" وخلفائه بالمحافظة على الملك الذي اكتسبوه من خلال تصديهم لمختلف المحاولات من الجانب الزيري على عهد "باديس" وخليفته "المعز" لاسترجاع ما فقدوه بواسطة حملاتهم المتكررة على القلعة ، ومنها محاصرة الأول لها وموته المفاجئ على أسوارها سنة 406 هـ / 1015 م ، ومحاصرة "المعز" لها لمدة سنتين ما بين 406 - 408 هـ / 1015 - 1017 م دون النيل منها ، مما دفعه إلى التسليم بالأمر الواقع ، والانتقال إلى تطبيع العلاقات بين الدولتين باعترافه الرسمي باستقلال الدولة الجديدة سنة 408 هـ / 1017 م ، واستقباله لـ "القائد بن حماد" لتوقيع عقد الصلح الذي تضمن امتلاك الحماديين للمسيلة وطبنة وتيهرت وما يفتح من بلاد المغرب (2).

5- استغلاله موقف - عدم تجذر الفكر الشيعي في الوسط الشعبي المغربي - لكسب المصادقية، وضمان

- 1- - - - 69 - - - 80 - - - 61 -
 - - - : 271 270 . - - -
 - - - 4 - - - : 25 24 - - - 324 - 6 - - -
 - - - : 290 289 - - -
 Gaid - op . cit ; p 62

ولاء سكانه له على حساب الزيريين ، وذلك بفضل إعلان القطيعة مع الخلافة الفاطمية ، واستبداله

بالانتساب للخلافة العباسية ، ومن المذهب الشيعي إلى السني المالكي وهو ما يقوي مركزه فعلا ، ويضمن نجاحا حقيقيا لحركته ثم لدولته .

فقد جمع "حماد" الفقهاء غداة استقلاله لوضع حد لتعدد المذاهب في دولته ، فبعد أن سمح لهم

أبي حنيفة ، فقالوا له : الكوفة
 المنورة ، وهنا تدخل قائلا : " عالم أهل المدينة يكفينا " ثم أمر بإخراج

أصحاب أبي حنيفة وقال : " لا أحب ان يكون في عملي مذهبان " (1) .

6- وحدة موقف اخوة "حماد" (ياطوفت ، وإبراهيم) بالتزامهم دعمه في حركته على حساب ابن أخيه "باديس" مما يفسر واقع الصراع على السلطة داخل البلاط الزيري ، وعدم قبولهم ولاية العهد لـ "باديس" .

هذه الأسباب المتعددة وغير المباشرة ، قاده إلى استغلال "حماد" لطلب ابن أخيه بضرورة

ولده "المنصور" سببا مباشرا لإعلان استقلاله عنه (2)، مبررا ذلك بإخلال " باديس" بالاتفاق المبرم بينهما سنة 387 هـ/ 997 م . وحاول

جانبه جعله مقياسا لمدى ولاء عمه له ، أمام تقادم حجم الوشاية في بلاطه ، إذ حرصت حاشيته على الاستراحة من " حماد" باستغلال فرصة تكليفه بصدّ زناة وسيلة للتخلص منه ،

نظرا للشخصية المتكاملة التي تمتع بها والمكاسب المادية والمعنوية التي حققها (3) " إذ كان .. شجاعا، جوادا من اكمل الملوك ، فعزّ وظهر على أعدائه" (4) ، .. ثم

إن بطانة باديس ومن إليه من الأعاجم

- 1- - - - 351 350 - 6 - - - 261 - - - 27:
 - - - 92 - - - - -
 - - - 1 - 1 - 1994 - 1 - 187 - 2 - - - 24 - 192 .
 - - - : 261,262 - 1 - - - 82 - - -
 - - - 71 - - - 275 - 1 - - - 1 -

369 368 :

والقرابة نفسوا على حماد رتبته ، وسعوا في مكانته من باديس إلى أن فسد ذات بينهما " (1) .

هذه الأسباب وتلك ولدت القطيعة ، وقادة إلى المواجهة المكشوفة والدامية بينهما ، وتجلت في معارك عديدة نأخذ نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر :

❖ " " 406 / 1015 تمثلت الظروف المحيطة بها وأسبابها في

- رفض " حماد" لمطلب " باديس" بالتنازل عن جزء من ممتلكات إمارته لصالح ولي عهده "المنصور" ، واعتبارا لجرأته وشجاعته بادر بمهاجمة إفريقية ، بالزحف على مدينة "باجة" التي دخلها عنوة في محاولة منه للقيام بمبادرة الهجوم حتى يكون في موقف أقوى عندما يباشر الزيريون محاولتهم لاسترجاع ما اقتطع من ملكهم ، ووضع حد لتمرد "حماد" ومن والاه (2) .

- فشل محاولات التفاوض ، وحل الخلاف وديا بمبادرة من " باديس " حين راسل عمه " حمادا " بواسطة أخيه " إبراهيم " الذي لم يوفق في مهمته ، بل انضم إلى حركته ، فاجتمعت كلمتهما ، وخلعا معا طاعة ابن أخيهما (3) ، مما يؤكد طموح "حماد" الكبير في الذهاب بحركته إلى أبعد حد ممكن ، وإفشاله لكل سعي يصب في اتجاه تكسيروها ، او عرقلة فاعليتها ، وهو ما جعل المؤرخين يعطونها صفة الحرب الأهلية نظرا لانتسابهما للأسرة الصنهاجية الواحدة (4)

- اعتماد " حماد" على قاعدته المحصنة " القلعة " في حالة تحقيق الزيريين للغلبة ، فقد اتخذها قاعدة حربية رئيسية ، ووظفها في المراحل المولية لمباشرة حركته الانفصالية ، إذ تكسرت على أسوارها كل محاولات اقتحامها ، وهو ما ساهم بصورة فعالة في تثبيت دعائم دولته الفتية (5) .

1- - - 6 - 350 .

2- - - 351 - - -

1 - 1995- 200 .

3-النويري -المصدر السابق - ج24 ص ، ص: 292 ، 293 .

4-ابن عذاري - البيان - ج1 ص 262 . ابن عذاري - البيان - ج1 ص 262 .

5-المراكشي - المعجب - ص 206 ، ابن الأثير - الكامل - ج9 - ص 31 ، بورويبة - مدن مندثرة - ص: 84 ، 85 .

تطور الأحداث بهذا الشكل المتسارع دفع "باديس" إلى تولي مسؤولية الرد على عمه بتعبئة جيشه والسير انطلاقا من القيروان باتجاه القلعة ابتداء من 11 ذي الحجة سنة 405 هـ / 104م ، مرورا برقادة ، وتامديت (1)، والمحمدية (المسيلة) وصولا إلى مشارف عاصمة بني حماد التي استعصت عليه لحصانتها ، وعلم بانسحاب عمه صوب الجهة الغربية باتجاه معسكر في محاولة منه لإبعاد الخطر عن عاصمته واستدراج الجيش الزيري نحوه ، مع سعيه لكسب حلفاء يضمنون دعم حركته ، ممثلين في بعض بطون زناتة التي استطاع استمالتها ، فتجمعت حشود "حماد" على الضفة الغربية لوادي

"شلف" مسندا ظهر جيشه إلى جبل " بني واطيل" وهو جبل منيع صعب الارتقاء ، كتحصين طبيعي له ، جاعلا الضفة الشرقية للوادي حدا فاصلا بينه وبين حشود غريمه ، وتطورت المواجهة ، برصد كل طرف لصفوف جنده (2). إذ بلغ عدد جيش " حماد" حوالي ثلاثين ألف جندي ، و"باديس" ما يعادله (3) ، حيث اعتمدا على نظام التقسيم الخماسي ونظام الكراديس التقليدي ، إذ تصدرت المقدمة الجيش ، سابقة موكب الملك ، والميمنة على يمينه والميسرة على يساره ، والقلب مصدر العمليات فعنه تصدر الأوامر المصيرية في المعركة ، وتولى قيادتها من الجانب الحمادي " حماد" نفسه كقائد أعلى للجيش في هذه المواجهة ، بينما التزم الساقة جنب جبل "بني واطيل" لحماية ظهره ، وتكونت من الجيش غير النظامي على شكل كراديس قبلية أكثرها من بطون زناتة . وقد أورد ابن عذاري وصفا للحظات التي سبقت المعركة بالنسبة لمعسكر "باديس" بقوله : " وانتظمت صفوف الجيش وربت ، ومرّ باديس أمامها يتفقدتها ، وأقام كل قائد من قواده في مركزه ، وقد تقاربا الفريقان ، و تراءى الجمعان " (4) حيث أرادها

- 1 - - - - 194 - 24 - Bourouiba – P² architecture Militaire –pp 74-

76 Mequesse –Notice sur la kalaa – Revue Africaine – 1886 – N°30 – p 294 , L² architecture Algérienne - Collection "Art et Culture " -S.N.E.D - Algérie - 1974 -pp 24 ,26 .

- 2 - - - - 195،196: - - - - 263 -6 -

102،103:

- 3 - - - - 268 - 1 -

- 4 - - - - 263 - - - - : 404 403 .

Mercier – op . cit ; p126 .

كل طرف أن تكون معركة مصيرية .
فمن جانب " باديس " استرجاع سيادته المطلقة على المغرب الأوسط مجددا ، واتخاذ هذه الوسيلة القمعية لحركة عمه ، أداة لإسكات خصومه نهائيا ، ومن ثم استقرار الملك داخل البيت الزيري له ولبنيه من بعده على حساب أعمامه وبنينهم .

ومن جانب " حماد" يتوقف على نتائجها مستقبل حركته الاستقلالية ، وقد أورد الشاعر أبو إسحاق إبراهيم (1) من ميدان المعركة أبياتا من البحر البسيط تبرز حدة المواجهة بين الطرفين فقال :

لم أنس يوما بشلف راع منظره * وقد تضايق فيه ملتقى الحدق

والخيل تعبر بالهامات خائضة * من سافح الدم مجرى قانى الفلق

والبيض في ظلمات النقع بارقة * مثل النجوم تهاوت في دجى الغسق (2)

وقد احجمت المصادر على إعطاء تفاصيل أشمل عن هذه المعركة ، إلا ما اقتصر على تطور الأحداث بعدها، أو ما تعلق بنتائجها ، حيث انتهت إلى هزيمة " حماد" في هذه المعركة أواخر ذي القعدة 406 هـ/1015م دون أن يفقد الانتصار في الحرب ، إذ استغل اهتمام جيش " باديس " بجمع الغنائم التي خلفها والتي أحصى ابن عذاري

بعضاً منها بقوله: " إن الذي انتهب من الدرق عشرة آلاف درقة .. وأخذ الناس من الأموال والغنائم ما لا يحصى عدداً وكثرة " (3).
 وهو ما سمح له بالانسحاب بما تبقى من جيشه إلى عاصمته المحصنة " القلعة " أين تبعه ابن أخيه بجيشه فارضاً عليها حصاراً (4) دام حوالي ستة أشهر ، توفي أثناءه فجأة وراء أسوار المدينة وهو محاصر

-1

406 413 417
 " " :
 " - 3 - 57 .
 - 1 - 264 - 1 - 268 .

3-ابن عذاري -نفسه -ص264 ، ابن الأثير -الكامل- ج8 -ص277 .
 4-Jait et autres - op . cit ; P 276 .

لها وهو الظرف الذي غير مجرى الحرب تماما فكانت لصالح "حماد" في شطرها الثاني ، بعد أن سمحت له الظروف المذكورة بإعادة تنظيم صفوفه ، مستغلا انسحاب الجيش الزيري باتجاه إفريقية حاملا جنمان "باديس" بأمر من القيادة الجماعية التي تشكلت عقب وفاته من "حبيب بن أبي سعيد" ، و " حمامة " و " أيوب بن ياطوفت " ، وغيرهم من رجال صنهاجة . وكلفت " كرامت " أبا "باديس" بالتوجه صوب أشير لطلب المدد منها ، فاستغل "حماد" ذلك وسار خلفه في ألف وخمسمائة جندي فصادف دخوله إلى المدينة ، حيث عبأ جيشا من صنهاجة قوامه حوالي سبعة آلاف جندي ، فدارت بينهما معركة عنيفة انتهت إلى هزيمة " كرامت" بعد أن خان أصحابه ، وانتهبوا بيت ماله ، مما اضطره إلى التراجع صوب "أشير" فقتعه "حماد" فارتضا حصاره عليها واضطره بعدها للاستسلام ، الذي قبله هذا الأخير وعفا عنه وسمح له بالالتحاق بإفريقية . (1) .

هذا الانتصار النهائي في معركته المصيرية أهله للاستقلال بالمغرب الأوسط ، ولعل انعزال "كرامت" بهذه المنطقة ، وانشغاله بأحداثها ، وتحرك الجيش الزيري بجنمان "باديس" صوب إفريقية من دونه ، يفسر في اعتقادي بمحاولة إبعاده عن المشاركة في مراسيم تنصيب أخيه "المعز" على العرش وعمره لا يتجاوز الثماني سنوات (2) ، وهو ما لا يرضيه ، مما يضمن استقرار البيت الزيري الداخلي ، أو محاولة لإبعاد "حماد" عن الظرف نفسه للتوغل في إفريقية واستيلائه على الحكم هناك ، لادعائه بأحقية فيه .

ورغم النتائج المعتبرة المترتبة عن هذه المواجهة الأولى ومنها :
- نجاح "حماد" في اجتياز أول اختبار يعترض مبادرته ، إذ تمكن من تحقيق استقلاله نهائيا عن الدولة الأم مشكلا دولة خاصة به وبأسرته من الآن فصاعدا ، حيث انقسم ملك صنهاجة إلى دولتين :
دولة "آل المنصور بن بلكين" أصحاب إفريقية (القيروان) .
دولة "آل حماد بن بلكين" أصحاب المغرب الأوسط (القلعة) . (3)

1- - - - 277 -7 - - - 29 - - - 405 : 406

2- - - - 323 -6 - - - -2 - - - 650 : 651 .

3- - - - 324 - - - 151 - - - .49

تمكنت هذه الأخيرة بفعل طرازها العمراني الحربي من الصمود لمدة أطول في وجه التحديات التي فرضت عليها (1) .

- القطيعة السياسية والمذهبية التي أحدثها "حماد" مع الفاطميين ، مما يفسر أسباب الصراع لا بالاعتبارات الشخصية بينه وبين الزيريين ، أو بالحركة السياسية فحسب ، بل بالحركة المذهبية ضد الفاطميين ، حيث سبق بزمن طويل ما قام به "المعز بن باديس" في رفعه شعار السنة ، واضطهاد المنتسبين في إفريقية سنة 440 هـ / 1048م (2) .

- تقييم "حماد" واكتشافه للمخاطر التي رافقت حركته ، ونتيجة ما استخلصه عدم تماسك قيادة جيشه ، وولاء أتباعه عند الشدائد ، وتجلي ذلك بشراء "باديس" ذمم بعض قادته ، إذ سرب الأموال بينهم ، فأمكن للواحد منهم الحصول على ما قيمته ألفان ، وألف وخمسمائة دينار كل حسب رتبته ،

وهو ما مكنه من تفريق صفوفه ، واستمالتهم إلى جانبه ، فكان له الأثر السلبي على سير أحداث المعركة في غير صالح "حماد" .

- اكتشافه لضعف الارتباط بينه وبين سكان ولايته الذين رحب الكثير منهم بـ"باديس" وساعده على التوغل السريع في المغرب الأوسط ، خاصة سكان باغاية ، وحمزة (البويرة) ، والمحمدية (المسيلة) (3)، رغم أن "حمادا" عمل منذ تأسيس قلعه سنة 398 هـ / 1007م على كسب ودّهم وسمح للكثير منهم بالاستقرار فيها(4) من خلال الحي الشعبي في الناحية الجنوبية الشرقية من القلعة ، وهو ما حتم عليه إعادة النظر في ترتيب علاقته معهم ، مع العمل على توفير شروط أحسن لضمان ارتباطهم به مجدداً ، بالحد من تصلبه في حكمهم .

إلا أن الأبعاد التي ترتبت عن هذه المواجهة الأولى في تاريخ الصراع بين الأسترين الصنهاجيتين كانت

| | | | | | | | | | | | | | | |
|-----|---|---|---|-----|---|---|---|-----|---|---|---|---|---|----|
| 1 - | - | - | - | 275 | - | 1 | - | 206 | - | - | - | 9 | - | 31 |
| 2 - | " | - | - | .. | - | 6 | - | | | | | | | |
| 3 - | | | | 263 | - | | - | 24 | - | | | | | |
| 4 - | | | | 206 | - | | - | 350 | - | 6 | - | | | |

: 128 129 .

هامة هي الأخرى حيث تمثلت في : رفض "المعز" الزييري للأمر الواقع ، بتحركه السريع لاسترجاع ما اقتطع من ملكه بأمر ممن يشرف عليه ، حيث دارت بينه وبين "حماد" حروب عدة ، بعد أن تمكن هذا الأخير من السيطرة نهائياً على المغرب الأوسط بأمصاره : آشير ، المحمدية (المسيلة) ، وقسنطينة ، وصولاً إلى محاصرته لباغاية سنة 408 هـ / 1017م (1) .

ليعترف المعز "رسمياً باستقلال الدولة الحمادية في نفس السنة . والتي تحدد إطارها السياسي والإداري بالمناطق التالية : المحمدية (المسيلة) - طبنة - الزاب - آشير - تاهرت - مرسى الدجاج - سوق حمزة (البويرة) ، بعد التوقيع على صيغة الاتفاق المبرم بين "المعز" ، و "القائد بن حماد" ممثلاً عن والده ، وذلك بطلب من "المعز" نفسه (2) .

وزيادة في تمتين صلة الوفاق تم عقد مصاهرة بينهما ، حيث زوج هذا الأخير أخته بـ"عبد الله" ابن حماد (3) ، مما أفضى إلى هدنة لم تدم طويلاً ، إذ تجددت المواجهات بينهما على عهد "القائد" ابن حماد (419-446 هـ / 1028-1054م) ، إذ دشّن عهده بالتحالف مع جموع زناتة ثم زحفه على إفريقية لفتح القيروان سنة 420 هـ / 1029م ، ثم المنصورية سنة 427 هـ / 1035-1036م "في جيوش عظيمة وجموع كثيفة" (4). واستمرت المناوشات بينهما من حين لآخر ، إذ دخل "القائد" في صراع آخر مع الزيريين ، عقب محاصرة "المعز" عاصمة الحماديين سنة 432 هـ / 1040-1041م (5)، انتهت المحاولة إلى الفشل ولم يكرر "المعز" ذلك مرة أخرى .

وقد ادى تطور الأحداث لدى الدولتين إلى اهتمام كل منهما بمشاكله الخاصة ، عقب دخول الهلاليين إلى إفريقية سنة 443 هـ / 1051 - 1052 م ، رغم عودة الصراع بينهما من جديد على عهد "الناصر بن علناس".

- 1- ابن خلدون - العبر - ج6 - صص: 323 ، 324 ، سالم السيد - المغرب الكبير - ج2 - ص 651 ، زغلول - المرجع السابق ص 408
 2- ابن أبي دينار - المؤنس - ص 82 ، ابن خلدون - نفسه - ص 324 ، بن عميرة - المرجع السابق - ص 288 ،
 289 ، العدوي - بلاد الجزائر - ص 272 . Mercier - op . cit ; P 126 , p 62
 3- زغلول - نفسه - ص 408 4 - ابن عذاري - البيان - ج 1 - ص 275 .
 5- ابن عذاري - نفسه - ص 275 ، ابن خلدون - نفسه - ص 324 .

1065/ 457 "

وهي من النماذج البارزة التي خاضها " الناصر بن علناس " (454 - 481 هـ / 1062-1089 م) ، ثاني أعظم ملوك بني حماد ، اعتبارا للظروف المحيطة بها ، وارتباطها المباشر بالأحداث التي عرفتها الدولة الزييرية عقب توغل الهلاليين بأراضيها ، وإحاقه أول هزيمة بهم في معركة "حيدران" سنة 443 هـ / 1051 - 1052 م (1) .

هذه المعطيات الجديدة بالمنطقة حاول "الناصر" استغلالها لصالحه من خلال ضرب الطرفين معا ب :

1- مفاجأة الزيريين وهم مستوى أضعف بعد الهزيمة المذكورة ، وهو ما يسمح له بالتوسع على حساب ممتلكاتهم ، ولم لا الاستيلاء على عرشهم ، وقد تحققت له نسبة من هذا الطموح بإعلان مدينة تونس انضمامها إلى دولة بني حماد بطلب من مشايخها سنة 451 هـ / 1059 م ، ليعين "عبد الحق ابن خرسان" واليا عليها (2) .

2- وضع حد للتوسع الهلالي باتجاه المغرب الأوسط ، في محاولة منه لعرقلة حركتهم ، وإيعادهم عن حواضر بلادهم ، بعد تجربته في زعزعة ملك بني عمومتهم بإفريقية .

وهو ما شجعهم على عدم ترك الفرصة تمر دون تحقيق مكاسب جغرافية وسياسية مضمونة ، بعد أن تضع ملك الزيريين ، وغدا لقمة سائغة في يد الهلاليين ، لتتحول "قلعة بني حماد"

-1

()

1049- 1048/ 440 (487 - 427)

"

" "

- 1984 - - - - - :

. 239 - 4 - - 16 - - 71 70 :

-2

- 1 - : . II 543 "

217 216: - - - 6 - 326 - 171 -
- - - 159 157: - 2 -

ملاذا لاستقرار الأعيان والعلماء وأصحاب الفنون من مهاجري إفريقية (1) .
فاستضعاف "الناصر" لبني عمومته جعله يفكر بجدية في توجيه حملة لمحاصرة
عاصمتهم "المهدية" بهدف القضاء على آخر مركز قوة له . كما عمل مقابل ذلك
على استمالة بني هلال ، وزغبة وعدّي إلى صفه ، وتعبئة صنهاجة وبعض
بطون زناتة فقد "حالف الناصر بن علناس بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ،
ليعينوه على حصار المهديّة .. فأعطاهم المال والسلاح .. فجمعوا قواهم وتحالفوا " .
هذه الأسباب وغيرها كما أوردتها المصادر (2) كانت كافية لإغاضة صاحب المهديّة "
تميم بن المعزّ" الذي تحرك بدوره للقيام بعمل مماثل لصدّ الخطر المهدد لملكه
، فاتجه إلى أسلوب الخديعة ، كخطة منه لإلحاق الهزيمة بخصمه ، واستدعى أمراء
قبيلة "رياح" الموالية له بإفريقية ، فلما حضروا أشار عليهم بالمخاطر التي
تترصد تواجههم بهذه الأخيرة ، و بلاد المغرب كله ، في حالة نجاح "الناصر" في
مبادرته (3) فما كان منهم إلا الاتصال ببني عمومتهم الهلاليين الموالين لهذا الأخير ، فاتقفا
على الغدر به ، ونفس الحركة قام بها زعيم قبيلة زناتة "المعزّ بن عطية "
فكانت معركة "سببية" سنة 457هـ/1065 م .
أما أحداث المعركة : فتطورت بناء على المعطيات المذكورة في غياب علم "الناصر "
بها . إذ تحرك في السنة المذكورة ، بجيش من صنهاجة وزناتة ، وشيوخ قبائل
العرب ، لينزل بفحص "سببية" ، حيث بادرت

1- - - 24 - 221 - " -
33 - - - 1 - 292 - " -
1979 - 11 - : 227 226 .
2- - - 1 - 299 - 8 - 101 -
365 - - - (500- 1100)
3- : " :

: - 10 - : 46 44 - 6 - : 32 31 .
قبيلة رياح بالهجوم على بني هلال ، فتظاهروا بالهزيمة لتنفيذ البنود الاتفاق السري المبرم
بينهما "فإذا التقينا ، فاجعلوا أول حملة تحملونها علينا ، ونحن ننهزم بالناس

ثم نرجع عليهم (أي على الناصر وجيشه) ، فإذا ملكنا رقابهم ، كان لنا من الغنيمة الثلث ، ولكم الثلثان ، وقال الشيخان رضينا " (1) .

حيث وقعت مهاجمة الجيش الحمادي غدرا ، وجسد "زيري بن عطية" الزناتي الشطر الثاني من الاتفاق ، إذ تظاهر هو الآخر بالهزيمة ، ثم ضربوا مؤخرة الجيش الحمادي فكانت هزيمته . رغم أنه سيعمل على الثأر بنفسه بعدها ، بتحركه مجددا صوب إفريقية ، ومحاصرته لمدينة "الأربس" (2) سنة 460 هـ/1067 - 1068 م التي فتحها ، ومنها اتجه نحو القيروان التي دخل هي الأخرى بدعم من قبيلة الأثبج العربية (3) .

ولعل المعارك تتحدد عادة بنتائجها وانعكاساتها ، وهو ما انطبق على هذه المعركة التي كانت منعرجا تاريخيا حاسما في تاريخ الدولة الحمادية ، حيث فصلت بين مرحلتين متميزتين من أطوار حياتها :

1- أفرزت قصر نظر "الناصر" وعدم تقديره الجيد لأبعاد الحدث ، رغم ما عرف عنه من قدرة عسكرية ، وحنكة سياسية ، حيث انطلت عليه خطة "تميم" وهو ما دفعه للجوء إلى خيار جديد تمثل في عزل عاصمته ، بإنشائه لمدينة بجاية واتخاذها مستقرا له سنة 460 هـ /1067-1068 م بديلا عن القلعة، في محاولة منه لوضع حاجز طبيعي معقد تضاريسيا ، يحول بينه وبين وصول الهلاليين من أحواز القلعة إلى الساحل.

2- نمو قوة الهلاليين بمختلف بطونهم ، وتأثيرهم المباشر على الجانبين ، حيث أصبحوا بعد هذه المعركة أقوى مما كانوا عليه ، كما توسع إطارهم الجغرافي ليشمل قسما معتبرا من المغرب الأوسط ، عقب وصولهم إلى مشارف

1- - - - 8 - 101 - - - 6 - 355 - - -

.. - - - : 23 24 .

2-

()

: - - - 1 - : 256 257 .

3- - - - 1 - 299 - - - 172 .

القلعة وأمصارها الملازمة لها مثل طبنة والمسيلة (1).

3- أفضت إلى الطرفين بضرورة المحافظة على تماسك الأسرة الصنهاجية الواحدة ، من خلال إعادة النظر في طابع العلاقات غير المستقرة التي تميزهما ، بتنامي قوة الهلاليين التي أصبحت تشكل تحديا واضحا لمستقبل تواجدهما معا وما يفسر الأخذ بهذا المنحى الجديد، ردود الفعل الأولية التي أبدتها "تميم" الزيري عقب معركة "سببية" ، حيث رفض استلام الغنائم التي نهبت من معسكر "الناصر" بقوله : " يقبح بي إن أخذت سلب ابن عمي .." (2).

وهو ما يبرر في تقديري التوجه الدبلوماسي الذي انتهجه الطرفان بديلا عن الصراع والمواجهة على المديين القريب والمتوسط ، أي خلال حكم "الناصر" ، وخليفته "المنصور" من الجانب الحمادي ، وتجسد ذلك عمليا بالتوصل إلى إبرام

عقد صلح بينهما سنة 470 هـ / 1077 م ، بعد الدور الحثيث الذي قام به وزيريهما " أبو بكر بن أبي الفتوح " من الجانب الحمادي ، و "محمد بن البعبع " من الجانب الزييري ، وزيادة في تقوية وتمتين ذلك ربطت علاقة مصاهرة بينهما ، تزوج بمقتضاها " الناصر " بـ"بلارة " بنت " تميم " (3) .

هذه النتائج فصلت بين مرحلتين متباينتين في تاريخ الدولة الحمادية ، تميزت الأولى : بالاتجاه لبناء مؤسسات الدولة الأساسية ، وتقوية مركزها ، وإعداد جيشها بينما عرفت الثانية : والتي يؤرخ لها بنقل عاصمة الدولة من القلعة إلى بجاية ، بالاهتمام بتنويع نشاطات جيشها البري والبحري ، بعد إنشاء أسطولها الحربي والتجاري اعتمادا على دور صناعة السفن التي أنجزت بموانئها (4). والانتقال إلى مرحلة البناء الحضاري بالانفتاح على العالم بشكل أوسع عسكريا واقتصاديا وثقافيا ، في محاولة للسيطرة

- 1 - 43 - 6 - - - 65 - - - 456 455 : - 1 - - - 218 - - 365 -
Gsell (S) , et Merçais (G) , et Yver (G) – Histoire d'Algérie – ancienne librairie Fure – paris- 1927 – p117

- 2 - 102 - 8 - - - " .. - - - 25 24 : - - -
Mercier – Histoire des Berbères – P 160

- 3 - 300 - 1 - - - 83 - - - 328 327 : - - -
- 4 - 83 - - - 495 - - - 81 -

على جزء من الحوض الغربي للمتوسط من جانبهم ، أو من جانب النورمان المسيحيين ، أو بالحركة التجارية التي عرفتھا المنطقة في نهاية القرن الخامس وبداية السادس الهجري (1). ❖ النموذج الثالث للمعارك البرية : ينتقى من المواجهات التي دارت بين الجيش الحمادي ، وتحالف بطون زناتة المختلفة في القسم الغربي للمملكة ، والتي يعود جذور الصراع فيها إلى ما بين قبيلة صنهاجة وزناتة كما سبق ذكره ، وإلى سعي كل منهما إلى زيادة الفعل السياسي في بلاد المغرب ، مع تباين ولاء كليهما إلى طرف سياسي أقوى ، وإلى الدور المتميز الذي قام به " حماد " مؤسس الدولة في الحيلولة دون تحقيق زناتة لطموحها ، وهو ما قاد إلى معارك عديدة بينهما ، بحكم الصلابة التي أبدتها هذه الأخيرة في الوقوف بالمرصاد لمحاولات الحماديين السيطرة على الوضع في الجهة الغربية من مملكتهم (2).

وأبرز من تزعم قيادة زناتة في ذلك الصراع على عهد "حماد" ، "زييري بن عطية المغراوي" (3) ، و"حمامة بن زييري المغراوي" على عهد " القائد بن حماد" ، حيث اتخذوا من مدينة فاس منطلقا لغاراتهم على الأقاليم الغربية للدولة الحمادية ، مستغلين عادة توتر العلاقات بين الحماديين والزييريين ظرفا مناسباً للقيام بذلك ، وهو ما أفضى إلى معركة بين الطرفين دارت بالقرب من مدينة فاس ، اعتمد فيها "القائد بن حماد" خطة عسكرية خاصة ، تمثلت في تسريب الأموال سرا بين زعماء

زناتة الذين قبلوها ، وانفضوا عن زعيمهم " زيري " وهو ما سمح بتحقيق الانتصار عليه ، واضطر بعدها هذا الأخير إلى طلب الصلح

| | | | | | | | | | |
|---|------|---|------|---|-----|---|-----|---|---|
| - | 29 | - | 78 | - | 55 | - | - | - | - |
| - | | | . 11 | - | 274 | - | 223 | - | - |
| - | . 78 | - | 290 | - | 88 | - | - | - | - |

Merçais (G) – recherches d² archéologie Musulman – Revue Africaine – 1922 – (63) année – PP 24 , 25 .

368 -3

377

| | | | | | | | | | |
|---|-----|---|-----|-------|-------|-------|----|-----|---------|
| - | - | - | - | - | : | | | | |
| : | - 5 | - | 253 | 252 : | - 1 | - | 91 | - 1 | 1304 |
| | | | | | . 260 | 259 : | - | - | 186 185 |

والخضوع لطاعة القائد (1) والانسحاب إلى عاصمته بفاس .

وكانت لهذه الانتصارات نتائج هامة على الدولة الحمادية تمثلت أساسا في :
- تأكيد الدور البارز للحماديين في المغرب الأوسط من الآن فصاعدا ، وذلك استمرارا للدور التاريخي الذي قام به " حماد " في وضع حد لتوسعاتهم باتجاه الناحية الشرقية لمضاربهم إبان العهد الزيري (2) .

- استغلال الحماديين لهذا التفوق ، وسيلة لاستمالة بعض بطون زناتة لانتهاج التعايش بين القبيلتين ، والتعاون بدل الصراع حيث استعملوا فعلا عناصر منهم أدمجوها ضمن جهازهم العسكري ، وهو ما يضمن ولائهم للوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع الزيريين والهلاليين ، والمرابطين ثم الموحديين عبر أدوار صراعهم الأطراف المختلفة ، على غرار ما قام به بطن " بني وامانو " برئاسة " ماخوخ " الذي صاهر " الناصر " وخليفته " المنصور " (3) .

- تغيير استراتيجية بعض بطون زناتة ، ومنهم " بني وامانو " ، و " بني يلومي " في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري باتجاه دعم المرابطين في محاولة منهم لتحقيق انتصار حاسم على الحماديين ، نظرا للضغط الذي مارسه عليهم " الناصر " ، ثم " المنصور " بغزوهم لمواطنهم بشكل دائم (4) ، مما دفعهم إلى اعتماد أسلوب التحالف مع الملتئمين ، رغم أن ذلك بدوره لم يعد عليهم بنفع أكبر ، نظرا لعدم قدرة حلفائهم الملتئمين السيطرة الكلية على الوضع في القسم الغربي للمغرب الأوسط ، خاصة عقب هزيمتهم أمام الحماديين في معركة تلمسان سنة 496 هـ / 1102 - 1103 م (5) . هذا ما دفعهم إلى لزوم حالة اللاحرب

1- ابن الخطيب – أعمال الأعلام- القسم 3 – ص 186 ، ابن خلدون – العبر – ج 6 – ص 352 ، الجبالي – تاريخ الجزائر -

ج 1 - ص 218 ، الميلي – المرجع السابق - ص 606 .

2- ابن أبي دينار – المؤنس – ص 8 ، النويري – نهاية الأرب – ج 24 – ص 185 ، ابن خلدون – نفسه – ص 321 ، بن عميرة – المرجع السابق - ص 270 ، العدوي – بلاد الجزائر – ص : 270 ، 271 .

Djait (H) et autres– op . cit ; P 276 ، Cornvin ® - op . cit ; P 270 .

- 3- ابن خلدون - نفسه - ص 359 ، بورويبة - الدولة الحمادية - ص 76 ، عويس - دولة بني حماد - ص 176 .
 4- De Mas Latrie - op . cit ; P 18 .
 5- ابن الخطيب - نفسه - ص 97 ، ابن أبي زرع - روض القرطاس - ص 118 ، نصر الله سعدون - دولة المرابطين -
 ص، ص : 157 ، 158 Mercier - op . cit ; P 171 .

واللاسلم في علاقتهم مع الحماديين .

أما زناتة الشرق بقيادة " المستنصر بن خزرون الزناتي " صاحب طرابلس الغرب ، فقد ناصب بدوره العداء للحماديين ، بإغارة على المحمدية (لمسيلة) وأشير ، وتمكنه من دخولهما في محاولة منه لاسترجاع سلطان أجداده بالمنطقة ، الذين اعتمدوا عمالا للزيريين عليها من قبل ، بعد أن تحالف مع عرب عدوي مستغلا للظروف الصعبة التي مرّ بها " الناصر " عقب معركة سببية سنة 457 هـ ، غير أن هذا الأخير تمكن من تجميع قواه ملحقا به الهزيمة ، و هو ما دفعه إلى الانسحاب بجيشه وحلفائه صوب الصحراء ، وأمام تكرار مناوراته ، لجأ " الناصر " إلى أسلوب الخديعة ، حيث أغراه بمنحه ضواحي الزاب مقابل جنوحه إلى السلم معه ، فدبر له عامله على بسكرة "عروس بن هندي" مكيدة قتله على إثرها ، وأرسل جنته إلى القلعة سنة 460 هـ / 1067- 1068 م ، ومثل بأغلب قادة زناتة الذين دعموا حركته التوسعية في المغرب الأوسط(1).

" " 496 / 1102- 1103 :

وتمثل وجهها بارزا للصراع الحمادي - المرابطي بحكم تماس الحدود بينهما ، وتجسد حقيقة كل منهما ، وتظهر سياسة الملتئمين التوسعية منذ ظهورهم على مسرح الأحداث (2) ، إذ انبنت على ضم ممتلكات صنهاجة الشمال ، في إطار تأمين حدودهم الشرقية والتفرغ بعدها لعبور المغرب باتجاه الأندلس . وهو ما دفعهم مرارا للتوغل في الجزء الغربي من الدولة الحمادية ، ومنها عبور " يوسف بن تاشفين " لحدود "بلكين بن محمد " سنة 454 هـ / 1062 م ، فزحف إليه هذا الأخير واضطره للانسحاب إلى الصحراء مجددا ، في حين دخل هو مدينة فاس التي تعهد له أشرفها على الالتزام بالولاء، وتقديم فروض الطاعة (3)

- 1- - - 6 - : 356 355 - - 71 - - 1 - 281
 2- - - - - 328 : - - - 82 83 - - -
 3- - - - : 88 87 - - 355 - 1 - - 353 - -
 Mercier - op . cit ; P 158 . 208 - 3 - -

ليتجدد غزو المرابطين ثانية لتلمسان سنة 472 هـ / 1079 م ، بأمر من "يوسف بن تاشفين" بزعامة قائد جيشه " مزدلي بن تبلكان " (1) بعدما أصبح الملتئمون أقوى مما كانوا عليه . وقد قدر عدد جيشهم الذي هاجم تلمسان بحوالي عشرين ألف مقاتل ، وتمكن من دخولها، لتتخذ منذ سنة 474 هـ / 1081م قاعدة لجند المرابطين وعتادهم بالمنطقة ، ومنطلقا لتوسعهم في كامل القسم الغربي من مملكة الحماديين ، حيث استولوا على وهران ، وجبال الونشريس ، وشلف وتنس ،

وصولاً إلى أسوار جزائر بني مزغنة سنة 475 هـ / 1072-1073 م (2) ، مستغلين في ذلك وقوع الحماديين بين شقي رحى ، الهالبيين المتحالفين مع الزيريين شرقاً ، والمرابطين الذي أخضعوا بعض بطون زناتة غرباً واضطروها لدعمهم .

وبتولي " المنصور بن الناصر " ملك الحماديين منذ سنة 481 هـ / 1089 م ، عمل على إزاحة التواجد المرابطي من أراضيه ، مما قادهم مجدداً إلى صراع حاد بين سنتي 494 - 496 هـ / 1100-1102م (3) ، استطاع فيه الحماديون تحقيق أهم انتصار في معركة تلمسان 496 هـ / 1102-1103 م ، والتي يمكن حصر أهم أسبابها الرئيسية فيما يلي :

- استمرار التواجد المرابطي على جزء معتبر من القسم الغربي للدولة الحمادية منذ سنة 472 هـ / 1079م .

- حيوية القيادة الجديدة للحماديين منذ تولي " المنصور بن الناصر " لها ما بين (481-498 هـ / 1089-1104م) ، مما جدد النفس ، وسمح لهم بالمبادرة بالهجوم لاسترجاع ما فقدوه (4) .

توتر العلاقات الحمادية - المرابطية نتيجة لاستقبال " المنصور " الحمادي لكل من "معز الدولة بن صمادح"

1- ابن أبي زرع - روض القرطاس - ص ، ص : 98 ، 99 ، ابن خلدون - العبر - ج 6 ص 381 ، إسماعيل العربي - دولة بني حماد - ص ، ص : 176 ، 177 .

2- ابن خلدون - نفسه - ص 381 ، حسين حمدي - المرجع السابق - ص 230 ، بوتشيش - المرجع السابق - ص ، ص : 82،83.

3- ابن الخطيب - المصدر السابق - ص 97 ، ابن أبي زرع - نفسه - ص 118 . ; Mercier - op . cit . p 171

4- ابن عذاري - البيان - ج 1 ص ، ص : 301 ، 302 ، ابن خلدون - نفسه - ص ، ص : 357 ، 358 ، الغنيمي - المرجع السابق - ج 4 ص 299 ، بوتشيش - نفسه - ص 84 .

ولي عهد مدينة المرية وأهله وبعض رعيته ، و"ابن مجاهد " صاحب مدينة دانية ، من ملوك الطوائف الأندلس ، عقب فرارهما من قوات المرابطين التي استولت على ملكهما منذ سنة 484 هـ / 1091 م (1).

- استغلال " المنصور " انشغال المرابطين بعبورهم الثاني إلى الأندلس سنة 496 هـ ، تلبية لنداء استغاثة ملوك الطوائف ، الذين عجزوا على صدّ هجمات " الفونسو السادس " ملك قشتالة ، وكذا الظروف الصحية الصعبة التي كان يمر بها " يوسف بن تاشفين " خلال هذه الفترة أي قبل وفاته سنة 500 هـ (2) .

أما السبب المباشر للمعركة فتمثل في معاودة المرابطين غزوهم لجزائر بني مزغنة ثانية بقيادة "محمد بن تينمار" ومحاصرته لها لمدة يومين ، وتمكنه من دخول مدينة أشير أيضاً ونهبها سنة 495 هـ / 1101م (3).

هذه الظروف والأسباب مجتمعة دفعت " المنصور " الحمادي إلى ضرورة وضع حد لهذه التحديات ، والأحداث غير المستقرة في القسم الغربي من مملكته خلال الفترة الممتدة ما بين 474 - 496 هـ / 1081- 1102 م .

فسير نحوهم جيشا قوامه حوالي عشرين ألف مقاتل في شوال سنة 496 هـ / 1102 م (4) ، مدعما بقبائل العرب الهلاليين المتحالفين معه من الأثبج وزغبة وربيعة ، والكثير من بطون زناتة .

وعلا منه على التحكم في زمام المعركة وأدوارها ، اعتمد خطة بمقتضاها جعل جزءا من جيشه يسبقه ليدخل في المناوشات الأولى مع جيش المرابطين على مشارف تلمسان - بعد أن تمكن "المنصور" من استرجاع أغلب المناطق الغربية المفقودة من مملكته - على أن يعمل بعد ذلك على مباغطة مؤخرة جيش "تاشفين بن يغمر" المرابطي عامل تلمسان ، فانطلت الخطة على المرابطين ، حيث خرج

| | | | | | | | | | | |
|--|-----|-------|--------|------|-------|-------|---|--------|-----|---|
| - | - | - | 118 | 117: | - | - | - | - | - | - |
| - | 384 | 361 | - | 6 | - | 52 | - | 1979-1 | - | - |
| - | | | .48,49 | - | - | 89 | - | - | 200 | - |
| - | 158 | 157: | - | - | 386 | - | - | 118 | - | - |
| rcher (L) – le palais d’El Mansour a Bougie – Revue Tunisienne – 1922 –(29) année –p p 50 , 51 | | | | | | | | | | |
| - | | | | | | . 117 | - | " | " | - |
| - | 158 | 157 : | - | - | 288 | - | - | 97 | - | - |
| - | | | | | . 285 | - | 1 | - | 231 | - |

"تاشفين" فعلا إلى منطقة "تسالة" المحاذية لتلمسان ، ليلتحم الجيشان ، ويتمكن "المنصور" بواسطة القسم الثاني لجيشه من ضرب مؤخرة الجيش المرابطي ملحقا به الهزيمة ، بعد أن وقع بين شقي رحي ، فاضطر إلى الانسحاب بما تبقى من فلول جيشه إلى جبل الصخرة المحاذي للمدينة (1).

وترتب عن المعركة نتائج وأبعاد متعددة تمثلت في :

نتائجها المباشرة تحددت في تحقيق الحماديين لانتصارهم الحاسم على المرابطين ، إذ تمكنوا من دخول مدينة تلمسان والاستيلاء على ما فيها ، بعدما أباحها "المنصور" ، وحاول القبض على "حواء" زوجة "تاشفين بن يغمر" ليضمها إلى مجمل الأسرى ، إلا أن توددها له بصلة الدم والقرابة الصنهاجية التي تجمع بينهما ، شفع لها عنده ، فعفا عنها وأطلق سراح جميع الأسرى في اليوم الموالي ، رغم أن بعض المؤرخين قللوا من حجم وقع هذا النصر ، على اعتبار اهتمام المرابطين بالوضع في الأندلس على حساب بلاد المغرب (2).

أما أبعاد هذا النصر بالنسبة للحماديين فتجلت في :

- وضع حد نهائي لتهديد المرابطين لحدودهم الغربية ، إذ لم يكرروا المحاولة حتى سقوط دولتهم .

- تشجيع "المنصور" على إلزام كل القبائل التي لم تدعن لطاعته ، وطاعة من سبقه من الملوك بإعلان الولاء ، ففي طريق عودته أخضع بطون زناتة بنواحي الزاب ، وقبائل زواوة من بني عمران ، وبني تازولت ، والمنصورية و الصهريج والناظور ، مما أهله للسيطرة على الوضع العام في مملكته (3) .

- مكنته هزيمة الخصم من نقل القبائل العربية الهلالية من حالة الصراع والمواجهة ، إلى حالة التعايش والتحالف الدائم ، من خلال تنمية الجانب الاقتصادي وحماية طرق التجارة (4). نتيجة لما أبلوه

1- - - - 361 360 -6 - - - 77 - - - :
204 203 .

2- - - - : 232 231 - - - : 83 82 .

3- - - - 361 - - - 77 - - - .285 -1 - - .

4- - - - 63 - - - : 110 109: .288 - - - .

إلى جانبه في هذه المعركة ، وتجلّى ثمار التحالف بإدماجهم الكلي في الجيش ، وانتقالهم إلى أداة بناء أساسية للدولة ، ودرع صلب في وجه خصومهم ، وهو ما أثبتته

الأيام ، خاصة دفاعهم المستميت عن بجاية والقلعة ضدّ الهجوم الموحد

عليهما سنة 547 هـ /1152م (1) عقب توتر العلاقات بين الدولتين لأسباب

عديدة أبرزها : التحالف الذي جمع بين الحماديين والمرابطين لصدّ الزحف الموحد

على مراكزهم الحضارية بالمغرب الأقصى ، خاصة محاصرتهم لمدينة تلمسان سنة 537 هـ

/1143م (2) ، أخر حد للحماديين في القسم الغربي ، فما كان من " يحيى بن

العزير " إلا الاستجابة للطلب المرابطي والمساهمة في ضرب القوة الجديدة

بجيش بري توجه إلى تلمسان ، وأسطول بحري (3) توجه نحو ميناء

وهران ، رغم أن الدولة كانت في ظروف صعبة وهي تعيش أواخر أيامها ، نتيجة لتقهقر

قوتها واختلال التوازن بينها وبين الموحديين على الجهة الغربية ، وبينها وبين النورمان بالجهة

الشمالية ، فكان تحالفها مع المرابطين سببا مباشرا لإرسال حملة قادها " عبد

المؤمن بن علي " الموحدى بنفسه بعد تعبئة قوة كبرى انطلقا من سبتة إلى

سلا ، ومنها إلى تلمسان ثم باتجاه المناطق الداخلية للمملكة الحمادية (4) ،

فكانت مفاجأتهم لجزائر بني مزغنة أولا ، ثم بجاية ثانيا ، وصولا إلى دخول

القلعة ثالثا ، وهو ما يعني الإجهاز الكلي على أراضي الدولة المنهارة ، هذا رغم المقاومة

الشديدة التي أبدتها الجيش الحمادي بقيادة قبيلة صنهاجة ، وكراديس كتامة ولواتة وبني هلال ،

دفاعا عن العاصمتين اللتين سقطتا سنة 547 هـ /1152م (5) كما سبق ذكره .

1- - - - 364 -6 - - - .127 - - - .

2- - - - 103 -4 - - - .130 - - - .

3- - - - : 388,389 - - - 120 - - - -1 - - - : 314,315

4- - - - 30 -9 - - - 198 - - - -2 - - - : 793 792

- - - - 361 -3 - - - .

5- - - - 112 - - - 31 - - - -24 - - - : 304 302

- - - - 298 297 : - - - .285 - - - .

رغم أن بعض المصادر تشير إلى تحرك "يحيى بن العزيز" آخر ملوك الحماديين لاسترجاع ملكه منذ لجوئه إلى أخيه وعامله على قسنطينة (1) ، لإثارة قبائل هلال كلهم ضد الموحدين ، وهو بني عمومته في المغرب الأوسط (2) ، فكانت معركتهم مع الموحدين بـ"سطينة" سنة 548 هـ / 1153 م ، والتي مني فيها العرب بهزيمة كبرى كانت نتيجتها دخول الموحدين إفريقية واكتساح مضارب العرب ، وتحرير المهديّة من أيدي النورمان المسيحيين سنة 555 هـ / 1160 م (3) ، وهو ما يعد نصراً للصراع الحضاري بين العالمين الإسلامي والمسيحي ، ويؤهل الموحدين لقيام بدور بارز في تاريخ هذا الصراع .

هذه النماذج عن المعارك المتنوعة مع خصوم الحماديين ، انتقيناها لإبراز النشاط المتنوع للجيش كجهاز رئيسي استندت إليه الدولة منذ قيامها وحتى تاريخ سقوطها . فرغم إيجابيات ذلك في كسب الممارسات الميدانية ، إلا أنها ساهمت بصورة مباشرة في إضعاف قدرة الجيش على الأداء الجيد ، نتيجة تعدد جبهات نشاطه ، وإثقال كاهله بالغزو الدائم ، رغم ما قام به في الحفاظ على مكتسبات الدولة ، وحماية حدودها .

| | | | | | | | |
|------|-------|-----|-----|-----|-------|------|------------|
| - | - | - | - | 192 | - | - | -1 |
| - | - | 364 | - 6 | - | 229 | - 12 | - 1990 - 2 |
| | | | | | | | -1 478 |
| - | 299 | - | - | 306 | 305 : | - 24 | - 2 |
| | . 335 | - 2 | - | 109 | 108 : | - | - 44 |
| . 66 | - | - | 482 | - | - | 316 | - 1 - - 3 |

المبحث الثاني من ص 132 إلى ص 156

- ❖ نشأته.
- ❖ وسائل التحصين و الاتصال.
- ❖ تركيب الأسطول و تعداده.
- ❖ نشاطه :
- استراتيجية العمليات الحربية البحرية.
- 1-أساليب الهجوم.
- 2-أساليب الدفاع.
- ❖ نماذج عن النشاط البحري الحمادي:
- 1-الحملة البحرية ضد الزيريين.
- 2-صراعهم البحري مع النورمان.

تاريخ البحرية في المغرب الإسلامي ، عريق حافل بالبطولات ، بدءا بالقاعدة الأساسية التي أنشأها الأغالبة في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري ، إيماناً منهم بأهمية هذه الأداة في حماية سواحل إفريقية وبلاد المغرب من غزوات الروم ، بل استخدموها في توسيع نطاق الفتح ، ونقل ميدان المعركة إلى عقر دار الطرف الآخر (1) ، فكانت إنجازاتهم العظيمة في هذا المجال فتح جزيرة صقلية سنة 212 هـ / 827 م بقيادة " زيادة الله الأول " بأسطول قوامه مائة سفينة (2) ، ومالطة سنة 255 هـ / 896 م وأغلب السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية من إيطاليا (3) . وتوسع نطاقها ، وازدادت خبرتها ، بنمو قوة الفاطميين البحرية التي قامت على أنقاض البحرية الأغلبية ، وفاقته قوتهم في هذا المجال ، باهتمامهم بإنشاء الموانئ ، ومنها ميناء المهديّة المنجز سنة 305 هـ / 917 م (4) ، ليصبح أهم دار لصناعة السفن والأساطيل (5) بإفريقية و بلاد المغرب كله ، إذ قدرت سعته بمائة شيني ، ودعمت بقاعدة أخرى إلى الشمال منها هي مرسى سوسة . مما أهلهم لاتخاذها

-1 - 1969 - : 99 698 - - - - - 213 .
 -2 - - - 102 - 1 - : 78 79 .
 -3 - - - 54 - - : 158 159
 Monlair (J) – op . cit ; P 27 513 - -

-4 - - : 142 143 .

-5 (stolos)

" " " " :
 " " " " :
 " " " " :

-1 - - 102 - - 177 171 - - - :

. 79

مركزا أساسيا ومنطلقا للسيطرة على حوض البحر المتوسط ، ومنها غزو جنوة وبيزا وغيرهما (1). وتدعيم سلطتهم في جزيرة صقلية في إطار البعد الاستراتيجي الفاطمي لإنشاء إمبراطورية واسعة في المنطقة (2) ، ووسيلة رئيسية للتوسع شرقا صوب مصر والشام .

وهو نفس ما سيرثه الزيريون ويعملون على تطويره وتوجيهه لخدمة نفس الغرض ، ليصبح البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الرابع الهجري بحرا إسلاميا ، فكان لا بد لمن يريد أن يعبره خطب ودهم وكسب رضاهم (3) .

وهو ما مهد للحماديين منذ انفصالهم عن الزيريين إلى الاهتمام بالبحر وركوبه ، ولو في فترة متأخرة من ذلك ، أي على عهد" الناصر بن علناس " ، الذي أنشأ أول قاعدة بحرية حربية حمادية ، هي مدينة بجاية عاصمته الثانية (4) ، فعدت نواة لبناء قوة بحرية اعتبارا للدور البارز الذي لعبته في الحوض الغربي للمتوسط ، من خلال حيوية عمليات الغزو التي مارسها أسطولها خاصة في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، وتطلعت به إلى امتلاك إفريقية وعرش الزيريين نفسه (5) .

وهو ما أشار إليه بشكل من الإعجاب مجمل الرحالة الذين وصفوا ميناء بجاية ، ومختلف الموانئ الملحقة به شرق وغرب المملكة ، ومنهم البكري الذي أشاد بحيوية النشاط الحربي لمرسى بونة بقوله : " منه تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم ، وجزيرة سردينية ، وكرسفة وما والاها " (6) .

-1 - - - 101 100 - 2 - 115 - - -

-3 - - - - - - - -

. 128 - - 80 - - 842 - 2 - - -

4 - 495 - - 142 - - 5 - 109 .
Monlair (J) - op cit ; P 29.

5 - - - 10 - - : 32 33 - - 24 - 224 - -
" - : 25 27 .

6 - - 83 - - 69 - - 76 - -
" - 100 101 - - " . 67 .

ويعود ازدهار النشاط البحري صناعة وحيوية إلى مجمل المقومات التي كان يزخر بها المغرب الأوسط . فطبيعياً : تمثلت في انفتاحها على البحر وتعرض سواحلها مما ساهم في إنشاء موانئ محمية تضاريسياً تسمح بإنشاء مصانعها ، وإرساء أسطولها (1) ، وغنى أراضيها بالمواد الأولية المتنوعة سواء النباتية منها أو المعدنية مثل : الأخشاب ، الحديد ، الزفت ، والقطران (2) وهي كلها مقومات أساسية لازدهار حركة الملاحة .

وبشريا : بالتحديات التي فرضت على الحماديين وغيرهم ، بتنامي قوة النورمان البحرية في جنوب أوروبا منذ استيلاء فرسان "وليم" النورماني على جزء من صقلية سنة 433 هـ / 1041 م ، ثم "روجر" على قسم آخر منها سنة 444 هـ / 1052 م ، لتتحول إلى مركز قوي ، منفذ رئيسي لهم في جنوب إيطاليا (3) وتتوسع الخبرات بتعدد الأصول المشكلة للدولة ، والهجرات الوافدة إليها ، فأدى إلى وضع أسس متينة لمنشآت صناعية قاعدية خصت هذا المجال وغيره ، ومنها منشأة بجاية التي وصفها الإدريسي بقوله : " وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي " (4) . إضافة إلى دورين آخرين خصصا لنفس الغرض وهما : مرسى بونة ، ومرسى الخرز (القالبة) التي "صنع بها مرفأ .. فيه تتشأ السفن والمراكب الحربية" (5) .

هذا ما منح الحماديين مجالاً رحباً لنشاطهم البحري ، وقدرة أوسع على الوقوف بالمرصاد لكل قوة بحرية مماثلة خاصة النورمانية منها في عرض البحر المتوسط ، لاعتمادها على الذات في بناء قوتها من حيث المادة الأولية أو حركة تصنيع مختلف قطع الأسطول ، فأدى إلى توسيع سعة الحربي منه عدداً وعدة ،

1 - - - 23 - - Xavier - op . cit ; P151

2 - - - 63 - - 89 - - 81 - -

1995-1 - - 77 - -

17

3 - - - : 208 209 - - 34 .

4 - - - 63 - - 81 .

5 - - - 55 83 - - 495 - - 77 .

وجعل ميناء بجاية يضاهي في حركته ونشاطه العسكري والمدني مركز المهديّة البحري بإفريقية (1) ، فتشرفت بحمل اسم "قاعدة المغرب الأوسط" و"عين بلاد بني حماد" (2) .

فكانت شواطئها الممتدة من مرسى الخرز و بونة شرقا إلى مرسى تنس على مشارف وهران غربا ، محمية بما أقيم عليها من تحصينات حربية بحرية .

قامت حتمية النهوض بالبحرية الحربية الحمادية في إطار واقع خاص ، وأهداف حاول ملوك بني حماد تحصيلها والتي نحصرها في ما يلي :

1- نمو القوة المسيحية في عرض البحر المتوسط بقيادة النورمان وزعيمهم "روجر" منذ استيلائهم على مدن من جزيرة صقلية ابتداء من سنة 444هـ / 1052م ، وامتلاكهم لها نهائيا سنة 484هـ / 1091م (3) واتخاذها قاعدة رئيسية لانطلاق غاراتهم على سواحل إفريقية والمغرب الأوسط ، وهو ما عدّ تحديا حقيقيا للحماديين وغيرهم فألزمهم بضرورة بناء قوتهم البحرية ، مساهمين بذلك في ازدهار البحرية المغربية في المنطقة على هذا العهد ، وشكّل أسطولهم الحربي درعا واقيا لمدنهم الساحلية في وجه هذه الغارات المتكررة والتي أخذت طابع الحرب الصليبية الشاملة على بلاد المغرب في نهاية القرن الخامس وبداية السادس الهجري (4) ، حيث عانى من أثارها سكان السواحل الحمادية مثل مرسى الخرز ، وبونة ، وجيجل ، وشرشال ، وتنس بين سنتي (537-539هـ / 1142-1144م) (5) .

1- - - 312 . Monlair (J) - op . cit ; P 28 .

2- - - 63 - - 5 - 109 .

3- - - 83 - - 3 - 459 458 :

209 - -

- - - 3 - 1964 - 256 . Monlair (J) -Ibid. - P 21

4- - - " .. - 8 - - : 224 223 .

5-أماري -المرجع السابق - ص 373 ، لقبال ، بورويبة وآخرون - الجزائر في التاريخ - ج3 - ص 217 ، سعيدوني ناصر الدين -ورقات جزائرية [دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر] - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 2000 ص 188 .

2- الدفاع عن مسلمي صقلية والأندلس بعد ان أثقل كاهلهم ضغط الحقد الصليبي ، واتساع تأثيراته ، جعل المغرب الأوسط وغيره ملاذا آمنا لهم ، وبالمقابل اتخذ حافزا

للحماديين لتقوية هيكلهم الحربي البحري كما ونوعا ، لاستخدامه في حالات الهجوم والدفاع ، خدمة للمسلمين في إطار الجهاد البحري (1) .

3- حماية الحركة التجارية المزدهرة في العهد الحمادي ، حيث غدت مركزا رئيسيا لها باتساع نطاق تعاملها مع مختلف أصقاع العالم ، بدءا بالمغرب الأقصى وبلاد السودان ،

إلى مصر والحجاز والشام ، وأوربا (2) . وتعدته إلى تحصيل مداخيل معتبرة للدولة

بفرض رسوم على السفن التي كانت ترسو بمختلف موانئها للشحن أو التفريغ ، وتوجيه قسط كبير منه للغرض نفسه (3).

4- استخدامه أداة للحفاظ على حدود الدولة ، ووسيلة لتوسيع رقعتها على حساب جيرانها خاصة الزيريين منهم ، في محاولة لامتلاك عرشهم بعدما بدأت تنهوى مدتهم أمام الحملة الهلالية على إفريقية منذ سنة 443 هـ / 1051 - 1052م كما سبق ذكره ، في مرحلة أولى (4) ، وضغط حملات النورمان على المهديّة وجربة في مرحلة ثانية (5) ، وهو هدف بعيد المدى راود الملوك الحماديين منذ إحياء "ابن البعبع" وزير "تميم" الزيري ، لـ "الناصر بن علناس" حسب رواية ابن الأثير بتأسيس بجاية وأهمية موقعها في فتح المجال أمامه للاستيلاء على المهديّة عاصمة إفريقية "وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها من بلاد إفريقية" (6) .

5- الوجهة البحرية التي انتهجتها الدولة الحمادية منذ بناء مدينة بجاية في المرحلة الثانية من عمر الدولة ، حيث فتح أفقهم على مجال طبيعي جديد ، وعلاقات مع قوى أخرى ، لتصبح العاصمة الثانية بوابة بحرية

- 1- - - 55 73 - - 229 - - 188 .
 - 2- - - 63 - - 1 459 .
 - 3- - - 1 - - 292 293 - - 6 31 - - 302 303 .
 - 4- - - 239 - - 604 . 4 - - - 302 303 .
 - 5- النويري - المصدر السابق - ج 24 - ص ، ص : 245 ، 246 . 6 - ابن الأثير - الكامل - ج 10 - ص ، ص : 32 ، 33 .
- رئيسية للمناطق الداخلية ، وميناء استراتيجي لقلعة بني حماد (1) . إلى جانب تدعيمها بمرسى بونة الذي أصبح ضمن الممتلكات الحمادية بقدراته المادية ، ودارا ثانية للصناعة الحربية البحرية ، وقاعدة أساسية لانطلاق الحملات صوب جنوب أوربا (2) ، وتدعمت بدورها بدار ثالثة في أقصى الحدود الشرقية للمملكة بمرسى الخرز ، الذي وجه لخدمة نفس الغرض فمناه "تخرج المراكب الحربية التي تغزى بها بلاد الروم ، وإليها يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعا يقرب من جزيرة سردينية" (3).
- هذه الظروف والأسباب ، دفعت بالحماديين إلى الاهتمام الكبير بالنشاط البحري لما يحققه من تدعيم لاستقرار ملكهم ، وتوسيع لرقعتهم ، وحفاظا على حياض المسلمين في المناطق المفتوحة على سواحلهم ، فأهلهم للعب دور رئيسي في الحوض الغربي للمتوسط إلى جانب القوى المماثلة في كل من مصر وإفريقية وبلاد المغرب والأندلس .

في إطار الاهتمام بالإعداد البحري ، وتجنباً لضربات الأعداء ، اعتمدت طرق تحصينية بحرية متعددة منها : 1- إنشاء الموانئ بمناطق تتميز بتحصينها الطبيعي ،

وقريبة من مراكز توفر المادة الأولية لإقامة دور الصناعة الحربية ، فإذا ما أخذنا نموذج ميناء بجاية نجده محاطا بجبل أميسون (قوراية) أشرف على الميناء كله فسمح بتأمين الحماية له (4) ، وضمان المراقبة الدائمة لأية حركة في البحر على مسافات أبعد ، بعد أن تدعمت المدينة بالسور الذي استدار بالجبل ، وأقيمت عليه أبراج مراقبة على امتداده وصل ارتفاعها فوق مستوى السور لتتراوح ما بين الأربعة والستة أمتار ، للقيام بمهمة مزدوجة مراقبة المجالين البري والبحري (5).

| | | | | | | | | | | |
|------------------------------|-------------------------|-----|-----|----|----|-----|---|------|----|---|
| De Mas latrie – op. cit; p30 | xavier – op. cit; p 115 | .82 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| .140 | 139: | - | - | 73 | - | - | 3 | .358 | -6 | - |
| .161 | - | - | 168 | - | - | - | - | 55 | - | - |
| - | 109 | -5 | - | - | 81 | 80: | - | - | - | - |
| .23 | - | - | " | - | " | - | - | 23 | - | - |

وعلى نفس الأسس والأساليب التحصينية استند مرسى بونة " .ثم إلى مرسى منيع وهو مرسى بونة " (1) ، ومرسى الخرز (القالة) المدينة التي " أحاط بها البحر.. عليها سور .. وصنع بها مرفأ للسفن" (2). هذا الاختيار سمح لها بالتحكم في الأوضاع ، من خلال السيطرة على سواحلها رغم الغارات النورمانية المفاجأة التي تعرضت لها الكثير من المناطق بين الحين والآخر.

2-تتشيط حركة الرباطات على سواحل المملكة للقيام بدورها الجهادي على الواجهة البحرية ، أمام تنامي الحركة الصليبية التي ازدهر نشاطها في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين ، عقب امتلاكهم لصقلية ولبعض المناطق الأندلسية ، إذ قامت هذه القواعد المتقدمة بعمليات التعبئة الشعبية لصد تلك الحملات والإعلام بها في حينها ، ومن هذه الرباطات : رباط "أبي مروان" (2) في أقصى شرق المملكة والذي أنشئ في القرن الخامس الهجري ، ويعد من أهم الربط في المغرب الأوسط ، كظاهرة عسكرية مهمة على السواحل إلى جانب مهمتها الدينية .ونفس الدور قامت به رباطات "ملالة" قرب بجاية، وشرشال ، ومرسى مغيلة قرب تنس (3).

3- استخدام وسائل الاتصال لتبادل الأخبار ، ورصد تحركات العدو ، بواسطة الإشارات والمرايا العاكسة نهارا ، مثل المرايا التي ثبتت على قصر " أميمون" ، وقصر "النجم" ، وقصر "اللؤلؤة" ببجاية، فعلى عهد "المنصور" بني مرصد "شوف الرياض" كوسيلة ربط واتصال بينها وبين المدن الساحلية الأخرى ، وكذا المدن الداخلية حيث يقابلها "شوف" على أعلى قمة جبل تاقربوست المطل على القلعة.

| | | | | | |
|-----|------|---|-------|--------------|-----------------|
| - | - | : | . | 1049- 1048/ | 440 |
| | | | | .33 - 3 - | 139 |
| | 49 - | - | 295 - | 62 - | - 3 |
| 1 - | - | - | - | (5-2/ 11-8) | - |
| | | | | . 145 - | - 1979- 97 96 : |

في حين تستخدم النار ليلا بديلا عن المرايا ، فقد وصف الإدريسي أهمية هذه المراسد في تتبع تحركات الهلاليين في المناطق الداخلية بقوله : " ودار ملول ، فيها حصن مطل فيه مرصد .. ينظر إلى مجال العرب .. ويتطلع منه (1) .

تتوعدت قطع الأسطول الحمادي بين الصغير الحجم المتميز بخفة الحركة ، والقدرة الكبيرة على المناورة ، باعتماد أسلوب الكر والفر ، وهي ميزة اتصفت بها البحرية الجزائرية عبر تاريخها الطويل ، إلى جانب اتساع المجال الحيوي لنشاطه بعمق امتداد السواحل ، والهيمنة على الجزء الغربي للبحر المتوسط ، مع التكامل الذي كان يحدث بين قطع الأسطول عموما ، في صدّهم لأخطار العدو المشترك الواحد ، والمتمثل في طلائع الحملات الصليبية الأولى بقيادة النورمان المسيحيين ، وزعامة " روجر II" حيث تحولت الموانئ الحمادية خاصة ببجاية وبونة ومرسى الخرز إلى مراكز هامة لمباشرة الجهاد البحري وتقديم خدمات جليلة للمسلمين الفارين من مدن جزيرة صقلية وغيرها تحت وقع تأثير الحقد الصليبي (2).

فعن تركيبة الأسطول استند إلى الأسس القاعدية لحركة التصنيع البحري التي انتشرت عبر الموانئ ، متمثلة في دور صناعة الأساطيل التي تتطلبها الأغراض الحربية والمدنية ، وفق نماذج فرضتها المرحلة ، والتحديات التي لازمتها ، مما اكسبهم خبرة أكثر ، فأجادوا في استخدام مختلف الوسائل و الابتكارات للخروج بطراز متميز بقطع متنوعة وظفت بشكل مكثف في تحقيق الكثير من الانتصارات على عدوهم (3).

فقد اشتمل الأسطول الحمادي على نماذج عديدة من الوحدات الحربية أشارت إلى توظيفها الكثير من المصادر

| | | | | | |
|-----------------------------|--------|------------|---------------|---------|----------|
| - | - | - | 275 - | 62 - | - 1 |
| | 49 - | - | - | - | - |
| 1 - | - | - | (5 -2/ 11-8) | - | - |
| | | | . 145 - | 97 96 : | - 1979 - |
| - | 71،72: | - 1963-1 - | - | - | - 2 |
| | | | | . 72 - | - |
| Monlair (J) – op .cit ; p29 | | | | 11 - | - 3 |

في معرض الحديث عن الغزوات البحرية الحمادية سواء مع المسيحيين ، أو مع جيرانهم الزيريين (1) والموحدين .

وعليه تتوعد القطع البحرية التي تشكل منها الأسطول الحمادي ، والمصنعة محليا كما سبق ذكره ، وهو ما فتح المجال بشكل واسع لمباشرة الغزو أو جعله أداة فعالة ومتقدمة لصد هجمات المسيحيين بحرا قبل وصولهم إلى تهديد موانئها أو النزول بسواحلها (2) .

فمن القطع الصغيرة المشكلة للأسطول الحمادي ، السفن والمراكب والحرايبي وغيرها ، فالأولى مسطحة الشكل توجه لحصار مجال تعبئة البحارة (المقاتلين) ونقلهم إلى ميادين المواجهة لصد العدو أو الإغارة عليه، حيث تستخدم المجاذيف أو الأشرعة أداة لحركتها السريعة بهدف الوصول إلى الاستيلاء على أكبر قدر من وحدات العدو ، فمن دار الصناعة بعاصمتهم الثانية بجاية "تركب السفن إلى جميع الجهات" (3) ، في حين تستخدم الثانية لتزويد الأسطول عموما بالعتاد الحربي والمؤونة اللازمة له تبعا للمدة التي يقضيها الأسطول في غزوه البحري. في حين يعتمد على الحرايبي في كشف طلائع العدو ونقل أخباره إلى مقدم الأسطول ، لترتيب خطط الهجوم أو الدفاع حسب طبيعة المعركة والظروف المحيطة بها وب"مرسى الخرز .. تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها بلاد الروم .. وإليها يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعها يقرب من جزيرة سردينية" (4) . أما مدينة بجاية ف" بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرايبي" (5) توجه بدورها للغزو في القسم الغربي من المتوسط بحكم انفتاحها هي الأخرى على جزيرتي سردينية وكورسفا (كورسيكا) على الواجهة الأوربية . على غرار انطلاق حركة الوحدات البحرية المذكورة من بونة ، ومرسى جيجل ، وجزائر بني مزغنة

| | | | | | | | |
|---|---|---|----|---|---|---|-----|
| 1 | - | - | 83 | - | - | - | 312 |
| 2 | - | - | 83 | - | - | - | 239 |
| 3 | - | - | 86 | - | - | - | 280 |
| 4 | - | - | 55 | - | - | - | 229 |
| 5 | - | - | 90 | - | - | - | 208 |

"ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها ، تحاذيها فإذا نزل بهم عدو لجؤوا إليها فكانوا في منعة وأمن" (1) ، ومرسى الدجاج ، ومرسى تنس "على مقربة من ضفة البحر .. تخرج منها إلى كل الآفاق .. المراكب" (2) إما في حالة السلم أو الحرب ، هجوما أو دفاعا ، يتم فيها تحصين الأسرى في كثير من الحالات ، ولا يطلق سراحهم إلا بعد فديتهم ، لتوجه عائدات ذلك لتمويل عمليات الغزو التي تليها" (3).

أما قطع الأسطول الكبيرة : فتعد ركيزة النشاط الحربي الحمادي ، وتتوعد بدورها بين الشواني ، والشلنديات ، والغرابيين ، والحراييق . فالأولى : عبارة عن قلاع بحرية متحركة ، تعمل عادة على محاصرة العدو ودك سفنه باستخدام قوة حركتها المعتمدة على المجاذيف ، مستتدة في ذلك على مائة وثلاثة وأربعين مجذافا (4) ، وكذا النار الإغريقية (النفط) التي يفذفها بحارتها من المجانيق المزودة بها مما يؤهلهم للثبات

في المعركة بما احتوته أيضا من حماية مضاعفة لمقاتليها ، ويؤدي أيضا إلى تجنب ضربات العدو والتقليل من حجم الخسائر المتوقعة .

فمن الموانئ المذكورة مثل "مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردينية وكرسفة وما والاها" (5) . مما يظهر جليا قدرة هذا النوع من القطع البحرية على الحركة في محيط ملاحى أوسع ، في إطار السيطرة التي فرضتها الأساطيل الإسلامية على الحوض الغربي للمتوسط .

في حين تستخدم الشلنديات وسيلة لحمل المقاتلين والعتاد الحربي كأداة فعالة للتعبئة الكبرى في عرض البحر ، مع ضمان التمويل الدائم للأسطول في حالة مكوثه في البحر لمدة أطول ، أو عند فرض حصار على أي منطقة يرجى فتحها . فقد حاصر الأسطول الحمادي ميناء المهديّة الزيري سنة 530 هـ / 1136 م لمدة زادت عن السبعين يوما (6) استخدمت فيه الشلنديات والغرابين وغيرهما من القطع الحربية البحرية الأخرى .

| | | | | | | | | |
|----|---|---|---|-----|----|---|---|-----|
| -1 | - | - | - | 77 | - | - | - | 160 |
| -2 | - | - | - | 83 | - | - | - | 208 |
| -4 | - | - | - | 153 | - | - | - | |
| -5 | - | - | - | 73 | - | - | - | |
| -6 | - | - | - | 312 | -1 | - | - | 217 |

أما الغرابين أو الأغرّبة (1)، التي كثر إنتاجها صناعة وتوظيفها ملاحا ، فتمثل القوة المحركة للأسطول الحمادي ، أخذت مقدّمة هيكلها شكل رأس الغراب ، فقد اشتهر هذا النوع بالبأس الشديد ، وقوة التصدي ، مما يثير الرعب والرّهبة في نفوس مقاتلي العدو ، فحجمها الكبير الذي يصل إلى استعمال حوالي مائة وثمانين مجذافا أهلها لاحتلال الصدارة عند المواجهة ، كما تضمن استمرار التمويل الدائم للأسطول ماديا وبشرياً في حالة شن حصار على المدن والموانئ التي يستعصي فتحها .

في حين تحمل الحراريق عادة الوسائل والأدوات الحربية الثقيلة وفي مقدمتها المجانيق المستعملة للنار المحرقة (النفط) المرعبة للعدو ، اعتبارا لاستخدام قوة القذف عن بعد وسيلة لإلحاق أكبر الضرر بسفن العدو قبل الالتحام في المعركة (2) ، وهو ما يضمن تغليب كفة النصر قبل بدء المواجهة .

هذا التنوع في قطع الأسطول الحمادي أهل للدولة لتبوء مكانة بحرية إلى جانب القوى المماثلة في المنطقة ، وإلى فاعلية قتالية أشمل ، وكثافة وحيوية نشاط أسطولها، إما في ضربه لموانئ جنوب أوربا في إطار الجهاد البحري ، أو صوب سواحل إفريقيا في محاولة لتوسيع الرقعة الجغرافية للدولة على حساب جيرانهم الزيريين متمثلا في الحصار الذي ضرب في الكثير من الفترات على موانئ المهديّة وجربة (3).

تعدادها :

لئن أفاضت بعض المصادر في حديثها عن دور الصناعة البحرية الحمادية ، ونشاط موانئها ، وحركة أسطولها في عرض البحر المتوسط ، إلا أنها بالمقابل أحجمت عن ذكر عدد قطعها إلا إجمالا ، أو بالإشارة إلى بعض ما سلب منهم في المواجهات البحرية

التي خاضوها مع خصومهم ، ومنها إشارة ابن عذاري إلى استيلاء صاحب المهديّة على غرابين من الأسطول الحمادي الذي هاجم المدينة سنة 530 هـ / 1136 م "وفي سنة 530 هـ ، نزل علي بن حمدون على المهديّة ، بعسكر من قبل صاحب بجاية العزيز بن المنصور.. وناشب

-1 - - - 312 -1 - - .92 - - -

-3 - - - 368 -6 - - - 475 474 : -1 - - -

- 128 - - - 288 -1 - - .

القتال برا وبحرا .. فأخرج إليهم صاحب المهديّة أسطوله ، فأخذوا من أسطول بجاية غرابين " (1). أو الإشارة إلى نشاطه العام وانطلاق عمليات الغزو المختلفة من

الموانئ الرئيسية للملكة ، فمن مرسى الخرز مثلا الذي تنشأ به السفن والمراكب الحربية " تغزى .. بلاد الروم " (2) ، "ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم ، وجزيرة سردينية وكرسفة .. " (3) .

فإذا سلّمنا بتفوق البحرية الإسلامية الحمادية والزييرية على المسيحيين في مرحلة أولى خلال القرن الخامس الهجري ، ثم بتوازن القوى البحرية الإسلامية -المسيحية في

مرحلة ثانية خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري ، فإن مقارنة بين ما امتلكه الزييريون من قطع بحرية والمقدرة بحوالي أربعمئة قطعة على عهد

"المعزّ بن باديس " الزييري والتي أرسلها لضرب السواحل الأوربية ودعم المسلمين في جزيرة صقلية سنة 417 هـ / 1026 م (4) . ونظرائهم النورومان المسيحيين على عهد ملكهم "روجر II " ، والذي قدرت قطع أسطوله المستعملة في هجوماته عادة بحوالي

ثلاثمئة مركب حربي ، ففي هجوم على المهديّة سنة 480 هـ / 1087 م " نزل الروم على المهديّة في ثلاثمئة مركب حربية على ظهورها ثلاثون ألف مقاتل " (5)

، وفي هجوم ثان على نفس المدينة سنة 517 هـ / 1123 م حسب ما ذكره ابن عذاري "كان عدد الأجفان نحو ثلاثمئة ، وعدد الخيل فيها نحو ألف فارس " (6) ، والسراج "وسيرّ أسطولها نحو المهديّة .. في نحو ثلاثمئة مركب ، حمل على ظهرها ثلاثون ألف راكب ،

وزهاء ألف فارس " (7) ، وهو نفس العدد من القطع الذي هاجم به المهديّة وتمكن من احتلالها سنة 543 هـ / 1148 - 1149 م " ولم يزل يوالي الغزو عليها بأساطيله.. إلى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة فلم يشعر الحسن .. إلا وقد وفد عليه .. في ثلاثمئة مركب

-1 - - - 312 -1 - - .

-2 - - - 55 -3 - - .73 - - -

-4 - - - 88 86: - - - 312 - - - Monlair (J)-op.cit ; pp28, 29 .

-5 - - - 301 -1 - - - 467 - - - .43 - - -

-6 - - - 309 - - - .

-7 - - - 437 - - - .

للإفرنج " (1) منها " نحو مائة وخمسين شينيا والباقي من مختلف أنواع القطع الأخرى" (2).

وعليه فإن الحماديين وبالنظر إلى كثافة نشاطهم البحري اتجاه الطرفين معا ، وخاصة إشارة أغلب المصادر إلى محاصرة الأسطول الحمادي لبعض الموانئ الزيرية ، ومنها دار صناعتهم البحرية ، وعاصمة دولتهم المهدية ، من فترة لأخرى ، يؤكد في تقديري امتلاك الحماديين لعدد مماثل تقريبا لما امتلكه جيرانهم من قطع بحرية سواء الزيريين أو النورمان ، وما يدعم هذا الرأي إشرافهم على دور رئيسية ثلاث لصناعة مختلف أنواع القطع الحربية التي تشكل منها أسطولهم ، في كل من بجاية ، وبونة ، ومرسى الخرز كما سبق ذكره ، واتخاذها قواعد رئيسية لانطلاق نشاطات الغزو البحري لتحقيق أهداف متعددة وخاصة مواجهة الخطر النورماني المهدد لسواحل إفريقيا وبلاد المغرب (3) .

أما عن تنظيم القيادة البحرية العليا ، وقيادة كل قطعة من قطع الأسطول الحمادي ، فنتيجة لحيوية النشاط الحربي البحري ، وطبيعة التحديات المفروضة ، تحددت اختصاصات عمال البحر والمهام الملقاة على عاتقهم . فالقيادة العليا لأركان الجيش الحمادي بشقيه البري والبحري ، عقدت في الفترة الثانية من عمر الدولة - أي منذ الانتقال إلى الواجهة البحرية واتخاذ بجاية عاصمة جديدة - لمقدم الأسطول أي أمير البحر ، مما يبرز بوضوح تعاضد دور البحرية الحمادية نشاطا وأهمية ، ومساهمة في الدخول العام للدولة ، إذ غالبا ما اشترك الجيش البري والبحري في القيام بعمل عسكري موحد تحت إشراف قيادة واحدة تولى رئاستها مقدم الأسطول ومنهم القائد "علي بن حمدون" على عهد "العزیز بن المنصور" (4) ، و"مطرف بن علي بن حمدون" المعروف بالفقيه على عهد "يحيى بن العزیز" (5) ، وخليفته "ميمون بن حمدون" (6) ،

1 - - - 475 - 1 - - - 374 373 :

2 - - - 247 - 24 - - - 3 - - - 280 .

4 - - - 362 - 6 - - - 4 - - - 305 304 :

5 - - - 92 - - - 331 - - - 475 - - -

: 211 210 .

6 - - - 310 - 1 - - - 9 - 31 .

تولوا مهمة هذه القيادة الموحدة ضمنا لانسجام الجيش ، وتوجيه أكبر الضربات للعدو كسبا للانتصار ، إذ يقوم برئاسة جميع القطع الحربية ، فهو مسؤول عن إدارة المعركة وسلامة بحارته نظرا للحرية التي تمتع بها في إعداد الحملات لخطورة النشاط البحري وكثافة الحملات المسيحية على وجه الخصوص .

في حين تتمتع كل وحدة من الأسطول بإعداد خاص لطاقتها ، والوسائل والعتاد اللازم لها ، وفق نظم خاصة تفرض عليها اتباع تعليمات قائد الوحدة الذي يخضع هو وغيره لأمير البحر أو قائد الأسطول أو "المقدم" حسب الاصطلاح الحمادي . في حين يتولى ربان القطعة البحرية الواحدة الإشراف على حركتها ، وتعبئتها ، ومهمة

إبحارها ، وإلقاء مراسيها ، إلى جانب إعداد الأسلحة ، والإشراف المباشر على العمليات الحربية تحت توجيه المقدم الذي يضمن التنسيق بين جميع قطع الأسطول ، وفي الوقت نفسه يقوم البحارة بأداء المهام المنوطة بهم في مواجهة العدو ، حيث استفاد الحماديون في هذا الإطار من الخبرة الكبيرة للأندلسيين والصقليين ، لمعرفة المتميزة بعلوم البحار وفن الملاحة (1) والاستفادة أيضا من خبرة أهل إفريقية عقب نزوحهم إلى المغرب الأوسط كنتيجة لتأثيرات الحملة الهلالية على المنطقة ، وما إشارة "ابن البعبع" وزير تميم الزيري على "الناصر بن علناس" بإنشاء ميناء بجاية وتصوره لأهمية موقعه الاستراتيجي في حالة إنجازه (2) ، وتجسيد هذا الأخير للاقتراح ، إلا دليلا على استفادة الحماديين من كل المعطيات والظروف التي سمحت لهم ببناء قوتهم البحرية .

نشاطه :

استراتيجية العمليات الحربية البحرية :

أساليب الهجوم : يهتم مجموع ربان الوحدات البحرية بالإعداد المسبق للسفن والمراكب الحربية وتفقد مختلف الأسلحة والعتاد اللازم للأداء الجيد للمهام الملقاة على عاتقهم ، وذلك بترتيب البحارة

1- - - 4 - 354 - - - 281 .

2- - - 10 - : 32 33 - 24 - : 223 224

- " - - : 25 26 .

تعدادا وتنظيما ، ليتم تجميع القطع المشكلة للأسطول بالمنشأة البحرية (الميناء) المخصص لانطلاق الغزو ، حيث يقوم المقدم بإعطاء إشارة تحركه صوب الوجهة المحددة ، مع اتخاذ كامل الاحتياطات اللازمة بتقفي السرية عن طريق التمويه بمراكب تجارية ، أو حمل رايات مختلفة ، بغرض تجنب حصول العدو على معلومات عن تحركه ووجهته ، للحيلولة دون مباغتته ، كما تكفل له بالمقابل اختيار الموقع المسبق لإدارة المعركة ، وهو ضمان أول لتحقيق النصر على العدو .

إدارة المعارك البحرية :

لا تختلف عن إطارها التقليدي العام الذي ميز فترة العصور الوسطى عموما ، ونشاط الأساطيل الإسلامية خصوصا ، إضافة إلى تشابهها الكبير مع فن إدارة المعارك البرية ، فعادة ما توزع قطع الأسطول في شكل مجموعات متنوعة الأحجام والأشكال ، تنقسم إلى قلب وجناحين (الميمنة ، والميسرة) ، ومقدمة و ساقاة على نسق تنظيم الجيش البري ، إذ تقوم المقدمة بكشف طلائع العدو ونقل أخبارها إلى مقدم الأسطول ، ويقوم القلب الذي يترأسه المقدم بالتعبئة وذلك بترتيب وحداته البحرية على هيئة نصف دائرة ، أو تصطف في صفوف مستقيمة ، فإذا ما حاول العدو الاقتراب منها ، أحاطت به فتحطم بذلك الجزء الأكبر منه ، - أو تلجأ إلى الاصطدام المباشر به عن طريق مقدمة الغرابين ، مع اعتماد اللجم (1) ، والكلاليب (2) ، والسلاط ، والألواح وسيلة لأسر مراكب العدو ، واتخاذها جسورا تمكن البحارة من الانتقال إليها ، والدخول في المواجهة المباشرة مع مقاتليه ، بعد أن يتم تعبئة نفوس البحارة بروح الحماسة

التي يزرعها المنادي الذي يتكفل بتبليغ تعليمات الربان ، والمقدم على الالتزام بالشجاعة والإقدام بتحقيق النصر ، مع تدعيمها باستخدام البوقات والطبول وغيرها .

1- : - - 163 .

2-

: - - 163 .

بالمقابل يقوم الجناحان بتأمين الحماية للقلب ، وضرب العدو عن بعد بواسطة النقاطات ، ليدخلوا المعركة بعد احتدامها باستخدام الأقواس والنبال والسهام بهدف إلحاق أكبر الضرر بمقاتلي العدو ، بمبادرة مسبقة من القلب ، وبأمر من مقدم الأسطول . في حين تقوم الساقاة بالترصد وترقب حيثيات المعركة عن بعد ، حماية للأسطول كله من ضربات خلفية مفاجئة لقوات احتياطية من جانب العدو عند مباشرة المعركة .

كما اعتمد الحماديون عادة أسلوب الحصار البحري (1) المدعم بالقوات البرية لإحكام السيطرة على الموانئ المحاصرة ، وخنق العدو وإرغامه على التسليم ، ونموذج ذلك الحصار المزدوج الذي فرض على المهديّة سنة 530هـ / 1136م والذي دام حوالي سبعين يوماً (2) كما سبق ذكره ، أو بشن غارات مفاجئة على النورمان المسيحيين بعد أن صار المغرب الأوسط بحكم الموقع الذي أشرف عليه ، قلعة منيعة للدفاع عن بلاد المغرب كله ، وألزم سكانه على الدوام بطابع اليقظة وروح السبق بمبادرة التصدي للحمالات التي أصبحت تهدده (3) ، فمن موانئه المختلفة كانت تنطلق عمليات الغزو صوب جزر جنوب أوربا (4).

أساليب الدفاع :

اعتمد الحماديون على التحصينات البحرية التي أنشأت في شكل موانئ ملحقة بالمدن ، أحيطت بأسوار لحمايتها ، وأبراج للمراقبة ثبتت على أطرافها ، ووسائل اتصال (مرابيا عاكسة ، منارات) كفيلة برصد

1-

- :

: 117 118 .

2- - - 316 -1 - - : 474 475 .

3- - - 51 - - 127 - - : 142،143 .

- 276 .

4- - - 73 55 - - 229 -3 - -

208 - - 86 .

تحركات العدو ، والإعلام بنوايا غاراته قبل وقوعها ، وتكسير كل هجمة محتملة على أسوارها .

كما لجأ سكان السواحل إلى أسلوب دفاعي خاص استعملوه بكثرة عند تكثيف النورمان بهجماتهم على سواحل

بلاد المغرب في النصف الأول من القرن السادس الهجري أي أواخر عهد الدولة الحمادية ، وذلك بقيادة "روجر II" وتمثل هذا الأسلوب في لجوء السكان إلى بناء قرى

ومدن بالمناطق الجبلية على غرار ما قام به سكان مرسى جيجل في بنائهم لمدينة حصينة على الجبل المحاذي له ، والذي يبعد مسافة ميل عن الساحل ، فشتاء

يستقرون بمحاذاة المرسى ، لاستحالة قيام النورمان بهجمات خلال هذا الفصل لصعوبة حركة الملاحة حينها ، وبحلول فصل الصيف يستقرون بالمدينة المذكورة إلا ما اقتصر على البحارة

وذلك تجنباً للغارات التي شهدتها سواحل المغرب الأوسط وغيرها (1) ، ونفس الأسلوب الدفاعي لجأ إلى استخدامه سكان مرسى الدجاج ، فقد أشار كل من

الإدريسي و صاحب كتاب الاستبصار إلى مغادرتهم له خلال فصل الصيف تجنباً للغارات المسيحية على اعتبار مقابلة هذا المرسى من جهة أوربا لجزيرة ميورقة في

عرض الحوض الغربي للمتوسط(2) على غرار ما شهدته مراسي بونة وجيجل ، وشرشال وتتس ما بين سنتي 537 - 539 هـ / 1142 - 1144م (3) ، أو باللجوء إلى التحصن ببعض

الجزر المحاذية للكثير من السواحل على غرار جزائر بني مزغنة التي استفادت طبيعياً من هذا النوع من التحصين "ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها ، تحاذيها فإذا نزل بهم

عدو لجؤوا إليها فكانوا في منعة وأمن"(4) . أما عند صدّ غارات العدو فيتم اللجوء إلى خطة الكرّ والفر كأسلوب ناجع لتكبيده أكبر

حجم من الخسائر ، وهو ما أرهب حكام النورمان ، ودفعهم إلى الحد من عملهم العدائي تجاه السواحل الحمادية خلال فترة تكافؤ قوى الطرفين في

النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (5).

1 - 89 - - - 7

2 - 89 - - 82 - 126

3 - 373 - - 217 - 3 - 188

4 - 288 - 1 - -

5 - 77 - - 160 - 5 - 281

هذا التأثير نقله الشاعر "ابن فكاك القيرواني" في أبيات له من البحر البسيط وهو يصف مشهداً- بحريا من على شرفات قصر اللؤلؤة ببجاية - لعودة الأسطول الحمادي

منتصرا من إحدى غاراته بقوله :

قالت سعاد وقد زمت ركائبنا * مهلا عليك فأنت الرائح الغادي

فقلت تالله لا أنفك ذا سفر * تجري بين الفلك أو يحدو بي الحادي

حتى أقبل ترب العز منتصرا * بالناصر بن عئناس بن

حماد(1)

بل نقل مجال المواجهة إلى حرب مكشوفة ودائمة بينهما، بتبادل الغارات مع تكثيفها من الجانب المسيحي على أغلب سواحل إفريقية مثل المهديّة وجربة ، وعلى سواحل بلاد المغرب خاصة بالمغرب الأوسط ، وهو ما ألزم الحماديين بالاتجاه إلى الأخذ بخيار التحالف والتنسيق الحربي مع جيرانهم الزيريين والموحدين كأسلوب دفاعي وهجومي في آن واحد ضد العدو المشترك الذي بات يتهدد الجميع ، خاصة مع تمكن أسطول "روجر II" من احتلال المهديّة سنة 543هـ / 1148 - 1149 م (2) .

فمن الجانب الزييري عمل "الناصر" الحمادي وخلفاؤه على دعم أوامر المودة معهم ، باعتماد أسلوب المصاهرة أداة لذلك ، حيث تزوج من "بلارة" ابنة "تميم بن المعز" سنة 470 هـ / 1077 م (3) ، فكان لهذه المبادرة الأثر الكبير في تكسير دسائس الروم و النورمان الذين حاولوا توسيع شقة الخلاف بين أبناء الأسرة الواحدة ، فهذا التقارب أربح خاصة النورمان بصقلية ، وحال بينهم وبين القيام بأي عمل عدائي اتجاههما على الأقل على المدى القريب ، باستثناء غارة الروم على سواحل إفريقية سنة 480 هـ / 1087 - 1088 م - أي السنة التي سبقت وفاة "الناصر بن علناس" - وواصل خلفاؤه اعتماد نفس الأسلوب الدفاعي لتكسير حملات

| | | | | | | | | | |
|-----|-------|------|-------|----|-----|----|-----|------|---|
| 14 | - | " | - | 87 | - | - | - | - | - |
| 6 | - | 475 | -1 | - | 313 | -1 | - | - | - |
| 361 | - | 374 | 373 : | - | - | - | 332 | 331: | - |
| 682 | 681 : | -1 | - | - | 72 | - | - | - | - |
| 17 | - | 1983 | -1 | - | - | - | - | - | - |

Monlair (J) -Op. Cit ; pp 30,31

300 - - -3

حملات النورمان إذ قام حفيده "العزیز بن المنصور" بعقد صلة مصاهرة جديدة تزوج بمقتضاها هذا الأخير سنة 509 هـ / 1115 - 1116 م بـ "بدر الدّجا" ابنة "يحي بن تميم" الزييري (1)، وهو ما زاد في تمتمين قوة التحالف في مواجهة المخاطر المشتركة التي هددتها معا . ولعل طلب النجدة الذي بادر به سكان المهديّة إلاثمة إيجابية لتلك التوجهات ، حيث قام الوفد الذي شكلوه وأرسلوه إلى "يحي بن العزیز" سنة 521 هـ / 1127 م لطلب الدعم لصّد غارات النورمان على مدينتهم ، معبرين عن تدمرهم من السياسة المريية التي انتهجها "الحسن بن علي" صاحب المهديّة بربطه لعلاقة مشبوهة مع ملك النورمان "روجر II" ، والتي صنّفوها في خانة الخيانة العظمى (2) ، وفسرها الحماديون على انها حركة موجهة ضدهم بالدرجة الأولى ، وهو ما استدعى استجابة سريعة منه لطلبه بتوجيه أسطوله المدعم بالجيش البري ليفرض حصارا على المهديّة سنة 522 هـ / 1128 م دون تمكنه من فتحها واكتفى بالتعريج على تونس وضمها للممتلكات الحمادية مجددا (3) . كما أن لجوء "الحسن بن علي" الزييري نفسه إلى الدولة الحمادية طالبا للأمان والاستقرار عقب احتلال النورمان لعاصمته ، واستجابة "يحي بن العزیز" لطلبه وإجازته للإقامة بجزائر بني

مزغنة (4)، يصب في نفس المنحى الوجودي الذي أصبحت تتطلبه المرحلة رغم الخلاف الذي وقع بينهما قبل ذلك كما سبق ذكره .

أما مع الموحدين فبرغم الصراع الحدودي الذي واكب نمو هذه الدولة على حساب المرابطين ، واستنادا لتوجهاتهم السياسية التي تقوم على توحيد كامل بلاد المغرب وإفريقية تحت سلطتهم كأسلوب للوقوف الندد للندد لخطر القوى المسيحية المتنامية في الأندلس وصقلية ، والمحافظة على التوازن الحربي بينهما ، لم يمنع الحماديين من اعتماد التعاون وتنسيق العمل العسكري المشترك مع الموحدين كأسلوب دفاعي خاص يهدف إلى المحافظة على استمرار كيانها وحماية حدودها أولا ، وهجوم عام يهدف إلى صدّ الخطر المسيحي في إطار

| | | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|----|-----|---|---|---|-----|---------|
| -1 | - | - | - | - | 306 | - | - | - | 281 | : 282 . |
| -2 | - | - | - | 1 | 288 | - | - | - | 283 | . |
| -3 | - | - | - | - | 310 | - | - | 6 | 331 | - 288 . |
| -4 | - | - | - | 24 | 252 | - | - | - | 332 | : 333 . |

الصراع بين الشرق والغرب ثانيا .

بناءا عليه وجهت السياسة البحرية الحمادية إلى التعاون الوثيق معهم لصدّ هذا الخطر المحدق بالجميع ، وتجسد ذلك بالمبادرة التي قام بها الوزير الحمادي " ميمون بن حمدون " (1) باتصاله بـ " عبد المؤمن بن علي " أمير الموحدين بمراكش طالبا منه تنسيق العمل الحربي البحري بين الدولتين بعد أن تمكن النورمان سنة 543 هـ / 1148 م من الاستيلاء على المهديّة (2) ولجوء صاحبها " الحسن بن علي " الزيري إلى بني عمومته بالمغرب الأوسط واستقراره بجزائر بني مزغنة طالبا الدعم منهم ومن الموحدين لتحرير عاصمته واسترجاع ملكه (3) ، فما كان من " عبد المؤمن " إلا القبول بالفكرة لتعبأ قوات الطرفين - خاصة من الجانب الموحدى اعتبارا لوضعها الحربي الجيد وهي في مرحلة التأسيس كقوة - وتوضع خطة العمل المشترك للمبادرة بالتنفيذ (4) ، رغم أن الموحدين سيستغلون الظرف لصالحهم من خلال اجتيازهم للأراضي الحمادية بصورة مفاجئة سنة 547 هـ / 1152 م ، والإجهاز النهائي على دولتهم (5) مبررين ذلك بالدعم الذي قدمه الحماديون للمرابطين قبل هذا التاريخ (6) واتخاذ المغرب الأوسط وقاعدته البحرية ببجاية منطلقا لتحرير سواحل إفريقية من الاحتلال النورماني ، وتحقيقا لأهدافهم الاستراتيجية في توحيد المغرب الإسلامي .

نماذج عن النشاط البحري الحمادي :

1- الحمالات البحرية ضد الزييريين : تميزت العلاقات الحمادية - الزييرية بطابع التوتر والصراع غالبا ، اعتبارا لمنطلق تأسيس الدولة الحمادية كما سبق ذكره ، وبحكم الجوار والتوجهات التي تبناها كل طرف في الإجهاز على الآخر

عاصمة الزيريين حملات مماثلة فرض فيها الحماديون على عهد " يحيى ابن العزيز " حصارا مزدوجا بحريا وبريا، وذلك بطلب من أهلها الذين وعدوه بمساعدته على دخولها ، أو بمبادرة من الحماديين خوفا من استيلاء النورمان عليها بحكم تجدد غزواتهم على المنطقة نتيجة لموالاتها صاحبها لـ " روجر II " كما سبق ذكره .
فالحصار الأول : فرض على المهديّة سنة 522 هـ / 1129 م بطلب من سكانها الذين أرهقتهم هجمات النورمان، وأغاضهم التعامل السلبي لأميرهم مع الموقف ، واستجابة لذلك ومحاولة لصدّ المسيحيين ، وسعيا لإسقاط عاصمة الزيريين والإجهاز على دولتهم ، تحرك الأسطول الحمادي صوب المدينة مدعما بقوات بحرية بقيادة " الفقيه مطرف بن علي بن حمدون " دون أن يتمكن من دخولها " فنزل عليها ، ثم انصرف ناكصا على عقبيه " (1) .

والحصار الثاني : فرض على المدينة سنة 530 هـ / 1135 م ، وجاء نتيجة لتجديد التحالف بين " الحسن ابن علي " والنورمان ، ليتحرك الأسطول الحمادي مدعما بقوات برية أيضا ، معتمدا خطة عزل المدينة عن غيرها بحصار محكم دام حوالي سبعين يوما في محاولة لإرغام هذا الأخير على الاستسلام ، إلا أن الدعم الذي قدمه " روجر II " له ، وكذا عرب بني هلال ، حال دون تحقيق الهدف النهائي للحملة ، فاضطر الجيش الحمادي إلى رفع الحصار عنها والعودة إلى قواعده بالعاصمة بجاية (2) فـ " نزل على المهديّة بعسكر من قبل صاحب بجاية ومال برسم العرب ، فنزل بظاهر زويلة ، وناشب القتال برا وبحرا ، .. ثم وصلت العرب لنصرة المهديّة فرحل عسكر بجاية عن المهديّة بعد إقامته سبعين يوما " (3) ، واستمدّ الحسن روجر فأمدّه بأسطوله فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهديّة " (4) .

فالمرجح هنا أن الحماديين استوعبوا طبيعة الصراع والتحديات التي فرضت على المنطقة ، من خلال دخولهم في مواجهة مباشرة مع النورمان في الحوض الغربي للمتوسط ، وألزمهم بتحصيل مقومات

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|---|---|---|---|---|-----|----|---|---|---|---|-----|----|---|---|-----------|
| -1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 310 | -1 | - | - | - | - | 288 | -1 | - | - | 283 |
| -2 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 92 | - | - | - | - | - | 331 | -6 | - | - | 288 |
| -3 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 312 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 475 474 : |

النصر عن طريق تجميع طاقات الأسرة الصنهاجية في كل من المغرب الأوسط وإفريقية ، وما تحركهم السريع للاستجابة لنجدة أهل المهديّة وردهم على تهديدات المسيحيين إلا تفسيراً لذلك .

2- صراعهم البحري مع النورمان : تورد الكثير من المصادر نصوصا متنوعة لتوضيح مجال الغزو البحري الذي باشره الأسطول الحمادي لفرض السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط ، في إطار المسعى العام للأساطيل الإسلامية للمحافظة على توازن القوى بين الشرق والغرب في المنطقة ، بصدّ بوادر الحملة الصليبية التي بدأ منطلقها في القسم الغربي من العالم الإسلامي بكل من الأندلس وصقلية ، لتتعداه بعد ذلك إلى القسم الشرقي منه في مرحلة ثانية (1) ، عقب الحالة العامة والاستقرار الذي ميز المنطقة في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس

الهجريين (2) ، إذ عمل الحماديون استنادا إلى أسطولهم وقواعدهم البحرية المتميزة بقدرتها الصناعية ، وطابعها التحصيني الطبيعي الآمن على طول سواحلها خاصة ببجاية ، وبونة ومرسى الخرز ، ومرسى الدجاج ، على الأخذ بمبادرة سبق مهاجمة موانئ جزر البحر المتوسط ، بهدف إنقاذ أكبر قدر من مسلمي صقلية وما يحاذيها والطالبين للنجدة والأمان ، أو محاولة منهم للمبادرة بالهجوم بهدف ردع النورمان وغيرهم من النصارى الذين توسعت مطامعهم صوب سواحل بلاد المغرب وإفريقية (3) " و إليها يقصد الغزاة من كل أفق " (4) ، فكان نشاط الأسطول الحمادي الفعّال الذي صوّف ضمن إطار الجهاد البحري " ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردينية وكرسفة وما والاها " (5) ، ومن مرسى الخرز أيضا تنطلق " المراكب الحربية التي تغزى بها بلاد الروم " (6) مما يعني أن

| | | | | |
|----|---|---|-------------|---------------|
| 1- | - | - | - | 372 : 373 . |
| 2- | - | - | 223 - | " - " |
| - | - | - | 566 : 567 . | |
| 3- | - | - | 223 - | 279 : 281 - " |
| - | - | - | .91 | 55 - - 4 - |
| 5- | - | - | 73 - | .86 - - |
| 6- | - | - | 55 - | 200 - - " |
| | - | - | .. | .359 - - |

صراعا حادا جرى بين الطرفين في المنطقة خلال هذه الفترة ، بسعي كل منهما لفرض هيمنته عليها في نهاية القرن الخامس وخلال النصف الأول من القرن السادس الهجريين (1) ، رغم أن بعض الدراسات الحديثة قللت من أهمية النشاط البحري الحمادي واعتبرته غير ذي شأن (2) ، في حين ما يثبت عكس ذلك ما اتجهت إليه المصادر في ذكرها لنماذج متعددة من الغزوات التي باشرها سواء اتجاه النورمان بدرجة أولى ، وبني عمومتهم الزيريين بدرجة ثانية ، إلى جانب سلسلة التحالفات التي عقدها مع غيرهم ، أو الاستجابة لطلبات النجدة سواء من أهالي جزر البحر المتوسط ، أو أهالي إفريقية ، مما يدحض من وجهة نظري هذا التحليل السطحي على اعتبار أن موضوع البحرية الحمادي يحتاج إلى دراسة أشمل وأعمق .

وما "دور الصناعة" العديدة التي اشتهرت بها موانئها ، وتوجيه قسط كبير من إنشائها للقطاع الحربي ، يثبت كدليل قاطع الأهمية التي أولاها الحماديون للبحر وعبءها منهم بالتحديات التي فرضتها المرحلة (3) . وخير مثال على ذلك الحملة التي وجهها " يحيى بن العزيز " صوب المهديّة سنة 522 هـ / 1129م للانتقام من صاحبها " الحسن بن علي " الزيري بسبب مصالحته لـ " روجر II " النورماني وتوقيع لهدنة معه (4) ، مما يعبر على روح المسؤولية التي تحلى بها ملوك بني حماد اتجاه كل من يوالي الغزاة الجدد ، خاصة وأن المنطقة برمتها أصبحت في حلة حرب معلنة ومكشوفة

، أمام تزايد أطماعهم ، واختلال توازن القوى في المنطقة لصالحهم مؤقتا خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري ، إذ شهدت موانئ إفريقية ، وبلاد المغرب هجمات عنيفة قادها الروم من أهل "بيزا" و"جنوة" الذين استعملوا ما يربوا عن ثلاثمائة قطعة بحرية لتحقيق أهدافهم الصليبية التوسعية ، بغزوهم للمهدية سنتي 480 هـ / 1087م (5)، 498 هـ / 1104-1105م، وفشلهم في الاستيلاء عليها ، وحملات النورمان على المهديّة سنتي 517 هـ / 1123 م ، 543 هـ / 1148 – 1149 م وتمكنه من دخولها

1- - - : 106 107 .

2- - - 4 - 357 .

3- - - 209 - 26 .

4- - - 1 - 310 312 - 1 - 475 - 6 - 331

5- - - 301 - - : 467 468 .

واحتلال سوسة و صفاقس في نفس السنة الأخيرة (1) .

لتشهد الموانئ الحمادية دورها غزوا نورمانيا مماثلا لشهدته مراسي بونة ، وجيجل ، وشرشال ، وتنس وغيرها بين سنتي 537 – 539 هـ / 1142 – 1144 م (2) . وهو ما يبرز بوضوح طبيعة الصراع الحاد على سيادة الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتشجع المسيحيين لتحقيق أغراضهم الصليبية أمام الضغط الذي لازم دول المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة (المرابطين – الزيريين – الحماديين) وهم يعيشون حالة الضعف قبل سقوط عروشهم ، لولا قيام الدولة الموحدية ونمو قوتها البحرية التي أنقذت المنطقة من كارثة الغزو الكلي لسواحل بلاد المغرب وإفريقية ، وتجلّى ذلك عمليا بتمكنهم من استرجاع المهديّة سنة 555 هـ / 1160م وطردهم النورمان منها (3) .

وعليه كان لزاما تثمين دور ملوك بني حماد الفعال في صدّ خطر الحملات الصليبية الأولى ، والدفاع عن حياض المغرب الأوسط خصوصا ، وجيرانها بباقي بلاد المغرب وإفريقية عموما ، مما يدرج ذلك ضمن الصفحات البارزة لتاريخ البحرية الجزائرية الحافل بالأمجاد والبطولات ، ويحمل الباحثين مسؤولية البحث والتقيب للوصول إلى حقيقة مكانة البحرية الحمادية ودورها في تاريخ المنطقة ، دحضا للسطحية التي تناولت بها بعض الأعلام هذا الموضوع ، وأهملت جوانب هامة منه أوردتها الكثير من المصادر في شكل نصوص خام لرحالة عايشوا الفترة ، وعابنوا حيوية حركة دور الصناعة (البحرية) الحمادية ، وكثافة الغزو الذي تحملوا مسؤوليته دفاعا عن دولتهم وعن غيرهم منذ أخذهم بالوجهة البحرية سنة 460 هـ / 1067-1068م تاريخ الانتقال إلى عاصمتهم الثانية بجاية .

1- - - 24 - : 247 250 - 1 - 475 476

- - - 216 .

224 - - 373 - - 313 - 1 - - - 2
 .188 - 217 - 3 - - -

Monlair – op . cit ; pp 30 , 31.

-3 - - - 316 - - - 481 .

:

إن طابع تدافع سنن قيام الدول وسقوطها ، جعل المغرب الإسلامي كغيره من المناطق الأخرى ، يشهد تأسيس دول كثيرة ساهمت في بناء إنجازاته السياسية والحضارية . والدولة الحمادية واحدة من هذه الدول التي تمثل ركيزة أساسية في تاريخ المغرب الإسلامي عموما ، والمغرب الأوسط خصوصا ، بمظهر الشواهد المادية لمدينتها التي لا تزال شامخة إلى يومنا هذا .

ويعد الجيش محورا رئيسيا فيها بحكم الدور الذي قام به ، واستناد الدولة عليه ، ومساهمته المباشرة في توطيد أسس نظامها .

فالمبادرة الاستقلالية التي باشرها " حماد بن بلكين " - مؤسس الدولة - لم تكن لتتري النور ، ويكتب لها النجاح لولا اعتماده على وحدة الجيش التي لازمته في أداء مهمته التي كلف بها من قبل أخيه " المنصور " ، ثم ابن أخيه " باديس " لكبح جماح قبيلة زناتة والحد من تهديدها الدائم لحدود دولتهم الغربية .

وعليه كانت هذه الحامية إن صحّ التعبير ، نواة أساسية لتشكيل جيشه الذي قامت عليه عملية الدفاع عن الاختيار الذي أقدم عليه " حماد " باستقلاله بالمغرب الأوسط .

ولعل تسارع الأحداث وتطورها في المنطقة حينها ، ساهمت في نجاح حركته ، فكان إرسائه لقواعد دولة عمرت حوالي قرن ونصف من الزمن ، وتبوأ مكانة خاصة في تاريخ المغرب الأوسط بالنسبة لباقي الدول التي قامت في المنطقة قبلها أو بعدها . إن على المستوى السياسي أو العسكري أو الاقتصادي أو الحضاري .

غير أن مؤسسة الجيش في اعتقادي مثلت المحورية في كل هذا ، بحكم الدور الذي قامت به في حياة الدولة ، اعتبارا لطابع المواجهة الدائمة التي تولى ملوك بني حماد القيام بها ، إما هجوما أو دفاعا ، فكانت حتمية الاهتمام بالجيش تمويلا ، وتعبئة ، وتنظيما ، للوقوف في وجه الخصوم ، ومواجهة مختلف التحديات .

فتمويلا : اعتمد على الحجم الكبير لمداخل الدولة التي تنوعت مصادرها باستغلال الحماديين لموقعهم الوسطي الهام المنفتح على واجهة الصحراء وبلاد السودان جنوبا ، وعلى أوروبا وباقي العالم على الواجهة البحرية شمالا ، وهو

ما جعلها في مفترق طرق رئيسي لحيوية الحركة التجارية ، التي ساهمت فيها القلعة وبجاية ومختلف الموانئ الحمادية بدور رئيسي ، كان له الأثر الإيجابي على ارتفاع إيرادات الدولة من الموارد المالية ، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على الجيش بتوفير مختلف حاجياته ماديا وبشريا .

وتعبئة : بحكم الفسيفساء القبلية التي تشكل منها (صنهاجية، زناتية ، هلالية، أندلسية، زنجية، صقلبية..)، والتي تعود في أصولها إلى ما قبل الفتح الإسلامي ، وصولا إلى الحملة الهلالية على المنطقة ، وهو ما أثر إيجابيا على الجيش بتنوع العناصر المشكلة له ، وأهمية ذلك في

تعدد الخبرات الحربية ، وتنافس القبائل فيما بينها لإظهار ذاتها ، وشجاعة أفرادها عند مباشرة نشاطها الميداني في المعركة .

وتنظيما : بالفرق التي تشكل منها الجيش والتي تستند للعنصر الغالب عليها ، وتسمى باسم الاختصاص الحربي المميز لها ، بحسب طبيعة الأسلحة المستعملة وكثافة توفيرها محليا بمختلف الأنشطة الصناعية المرتبطة به.

إلى جانب انقسامه هيكليا إلى جيش بري وبحري منذ تأسيس "الناصرية" (بجاية) ، واتخاذها عاصمة ثانية بديلا عن القلعة سنة 460هـ / 1067-1068 م . فزادت بذلك فعاليته ، وتطورت اهتماماته ، واتسعت آفاقه بمباشرة الحماديين لعمليات الغزو البحري ، الذي تحول إلى صراع حضاري بين الشرق والغرب ، بتنامي الحركة الصليبية ، والتحديات التي فرضتها على المنطقة ، بعودة القوى المسيحية إلى حيويتها وظهور حركاتها في كل من الأندلس وصقلية ، إذ تحولت من حالة الدفاع إلى الهجوم خلال النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجريين ، خاصة بالحملات المكثفة للروم انطلاقا من سردينية ، وبيزا ، وجنوة ، والنورمان انطلاقا من صقلية بقيادة ملكهم " روجر II " بعد استيلائهم الكلي عليها سنة 484 هـ / 1091 م ، وهجماتهم على إفريقية والمغرب الأوسط ، مما فرض على الحماديين وغيرهم ضرورة الاهتمام الأكبر بالجانب البحري وتقوية موقعهم فيه صناعة ونشاطا ، فحال ذلك دون تأثير حملاتهم بشكل كبير ، باستثناء سيطرتهم المؤقتة على بعض الموانئ دون أن يتعدوها إلى باقي المناطق الداخلية ، حيث سيتولى الموحدون فيما بعد مهمة إزاحتهم عنها.

وتحول الحماديون إلى توظيف المجال الحربي ضمن فنياتهم القتالية ، وخصوصا خطة العمل المشترك بين القوات البرية والبحرية عند فرض الحصار أو الهجوم على المنطقة المراد فتحها ، إذ استعملت خصوصا في عملهم الحربي ضد الزييريين ، بمحاولة منهم لتوسيع رقعة دولتهم ، أمام تفهقر سلطة بني عمومتهم ، وتضعف ملكهم بعد الحملة الهلالية على إفريقية ، وضربات الروم والنورمان المتتالية على موانئهم .

وخلالها القول أرى أن الجيش قام بدور محوري في حياة الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط خاصة ، والمغرب الإسلامي عامة من خلال :

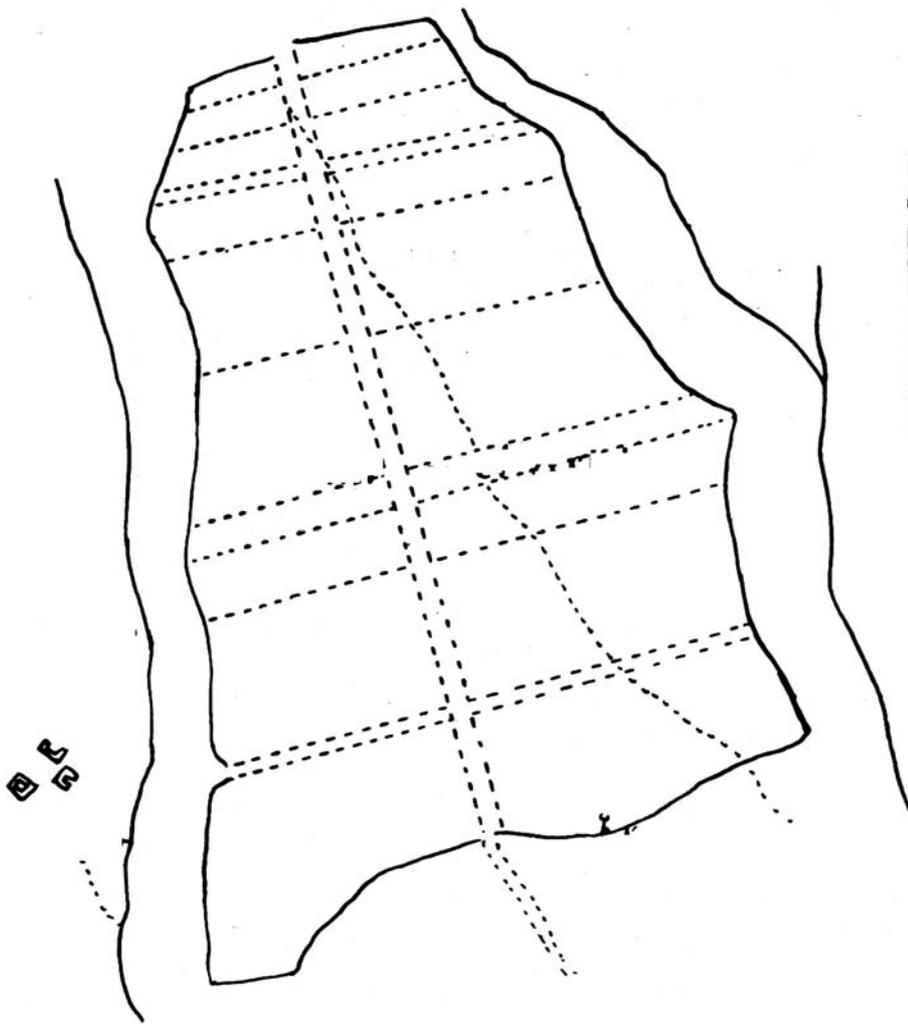
- دوره في إنجاز الاختيار الذي أقدم عليه "حماد بن بلكين" في الاستقلال بذاته وتشكيل دولته بالمغرب الأوسط .
- دوره الفعال في دعم القرارات السياسية والتاريخية التي تبناها "حماد" في أول سنة من تأسيس دولته ، باختيار المذهب المالكي السني مذهبا موحدا لمملكته بدل الشيعي ، وبالولاء للخلافة العباسية على حساب الفاطمية . وهو اختيار لا تزال آثاره ماثلة إلى يومنا هذا بالمغرب العربي كله .
- مساهمته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في الحوض الغربي للمتوسط ، أمام الهجمة الشرسة للمسيحيين بحملاتهم الصليبية المبكرة على المنطقة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين .
- اتساع حيوية نشاط الأسطول الحمادي ، الذي كان يجوب الحوض الغربي للمتوسط ، بإغارته على سواحل جنوب أوربا ، ومحاصرته للموانئ الشرقية الزيرية ومنها

(تونس ، المهديّة ، جربة) ، وذلك استنادا إلى "دور صناعة الأساطيل " بموانئها
الرئيسية (بجاية ، بونة ، مرسى الخرز) .
وختاما يحتاج الموضوع إلى مزيد من البحث والتنقيب ، خاصة "البحرية الحمادية " وهو
مجال جدير بالمتابعة والاهتمام .

" " " "

. 1103 - 1102 / 496

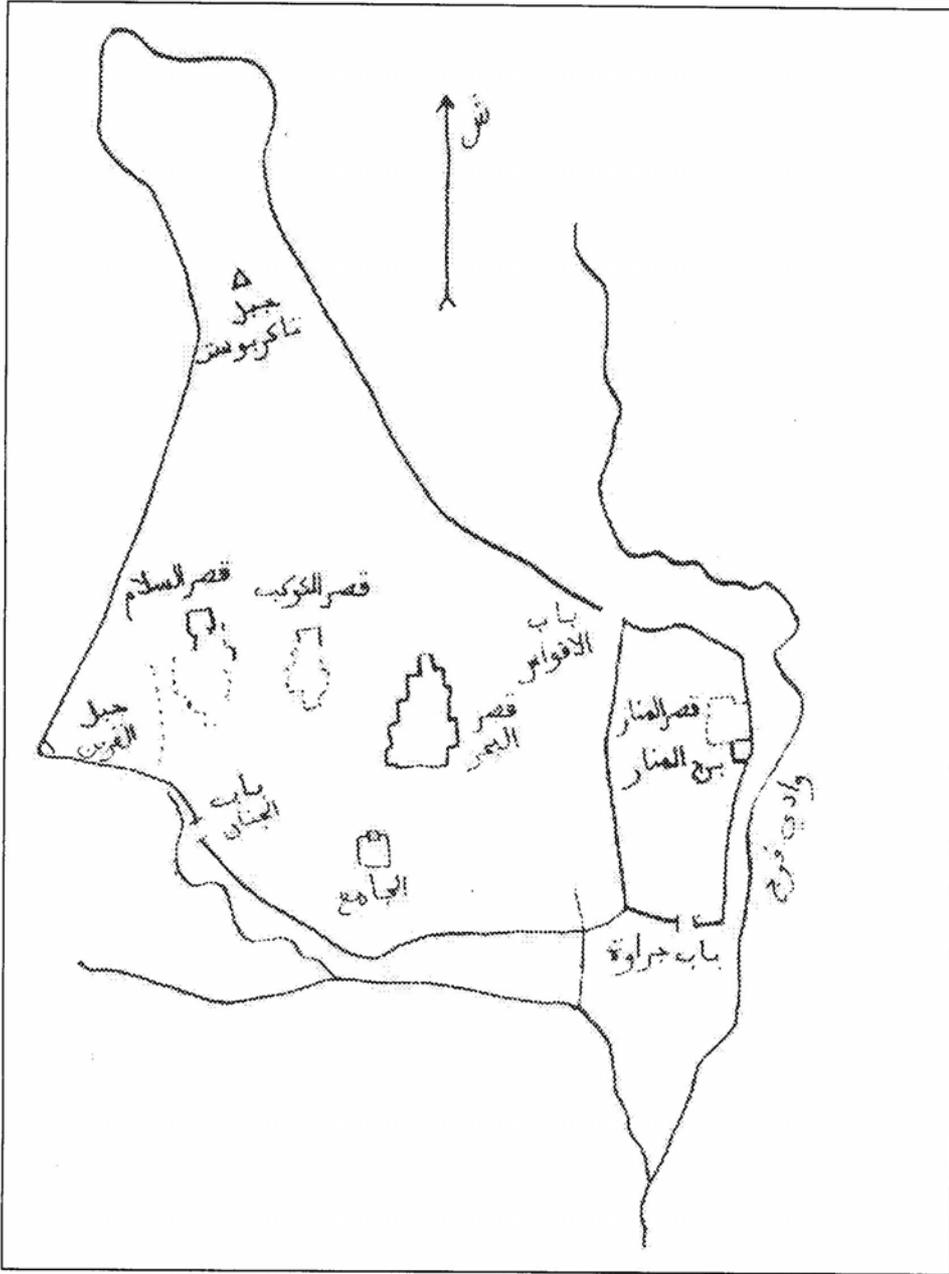
" إلى صاحب قلعة حماد وصل كتابك الذي أنفذته من وادي منى صادرا عن الوجهة التي استظهرت عليها بأضدادك وأجحفت بطارفك وتلادك وأخفقت فيها من مطلبك ومرادك، فوقفنا على معانيه وعرفنا المصرح به والمشار إليه فيه، ووجدناك تجعل سيئك حسنا ، ونكرك معروفا، وخلافك صوابا بيننا، وتقضي لنفسك بفلج الخصام، وتوليها الحجة البالغة في جميع الأحكام ، ولم تتأول أن وراء كل حجة أدليت بها ما يدحضها، وإزاء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها ، وتلقاء كل شكوى صححتها ما يمرضها ، ولولا اسنكاف الجدل ، واجتناب ترديد القيل والقال ، لقصصنا فصول كتابك أولا فأولا ، وتقريناها تفاصيلها وجملا ، وأضفنا إلى كل فصل ما يطلبه ويخجل من ينتحله حتى لا يدفع حجته دافع ، ولا ينو عن أدلته راء ولا سامع ، وهنا نحن ننشذك الله الذي لا تقوم السماء والأرض إلا بأمره ، ألم نكن عندما نزع الشيطان بينك وبين فلان ، وتفاقم الشنآن قد توقدنا على ما كان بالحالة من إقلاق ، وتأخرنا عما كانت النصفة تستقدم إليه بدارا أو سباقا ، ولم نمد الجهة حق امدادها ولا كثرنا وفق ما كان يلزم من جماهير إعدادها ، ولا عنانا غير جهاد المشركين ، ولا أقبلنا إلا على ما يحوط حريم المسلمين ، رجاء أن يثوب استبصار أو يقع إقصار ، وأنت خلال ذلك تحتقل وتحتشد ، وتقوم وتقتعد ، وتبرق غيظا وترتعد ، وتستدعي ذؤبات العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقرب ، فتطيعهم ما في خزائنك جزافا ، وتتفق عليهم ما كنزه أوائلك إسرافا، وتمنح أهل العشرات مئين ، وأهل الميئين آلافا ، كل ذلك لتعتضد بهم ، وتعتمد على تعصبيهم ، وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير ، وحماتك من المقادير ، وتذهل عما في الغيب من أحكام العزيز القدير " .



-

-2

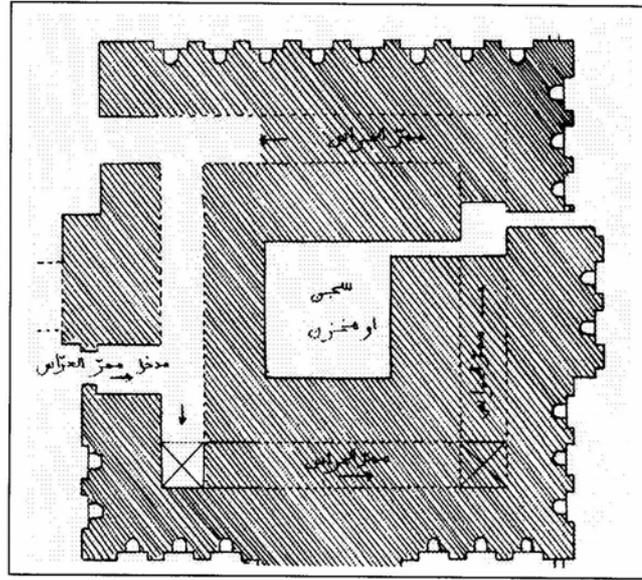
Golvin (L)-Le Magrib central à l'époque des Zirides- P.59
Redet- les ruines d'Achir- Revue africaine – n°52-1908- P.105



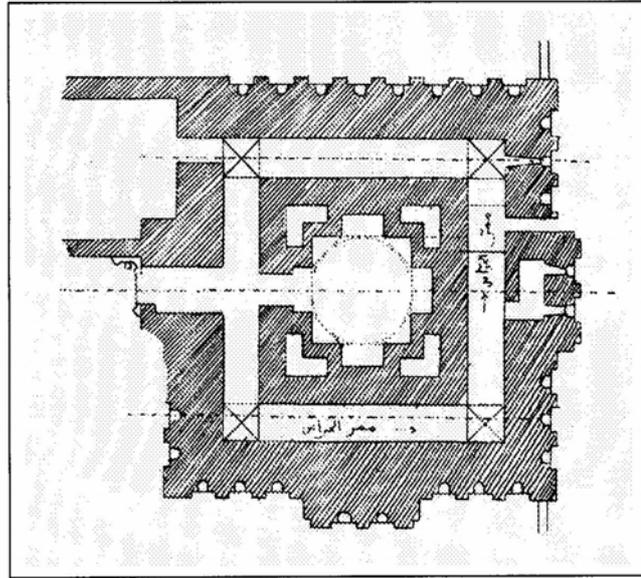
شكل 3 - مخطط لسور القلعة التحصيني وأبوابه الرئيسية -

المرجع : بوروية - الدولة الحمادية - ص 204

- BOUROUIBA (R) - L'architecture Militaire - P 76
- L'architecture Algérienne - Collection « Art et Culture » - SNED - Mai 1974 - P 24



- القاعة السفلية -



شكل 4 - رسم تخطيطي لبرج المنار (قلعة بني حماد) وحركة الحراس داخله -

- القاعة العلوية -

المرجع: بورويبة - الدولة الحمادية - ص 207

Golvin (L) - *Le Magrib Central à l'époque des Zirides* - P.P 186-187
BOUROUBA (R) - *L'architecture Militaire* - P 81



-5
: - - .200.



" " - 2 -

" " () - 1 -



() - 4 -

() - 3 -

144

: _____



-5 -

(1418)



- 6 -

_____ :



الصورة - 7 - موقع القلعة بالنسبة لجبل "تاقربوست" الذي
حصنها طبيعيا (شمالا)



الصورة - 8 - موقع " وادي فرج" العميق الذي يحصن القلعة
طبيعيا (من الناحية الشرقية) يرى من قصر المنار

المصدر : صور من التقاط الطالب



- 9 -



- 10 -

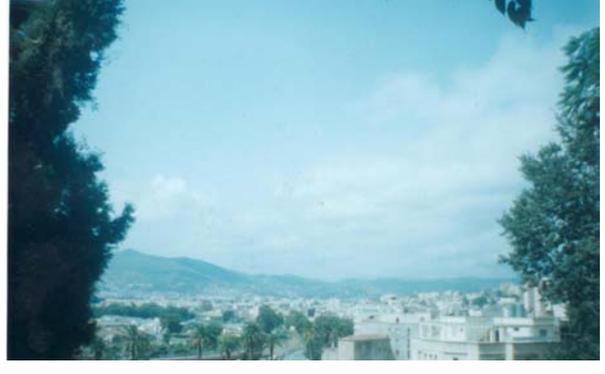


" "

-11 -



- 12-



الصورة - 14 - منظر عام للمحيط البحري لمدينة بجاية
مأخوذ من أعلى قصبتها

()

- 13 -



- 16 -
()

- 15 -
()

_____ :



()

-17-



()

-18-



()

- 19 -



() " " - 20 -



الصورة - 21 - أحد أبراج المراقبة و الباب الرئيسي (الغربي) لمدخل مدينة المهدية (تونس)

المصدر : صور من التقاط الطالب

جدول الأسرة الزيرية الحاكمة بإفريقية

| | | |
|------------------|--------------------|-------------------|
| (972 م - 1048 م) | | (362 هـ - 543 هـ) |
| ↓ | | ↓ |
| 972 م | يوسف بلكين بن زيري | 362 هـ |
| 984 م | المنصور بن باديس | 373 هـ |
| 997 م | باديس بن المنصور | 387 هـ |
| 1015 م | المعز بن باديس | 406 هـ |
| 1061 م | تميم بن المعز | 453 هـ |
| 1107 م | يحيى بن تميم | 501 هـ |
| 1116 م | علي بن يحيى | 509 هـ |
| 1121-1148 م | الحسن بن علي | 515-543 هـ |

المرجع: سليمان احمد سعيد - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة - ج1 - دار المعارف بمصر -

القاهرة - ط 1969 م / 1389 هـ - ص 48.

جدول الأسرة الحمادية الحاكمة بالمغرب الأوسط

| | | |
|-------------------|-------------------|-------------------|
| (1014 م - 1152 م) | | (405 هـ - 547 هـ) |
| ↓ | | ↓ |
| 1014 م | حماد بن بلكين | 405 هـ |
| 1028 م | القائد بن حماد | 419 هـ |
| 1054 م | محسن بن القائد | 446 هـ |
| 1055 م | بلكين بن محمد | 447 هـ |
| 1062 م | الناصر بن علناس | 454 هـ |
| 1088 م | المنصور بن الناصر | 481 هـ |
| 1104 م | باديس بن المنصور | 498 هـ |
| 1105 م | العزیز بن المنصور | 498 هـ |
| 1152 م | يحيى بن العزيز | 547 هـ |

المرجع: سليمان احمد سعيد - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة - ج1 - دار المعارف بمصر -

القاهرة - ط 1969 م / 1389 هـ - ص 48.

أولا : آله تربية

- 1- القرآن الكريم - جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ط 1408 هـ .
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد) ت 560 هـ / 1164 م .
- 2- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب " نزهة المشاق في اختراق الآفاق "
مطبعة بريل - ليدن - ط 1968 .
- أماري ميخائيل .
- 3- المكتبة العربية الصقلية ، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع - جمع وتحقيق : المستشرق الألماني ميخائيل أماري (ليبسك 1857 م) - نشر دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .
- ابن الأثير (أبو الحسن عبد الواحد الشيباني الجزري) ت 630 هـ / 1233 م .
- 4- الكامل في التاريخ ، الأجزاء من 7 إلى 10 - دار الكتاب العربي - بيروت - ط 2 - 1967 .
- الباجي أبو عبد الله الشيخ محمد المسعودي .
- 5- الخلاصة النقية في أمراء إفريقية - طبع مطبعة بيكار وشركائه - تونس - ط 2 - 1905 م / 1343 هـ .
- البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز المرسي) ت 487 هـ / 1094 م .
- 6- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب " المسالك والممالك " - تحقيق البارون دوسلان - مكتبة المثنى - بغداد - ط 1957 .
- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني) من علماء القرن 12 هجري .
- 7- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - تحقيق وتعليق : محمد شنان - المكتبة العتيقة - تونس ط 3 - 1967 .

- ابن هذيل علي بن عبد الرحمن الأندلسي .
- 8- حلية الفرسان وشعار الشجعان - مؤسسة الانتشار العربي - بيروت - لبنان - ط 1997 .
- الزركلي خير الدين .
- 9- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - ج 3 ، ج 4 - ط 2
القاهرة - مصر - 1954 .
- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله القاسم) ت 726 هـ / 1325 م .
- 10 - الأئیس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - طبعة فاس 1304 هـ .
- ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي) توفي بعد 628 هـ / 1231 م .
- 11- أخبار ملوك بني عبید وسيرتهم - دار الكتب - الجزائر - ط 1957 .
- ابن حمدیس الصقلی ت 527 هـ / 1133 م .
- 12- ديوان ابن حمدیس الصقلی (447 - 527 هـ) - تحقيق إحسان عباس - دار صادر للطباعة والنشر
بيروت - ط 1960 .
- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) ت 626 هـ / 1229 م .
- 13 - كتاب معجم البلدان - أسدي - طهران - 1965 م .
- الحميري عبد المنعم .
- 14- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة - ط 2 -
ط 1980 .
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي) توفي بعد 367 هـ / 977 م .
- 15 - كتاب صورة الأرض - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت بدون تاريخ .

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت 733 هـ .
- 23 نهاية الأرب في فنون الأدب - ج 29 (الجزء 22 حسب تصنيف النويري) تحقيق : محمد جابر عبد العالي الحيني - ومراجعة إبراهيم مصطفى المكتبة العربية - يصدرها المجلس الأعلى بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (مركز تحقيق التراث) - القاهرة - مصر - ط 1984 م / 1404 هـ .
- القاضي (النعمان بن محمد) ت 346 هـ / 957 م .
- 24 - رسالة افتتاح الدعوة - تحقيق فرحات الدشراوي - الشركة التونسية للتوزيع - تونس ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ط 2 - ط 1986 .
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) ت 1315 هـ / 1897 م .
- 25 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى المجلد 1 ، ج 1 - المطبعة الباهية المصرية - القاهرة - ط 1304 هـ .
- ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) ت 675 هـ / 1286 م .
- 26 - كتاب بسط الأرض في الطول والعرض - تحقيق خوان قرنيط خينيس - مطبعة كريمة ديس تيطوان - معهد مولاي الحسن المغرب ط 1958 .
- 27 - كتاب الجغرافيا - تحقيق وتعليق (سماويل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - ط 2 - 1982 .
- السراج (محمد بن محمد الأندلسي) ت 1149 هـ / 1736 م .
- 28 - الحلل السندسية في الأخبار التونسية - تحقيق ونشر محمد الحبيب الهيلة - الدار التونسية للنشر - تونس - ط 1970 .
- ابن العنابي (محمد بن محمود بن محمد الحسين) ت 1276 هـ / 1851 م .
- 29 - السعي الحمود في نظام الجنود تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط 1983 .

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) .
- 23 نهاية الأرب في فنون الأدب - ج 29 (الجزء 22 حسب تصنيف النويري) تحقيق : محمد جابر عبد العالي الحيني - ومراجعة ابراهيم مصطفى المكتبة العربية - يصدرها المجلس الأعلى بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (مركز تحقيق التراث) - القاهرة - مصر - ط 1984 م / 1404 هـ .
- القاضي (النعمان بن محمد) ت 346 هـ / 957 م .
- 24 - رسالة افتتاح الدعوة - تحقيق فرحات الدشراوي - الشركة التونسية للتوزيع - تونس ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ط 2 - ط 1986 .
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) ت 1315 هـ / 1897 م .
- 25 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى المجلد 1 ، ج 1 - المطبعة الباهية المصرية - القاهرة - ط 1304 هـ .
- ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) ت 675 هـ / 1286 م .
- 26 - كتاب بسط الأرض في الطول والعرض - تحقيق خوان قرنيط خينيس - مطبعة كريمة ديس تطوان - معهد مولاي الحسن المغرب ط 1958 .
- 27 - كتاب الجغرافيا - تحقيق وتعليق (سماويل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - ط 2 - 1982 .
- السراج (محمد بن محمد الأندلسي) ت 1149 هـ / 1736 م .
- 28 - الحلل السندسية في الأخبار التونسية - تحقيق ونشر محمد الحبيب الهيلة - الدار التونسية للنشر - تونس - ط 1970 .
- ابن العنابي (محمد بن محمود بن محمد الحسين) ت 1276 هـ / 1851 م .
- 29 - السعي الحمود في نظام الجنود تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط 1983 .

- ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي) ت 712 هـ .
- 30- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - بيت ومراجعة لفي بروفنسال ، وكولان (ج . س) ، ج 1 ، ج 14 - دار الثقافة - بيروت ط3 - 1983 .
- أبو الفوز أمين البغدادي .
- 31 - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب - المكتبة العلمية - بدون تاريخ .
- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد) ت 732 هـ / 1331 م .
- 32- كتاب المختصر في أخبار البشر - المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة - بدون تاريخ .
- صفى الدين (عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي) ت 739 هـ .
- 33- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق وتعليق علي محمد الجاوي - دار الجيل - بيروت - لبنان ط 1 - 1992 / 1412 هـ .
- الفلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت 821 هـ / 1418 م .
- 34 - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج 5 - المطبعة الأميرية - القاهرة - ط 1913 .
- الغزويني (زكريا بن محمد) ت 682 هـ / 1283 م .
- 35 - آثار البلاد وأخبار العباد - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ط 1960 .
- ابن خاقان (الفتح أبو النصر القيسي) ت 529 هـ / 1134 م .
- 36 - فلند العقيان في مجالس الأعيان - مطبعة التقدم العلمية مصر - ط 1 - 1360 هـ .
- ابن الخطيب (لسان الدين السلماي) ت 776 هـ / 1374 م .
- 37- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب : أعمال الأعلام في من بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - تحقيق وتعليق : أحمد مختار العبادي ، ومحمد ابراهيم الكفاني - دار الكتاب الدار البيضاء - المغرب - ط 1964 .

- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد) توفي حوالي سنة 717 هـ / 1317 م .
- 38 رحلة التجاني - تحقيق وإيام مرسى ، تقدم حسن حسني عبد الوهاب - بدون مكان الطبعة - ط 1377 م .
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن) .
- 39- المقدمة - دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - بيروت - ط 1983 .
- 40- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - المجلدين 4 ، 6 - دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - بيروت ط 1983 .
- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن إبراهيم الشافعي) ت 681 هـ / 1282 م .
- 41- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت ط 1971 .

ثانياً : المراجع العربية الحديثة

- 1- الفرد بيل - الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي - دار الغرب الإسلامي - بيروت ط 2- 1981 .
- 2- إسماعيل العربي - دولة بني حماد - ملوك القلعة وبجاية - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - بدون تاريخ .
- 3- // // - المدن المغربية - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - ط 1984 .
- 4- أرسلان شكيب - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ط 1983 .
- 5- بدر أحمد - تاريخ المغرب والأندلس - المطبعة الجديدة - دمشق - ط 1981 .
- 6- بوروية رشيد - مدن مندثرة ، تاهرت ، سدراتة ، أشير ، قلعة بني حماد - وزارة الإعلام والثقافة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ط 1 - 1981 .
- 7- بوروية رشيد - دولة بني حماد - صفحة رائعة من التاريخ الجزائري - دار الشروق - بيروت - ط 1 - 1980 .

- 8- بوتشيش إبراهيم القاديري - تاريخ الغرب الإسلامي، قراءة الجديدة في بعض القضايا المجتمع الحضاري - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - ط 1 - 1994.
- 9- بدون مؤلف - البحرية الجزائرية - شركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1966.
- 10- بنعبدالله عبد العزيز-الجيش المغربي عبر العصور-منشورات قسم الدراسات الدبلوماسية - الرباط - ط 1986.
- 11- جورج كاستلان - تاريخ الجيوش - ترجمة كمال الدسوقي - نشر مكتبة النهضة العربية - ط 1956.
- 12- جودت عبد الكريم يوسف -الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ط 1992.
- 13- جوريو عثمان أحمد فوزي - النظم الإسلامية في المشرق والمغرب - منشورات مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء - المغرب - بدون تاريخ.
- 14- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد - تاريخ الجزائر العام - ج 1 - دار الثقافة - بيروت - ط 6 - 1963.
- 15- // // - تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدينة، مليانة - مطبعة صاري وأبنائه - الجزائر - ط 1 - 1970.
- 16- الجحاني الحبيب - المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ/9-10م) - دار التونسية للنشر - تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ط 1976.
- 17- دياب صابر محمد - سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن 2هـ حتى نهاية العصر الفاطمي - الناشر عالم الكتب - بيروت - ط 1 - 1973.
- 18- هوبكنز ج. ف. ب - النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى - ترجمة الطيبي أمين توفيق الدار العربية للكتاب - تونس - ط 1980.
- 19- هونيرباخ قلهم-البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط-ترجمة معهد مولاي الحسن-دار الطباعة المغربية-تطوان- ط 1954.
- 20- هندي إحسان - الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في ألف عام (500-1500م)، دراسة تاريخية عسكرية لنظم التعبئة وفنون القتال والأسلحة عند العرب منذ الجاهلية إلى الفتح الإسلامي - مطبعة الجمهورية - دمشق - ط 1964.
- 21- زبيب نجيب - الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس - ج 2 - دار الأمير للثقافة والعلوم - بيروت - لبنان - ط 1 - 1995.
- 22- حسين الحاج حسن - النظم الإسلامية - المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع - ط 1 - 1987.
- 23- حسين حمدي عبد المنعم محمد - تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي- مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع - الإسكندرية - مصر - ط 1986.
- 24- حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - ج 4 - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط 1 - 1967.
- 25- حسن إبراهيم حسن - تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - مصر - ط 3 - 1964.

- 26- طويل مريم قاسم - مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح (443-484هـ/1051-1091م) - مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء - المغرب، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1 - 1994.
- 27- الطمار محمد - تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - ط - 1984.
- 28- الطمار محمد - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ط 1983
- 29- يونس عبد الحميد - الهلالية في التاريخ والأدب والشعر - دار المعرفة - القاهرة - ط 2 - 1968.
- 30- بن يوسف سليمان داود - الحلقات من تاريخ المغرب الإسلامي - مطبعة أبو داود - الجزائر - ط 1993.
- 31- كليليا تشركوا - مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة - ط1 - 1961.
- 32- الكعك عثمان - محاضرات في المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر - معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية - ط 1958.
- 33- لويس ارشيبالد - القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 - 1100م) - ترجمة أحمد محمد عيسى، غربال محمد شفيق - مكتبة النهضة المصرية - بدون تاريخ.
- 34- لمبار موريس - الإسلام في مجده الأول (القرن 8-11م/2-5هـ) - ترجمة وتعليق إسماعيل العربي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط1 - 1979.
- 35- لقبال موسى، بورويبة رشيد وآخرون - الجزائر في تاريخ - العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني - ج3 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط1 - 1984.
- 36- لقبال موسى - دور كثامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م) - الشركة الوطنية للنشر والإشهار - الجزائر - ط 1979.
- 37- المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر - دار الكتاب - البلدة - الجزائر - ط2 - 1963.
- 38- المدني أحمد توفيق - المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط2 - 1985.
- 39- محمود حسن أحمد - الإسلام في حوض البحر المتوسط (13-289 هـ/624-874م) بداية الفتوح إلى إستلاء الأغالبة على الصقلية -
- 40- محمود حسن أحمد - قيام دولة المرابطين، صفحة مشرفة لتاريخ المغرب في العصور الوسطى - القاهرة - ط 1957.
- 41- المطوي محمد لعروسي - الحروب الصليبية في المشرق والمغرب - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ط 1982.

- 42- الميلي محمد-مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي-مؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-ط 1985.
- 43- الميلي مبارك بن محمد - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - تقديم محمد الميلي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ط 1979.
- 44- ميتر آدم - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع أو عصر النهضة في الإسلام - ج 2 - الدار التونسية للنشر - تونس - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر.
- 45- نصر الله سعدون عباس - دولة مرابطين في المغرب والأندلس - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ط 1 - 1985.
- 46- أبو النصر عمر - تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم - دار عمر أبو النصر وشركاه للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط 1 - 971 .
- 47- سالم السيد عبد العزيز، العبادي أحمد مختار - تاريخ البحرية في المغرب والأندلس - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1969.
- 48- سالم السيد عبد العزيز - المغرب الكبير - العصر الإسلامي - ج 2 - دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية - دار لنهضة العربية - بيروت - ط 1981.
- 49- سالم السيد عبد العزيز - تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط 1 - 1969.
- 50- سعد زغلول عبد الحميد - تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال - ج 1- منشأة المعارف- الإسكندرية.
- 51- سعيدوني ناصر الدين - ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر) - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 2000.
- 52- سرور محمد جمال الدين - الدولة الفاطمية في مصر، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها - دار الفكر العربي - ط 1970.
- 53- بن عامر أحمد - الدولة الصنهاجية - الدار التونسية للنشر - ط 1972.
- 54- عاشور سعيد عبد الفتاح - الحركة الصليبية - طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - مصر - ط 1 - 1963.
- 55- ابن عبود محمد بن عبد السلام - تاريخ المغرب - دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب - ط 2 - 1982
- 56- العدوي أحمد إبراهيم - الأساطيل العربية في البحر المتوسط - مكتبة نهضة مصر بالفجالة - مصر - ط 1965.
- 57- العدوي أحمد إبراهيم - بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي والعربي - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - مصر - ط 1 - 1970.
- 58- عويس عبد الحليم - دولة بني حماد، صفحة رائعة في التاريخ الجزائري - دار الشروق - بيروت - ط 1 - 1980.
- 59- عز الدين عمر أحمد موسى - دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي - دار الشروق - بيروت - ط 1 - 1983.

- 60- عز الدين عمر أحمد موسى – النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري – دار الشروق – بيروت – ط1 – 1983.
- 61- عياد جمال الدين – نظم الحرب في الإسلام – مطبعة السنة المحمدية - القاهرة – ط1 – 1370 هـ.
- 62- بن عميرة محمد – دور زناتة في الحركة المذهبية في المغرب الإسلامي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط1 – 1984.
- 63- عمر مصطفى أبوضيف أحمد – القبائل العربية في المغرب – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ط1981.
- 64- كحالة عمر رضا – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط5- 1985.
- 65- عنان محمد عبد الله – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – القسم 1 – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط1 – 1964.
- 66- العسلي بسام – فن الحرب – دار الفكر – بيروت – ط1974.
- 67- فرج محمد – الإستراتيجية العسكرية الإسلامية ، النظرية والتطبيق – سلسلة البحوث الإسلامية – السنة الرابعة – العدد 79 – ماي 1975 – الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – ط1975.
- 68- فرنان شنيدر – تاريخ الفنون العسكرية – ترجمة فريد أنطونيوس – منشورات عويدات – بيروت – ط1 – 1970.
- 69- صبحي الصالح – النظم الإسلامية نشأتها وتطورها – دار العلم للملايين – بيروت – ط1 – 1965.
- 70- ابو رزاق أحمد بن محمد – الأدب في عصر دولة بني حماد (405-547هـ/1014-1152م) – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – ط1 – 1975.
- 71- شارل اندري جوليان – تاريخ شمال إفريقيا – تحقيق محمد مزالي والبشير بن سلامة – الدار التونسية للنشر – تونس – ط2 – 1978.
- 72- الشريف محمد الهادي – تاريخ تونس – تعريب محمد الشاوش، ومحمد عجيبية – دار سراس للنشر – تونس – ط1980.
- 73- الترماني عبد السلام – أحداث التاريخ الإسلامي – المجلد 1 – ج3 – دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق – سوريا – ط1 – 1994.
- 74- الخولي أمين – الجندية والسلام ، واقع ومثال – دار المعرفة – القاهرة – ط1960.
- 75- الخربوطلي علي حسني – الإسلام في حوض البحر المتوسط – دار العلم للملايين – بيروت – ط1 – 1970.
- 76- // // - البحر المتوسط بحيرة عربية – دار المعارف – القاهرة – ط1963.
- 77- ضيف الله محمد الأخضر – محاضرات في النظم السلامية والحضارة العربية - ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر - ط1985.
- 78- الغزالي محمد – فقه السيرة – مكتبة رحاب – الجزائر – ط1992.

79- الغنيمي عبد الفتاح مقلد - موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المغرب العربي بين بني زيري ، وبني هلال ، وبني حماد - دراسة في تاريخ الإسلام - ج4 - الناشر مكتبة مدبولي - القاهرة - ط1 - 1994.

:

1- مجلة "الأصالة" - وزارة التعليم الأصلي وشؤون الدينية - مطبعة البحث - قسنطينة - الجزائر.

- . العدد 1 - السنة الأولى - مارس 1971 / محرم 1391هـ.
 - . العدد 12 - السنة الثالثة - جانفي ، فيفري 1973م
 - . العدد 19 - السنة الرابعة - مارس ، أفريل 1974 (عدد خاص ببجاية).
- 2- مجلة "دراسات في الحضارة الإسلامية - 1" - وزارة الدفاع الوطني - الجزائر - طبع المحافظة السياسية - بدون تاريخ.
- 3- مجلة "الدراسات التاريخية" - مجلة يصدرها معهد التاريخ - جامعة الجزائر.
- . العدد 1 - 1986م / 1406هـ - ورقة القصر - الجزائر.
- 4- مجلة "المؤرخ العربي" (مجموعة أعداد) تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - المكتبة الوطنية - بغداد - العراق.
- 5- من محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي.
- . ملتقى بجاية (25 مارس إلى 3 أفريل 1974 ، الموافق لـ 01 إلى 12 ربيع الأول 1394 هـ).
 - منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - ط 1974.
- 6- مجلة "الثقافة" وزارة الإعلام والثقافة - الجزائر.
- . العدد 14 ، 15 - السنة الثالثة - ماي ، جوان ، جويلية ، أوت 1973/ربيع الثاني ، جمادى الأولى ، جمادى الثاني ، رجب - 1393 هـ.
 - . العدد 18 - السنة الثالثة - ديسمبر ، جانفي - 1973/ذو القعدة ، ذو الحجة - 1393 هـ.
 - . العدد 19 - السنة الرابعة - مارس ، أفريل - 1974.

:

- 1- ديري أكرم وآخرون - الموسوعة العسكرية - ج1 ، ج2 ، ج3 - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - ط1 - 1980 ، ط2 - 1981.
- 2- نويهض عادل - معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت - لبنان - ط3 - 1403/1983هـ.
- 3- سيعدونني ناصر الدين ، الشيخ أبو عمران وآخرون - معجم مشاهير المغاربة - جامعة الجزائر - المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر - ط 1995.
- 4- خورشيد إبراهيم زكي وآخرون - دائرة المعارف الإسلامية - المجلد 2 ، 6 ، 11 ، 13 ، 14 بدون طبعة ولاتاريخ.

خامسا : المراجع باللغة الأجنبية

- 1/ Bourouiba Rachid - l'Architecture Méilitaire de l'Algerie Medivale O.P.U
Algérie 1983.
- 2/ Bourouiba Rachid - l'Art Religieux Musulman en Algérie (S.W.E.D) Alger
1973.
- 3/ Cornevin - Robert - Histoire de l'Afrique, des origines au XVI Siècle, Tome
I Paris 1967.
- 4/ De Mas latrie - Traités de pais et de commerce et documents divers avec les
Arabes de l'Afrique septentionale au Moyen âge.
Burt Franklin - New York, originally Published in Paris - 1866.
- 5/ Djait - Hicham et autres - Histoire de la Tunisie, Le Moyen âge
Société Tunisienne de diffusion - sans date.
- 6/ Gaid Mouloud - Histoire de Bejaia et de sa région - 2^{ème} Édition Mimouni -
Alger - 1991.
- 7/ Golvin Lucien - Le Magrib Central à l'époque des Zirides
Recherches d'archéologie et d'histoire Arts et Métiers graphique -Paris -57.
- 8/ Gsell (s) et Marçais (g) et Yver (G) - Histoire d'Algerie.
Ancienne librairie - Fure - Paris - 1927.
- 9/ Jean Monlair - Les États Barebaresques - Presses Universitaires de France -
Paris - 1973.
- 10/ Charles André Julien - Histoire de l'Afrique du Nord - (S.N.E.D) - Alger -
2^{ème} Édition - 1975.
- 11/ Mercier - Histoire des berbers.
Juillet - Saint lager librairie - Alger - sans date.
- 12/ Xavier de planhol - Les fondements géographiques de l'histoire de l'Islam -
Flammarion - Paris 1968.

سادسا : الدوريات باللغة الأجنبية

- 1/ Revue Africaine - Journal des travaux de la société Historique Algérienne
N°13 Bastide libraire - Edition - Place du Gouvernement - Alger - 1869.
- 2/ Revue Africaine - Publiée par la société Historique Algerienne.
(63) Année - Ancienne Maison basti de jourdan - Alger - 1922.
- 3/ Revue Tunisienne par l'institut de carthage (29) Année - Janvier - Juin 92.

()

116. 121.
 112.() 136 94 44 35 25 12·23.
 69 68. 113 112 79 78 22
 24 23. 82.
 37. 148 139 105 103 97 96 90 49 6.
 142 115 114 81 53 37. 155.
 4. 127. 115
 44 23. 8.
 80 . 145 136 122 104 35.
 116 . 127.
 137.

()

22. 80 75 53 43 42 21 18 2 1.
 35 32 31 29 19·21. 112 111 110 109 103 102 92 89 87 84 83 82
 125 75 116 115 114 113
 101. 150 .

()

128 127.
 149 145 136 122 104 35 32 31.
 ()
 24 23.

()

128() 43 42 41 32 29 21·22 18 2 1.
 79. 102 95 93 89 87 83 80 79 75·78 70 59 55
 104 96. 117 115·116 114 113 112 111 110 109 103
 105 .

159 157 149 134 124 123 118
116.

()

23·54 .

67 66 63 62 52 50 48 40 39 36.
159 154 152 144 143 140 139 138 137 135 134 69

()

154 148 141 118 106 48 22.

()

73.()

148 143 139 99 81 66·69 24·40 2 1.

158 155 152·153 150

()

132.

123 121.

100.

()

143.

()

54 53 .

()

35 15 12.

22.

125 .79.

151 129 100 76 44 25 12.

142 81 24 2.

119.

152 15 144

118 53 22.

144 142 24.

22.

22.

()

6.

()

123 118 111 78 54 43 41 31 22 21 19.

22.

100.

()

120 32 31.
151 144 76 26 25.
79.
113 112 109 87 .

112()
29·124 .
127.
126.

157 137

88.

25 21 14 12 1.

90.

80 66 64 44 42 38 35 31 29

125 79.

127 126 124 112 111 89 81

144 82 81 25 24.

138 128

84 80 78 57 53 43 33 21.

116·118·143 111 89

4.

()

23 22 19 18 14 12 8 7 6 2 1.

125 35·124 32 31 29

73.

33·75 5.

()

134.

()

81.

.112.

127 126 125.

150.

22.

76 69 49 45 44 30 26 25 24 23 3.

33 32 29 25 4·5·7·25 1 .

()

70 63 62 52 48 43 42 36 35

121 .

106 104 96 90 88 87 80 78

119 118 117 116 113 111 110

142 136 135 133 131 121 120

155 154 151 150 149 145 144

73 .
105 .
101 100 97 95 93 91 87 83 79 22 .
.127 118 116 111 110 104 103 102
.137 105 91 .
65 63 40 61 48 35 7 6.
.147 142 137 136 134 105 90
.134 52 51.
127 125 88 38 36 35 30 14 7 5 .
.158 154 153 150 138 137 128·136
.106 2 .
37 35 34 14 11 5 .
.136 105 89 65 61 57 49 48
103 70 38 36 5 3 .
.113 4 2.
.118 117 78 40.
135 132 128 123 120 111 110
29 25 24 23 14 12 8 7 6 5 3 2 1.
.156 155 154 150 147 144 137
50 49 48 45 44 42 40 39 38 36 35 32
50 40 39 36 30 14 5 1 .
69 67 66 65 64 63 62 61 54 53 52 51
80 69 67 66 65 63 62 61 52
96 95 94 92 91 90 89 83 81 79 76
139 137 135 134 133 106 94
121 109 106 105 103 102 100 99 97
.159 154 152 148 144 143 141 140
142 139 138 137 136 135 133 129 122
.67 66 .
.159 158 156 154 153 152 151 149 145 144 143
.58+1 155 133 99 66 .
133 123 76 70 67 66 63 51.
.156 155 142 141 139 135 134
.125 106 98 96 94 79 57 54 53 48 23.
.96. ()
()
99 96 94 66 63 52 47 5 .
.94 66 64 14·38 .()
.148 141 138 135 126
.114.
.159 152 150 119 83 82 24 1.
.138 103 92.()
.102 .
.96 .()
.111·118 106 102 .
.112 .
.128 .
124 106 81 44 37 36 31 25 21 17 2 1.
.129 128 127 126 125
()
.158 155 133 99 66 .
.159 152 149 142 136 81 35 24 .
.148 140 135 66 63 62 5 .
127 126 106 102 63 38 22 5 .
.151 150 148 140 139 129

()

.136 35 7 .
.79 .
.119 75 56 33 .

()

63 62 52 50 48 40 39 36. ()
143 140 139 138 137 135 134 69 67 66
.159 154 152 144

()

.139 96. ()
.127. ()
.154 148 141 118 48 22. ()

()

.114.

()

.127 125 118 111 79 55 35.
.102. ()
.135 25.

()

.129 . .129 88 .
.96 . .125 122 120 118 79 77 57 43 35 31 13 .
.118 117 98 94 22. () .61 56 48 5 .
.96 . .96. ()
.156 132 . .158 154 143 141 140 137 133 99 52 40 36.

()

102 83 59 55 55 53 43. .136 133 105 48 35.
.126 115 114 .148 138 135 99 40 5.
.138 95 83.()

()

.91 . () .156.
.105 . 134 133 132 99 81 66 64 40 39 35 6 5 .
.158 154 153 150 149 143 139 136 135

()

.122 118 111 .
.125 79 .
.88 .

()

.37.

()

.125 124 123 78 21 3 1.

()

.137 104 95. ()

.106 4.

43 42 41 35 32 31 1.

.118 112 106 103 94·102 50 30 22 6 .

.121 118 116 114 109 103 102

.127.

112.

16 15 14 8 7 6 5 3 2 1. ()

44 43 42 39 36·38 35 32 29 25 24 23 21

83 79 65 64 63 61 56 55 54 51 49 48

104 103 102 97 96 95 94 93 92 89·90·91

121 119 117 115·116 114 113 111 110 106

.158 138 139 129 128 125 122

()

.101.

.154 143 141 140 52·133 40.

.112.

.103 91. ()

()

.61.

.56.

()

154 151 149 148 138 136 135

.131 .

.159 158 157 156

.97. ()

.73 65 61 4.

.102 .

105 90 49 48 36 35 33 7.

114 111 98 97 94 87 79 55. ()

.137 136 133 110

.125 122 118 117

.75.

.101 .

.122 114.

.112.

.101 95 75 30 15

.2 1.

107 105 73 31.

.159 157 151 132

.151.

.127 64 38.

35 32 30 23 22 21 8 7 3 2 1.

87 70 64 63 55 54 53 52 51 48 43 40

110 109 106 105 104 103 100 97 90 89 88

134 125 124 121 119 118 117 116 115 111

66 59 58 39 35 29 25 24 5 4 3.

.138 99.

120 105 104 102 99 81 77 76 75 69

.2.

142·143 141 136 135 132 126 125 124

.102 22.

.159 156 155 154 152 151 150 149 147

.95()

.148.

118 110 41.

()

. 104 .

.128.

.22.

()

.105.

()

.01.

.106 57 52 48 18 ()

.135 129 126 106 66 .

.126 ()

()

.105.

58. 81 76 70 69 68 67 66 62 25 24.
 64 62 61 59 56 . 144 142 141 140 134 132 129 122 99 87
 114 74. 159 154 153 147 145
 19 18. 145 144.
 146 86 65 60 . 18.
 143 142 140 134 67 66. 19.
 147 86 64. 19.
 147 103 97 95 94 93 92 91 86 82. 147 105 103 97 96 95 94 90 86 83 82 77 .
 17. 146 60.
 65 64 62 58 57. 12.
 142 . 66 64 63 5 .
 137 72 36 74 6. 18 12.
 146 60. 99 .
 68. 56.
 83. 81.
 91 76 90 67 43 40 . 58 41 34 29 11.
 146 143 141 142 69. 114 34 30 29 11.
 52. 34 30.
 52. 132 64 61 58.
 74 64 58 30 29 16. () 15.
 95 44 43. 140 134 67 66 63.
 129 114 76 34 19 16 15. 142 141 70.
 61 59 56.
 19.
 90 68 67 66 63 62 25.
 145 143 141 140 137

| | | | | | | |
|-----|----|----|----|----|----|----------------|
| 115 | 81 | 80 | 68 | 60 | 25 | 24. |
| 105 | 96 | 74 | 91 | 90 | 86 | 77 65 60. |
| | | | | | | 98 97 82. |
| | | | | | | 65 61 49. |
| | | | | | | 65 60. |
| | | | | | | 17. |
| | | | | | | 61 59 58. |
| | | | | | | 138 105 99 98. |
| | | | | | | 18. |
| | | | | | | 69 |
| | | | | | | 17. |

.....
1.....

- المبحث الأول : مراتب الجند وقيادة الجيش (من ص 11ص26)
- فرق الجيش 11
 - مراتب الجند 18
 - القيادة وتصنيفاتها 26
- المبحث الثاني : أصول الجيش وتعداده (من ص 28ص45)
- أصول الجيش : 1 - البربرية 28
 - 2 - العربية 32
 - 3- أصول أخرى 37
 - تعداده 41
- المبحث الثالث : التمويل والتسلح والصناعة الحربية (ص47 ..ص70)
- مصادر تمويل الجيش 47
 - أنواع الأسلحة 54

- مقومات الصناعة الحربية 61
- أنواعها : 1 - البرية 64
- 2- البحرية 66

الفنون الحربية

- (73 84) :
- 73
 - خطط الهجوم 74
 - خطط الدفاع 82
 - المبحث الثاني : التحصينات العسكرية (ص 86 ص 106)
 - تحديد مصطلح التحصين العسكري 86
 - دوافع التحصين العسكري عند الحمادي 87
 - أنواع التحصينات : - الأسوار 91
 - الحصون والأبراج 94
 - الخنادق 97
 - الرباطات 98
 - المدن 100

الفصل الثالث

نشاط الجيش

- المبحث الأول: المعارك البرية (ص 109 ص 130)
- واقع العلاقات السياسية الحمادية 109

● نماذج من النشاط الحربي الميداني :

- معركة "شلف" 406 هـ/1015م 113
- معركة "سببية" 457 هـ/1065م 119
- معركة "تلمسان" 496 هـ/1102م 125

| | |
|--|-----------|
| المبحث الثاني: الأسطول (ص 132 ص 156) | |
| ● نشأته | 135..... |
| ● وسائل التحصين والاتصال | 137..... |
| ● تركيب الأسطول | 139..... |
| تعداده | 142..... |
| ● نشاطه : | |
| أساليب الهجوم | 145 |
| أساليب الدفاع | 147..... |
| خاتمة | 157..... |
| الملاحق | 161..... |
| جدول الأسر الحاكمة | 175..... |
| البيبليوغرافيا | 177..... |
| فهرس الأعلام | 192 |
| فهرس الأماكن | 194 |
| فهرس المصطلحات العسكرية | 199 |
| فهرس الموضوعات | 200..... |